ا مهوريـة ا زائريـة الد قراطيـة الشعبيـة

وزارة التعليم العا و البحث العلمي

جامعـة منتـوري قسنطينـة

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسـم التاريـخ والآثار

رقم التسجيل: ....

الرقم التسلسلي: ....

العنـ ـوان:

المملكة العبرانية
في عهدي داود وسليمان
في الفترة ما بين 1004-922ق.م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ا اجستير التاريخ القد

إعـداد الطالبـة

لبحـور سليمة

إشراف الأستاذ الدكتور

ذراع الطـاهـ ـر

أعضاء نة ا ناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	ا امعة الأصلية
د. عبد العزيز بلحرش	أستاذ اضر	رئيسا	جامعة منتوري قسنطينة
د. ذراع الطاهـر	أستاذ التعليم العا	مشـرفا	ا امعة الإفريقية - أدرار-
د. مد العر عقون	أستاذ اضر	عضوا مناقشا	جامعة منتوري قسنطينة
د. يوسف عيبش	أستاذ اضر	عضوا مناقشا	جامعة منتوري قسنطينة

السنـة الجامعيـ ـة: 2010/2009

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

صدق الله العظيم

[سورة النمل الآية 15]

شكـــر وتقديـر

يسعدني أن أقدم أسمى آيات الشكر والامتنان لكل الذين ساعدوني في إنجاز هذا البحث

وأخص بالذكر أستاذي المشرف الدكتور "الطاهر ذراع" الذي أحاطني بحسن رعايته، وغمرني بسديد توجيهاته

وأغدق عليّ من فيض عطائه العلمي

كما لا يفوتني أن أشكر أساتذتي الكرام الأستاذ الدكتور "محمد الصغير غانم" والدكتور "عبد العزيز بلحرش" والدكتورة

"خديجة منصوري"، الذين كانوا بحق النبراس الذي أضاء لي أجاهيل البحث

والمفتاح الذي أدخلني عالمه

كما أسدي جزيل شكري إلى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على جهودهم المضنية في تقدير وتقييم هذا البحث

فلكم مني أساتذتي الكرام تحية الإكبار والتقدير

وما كان لهذا البحث أن يرى النور لولا تضحيات أسرتي وتشجيعاتها لي إذ ما فتئت تحثني على الصبر والمثابرة والإصرار

فلهم مني كل الحب والمودة والوفاء

والشكر الموصول إلى زميلاتي وزملائي وكل الأصدقاء الذين رافقوني طيلة إنجاز هذا العمل

فلهم مني تحية إخلاص ووفاء

ولا يفوتني أن أزجي عبارات العرفان والجميل إلى القائمين على مكتبة قسم التاريخ والآثار بجامعة منتوري ومكتبة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة والمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة على ما قدموه لي من

مساعدات فلهم مني التحية والتقدير

إلى كل هؤلاء جميعا أقول شكرا وألف شكر

ودمنا في خدمة العلم والوطن

الطالبة: سليمة لبحور

قائمة المختصرات:

م: الميلادي

ق.م: قبل الميلاد

د.ت: دون تاريخ

د.ط: دون طبعة

تر: ترجمة

تح: تحقيق

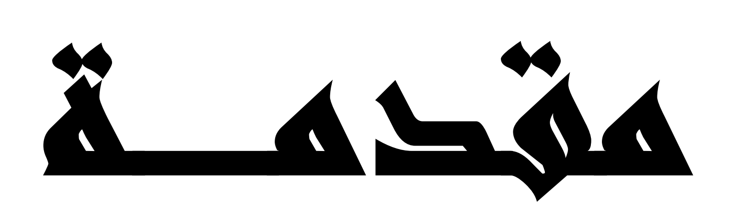
مج: مجلد

ج: الجزء

ص: الصفحة

ط: رقم الطبعة

ع: العدد


مقدمة

المقدمة:

اهتم الكثير من المؤلفين والباحثين بتاريخ العبرانيين فظهرت هناك مؤلفات كثيرة باللغة العربية وغيرها من اللغات تعرضت لتاريخهم في فترات معينة من العصور القديمة.

ورغم تعدد الدراسات واختلافها من منهج لآخر حول محاولات تتبع التاريخ القديم للعبرانيين وحول مصادر البيئة التاريخية لحركة التواجد العبراني في التاريخ، ومقومات النشأة الأولى للتاريخ العبراني على وجه الخصوص، إلا أن المنبع الذي كانت تصدر عنه كل الدراسات القديمة منها والحديثة يتمثل في التوراة الكتاب المقدس للعبرانيين، الذي يعتبرونه مصدر كل الحقائق المؤكدة، على الرغم من أن ما جاء به الكتاب المقدس مبني على مغالطات وأحلام وأوهام كثيرة.

ومحاولة الكشف عن تلك المغالطات والأوهام وإزالة اللبس عن الكثير من الحقائق التي يلفها الغموض والمتعلقة بتاريخ العبرانيين في العصور القديمة، ومن هذا المنطلق فالباحث في عصرنا الحاضر في أمس الحاجة إلى المزيد من الاكتشافات الأثرية والآثار المادية، بل ينبغي أن تعاد قراءة الروايات التوراتية قراءة جديدة على ضوء المكتشفات والتحاليل الأثرية للوصول إلى حقيقة هذا الشعب وما مدى علاقته بأرض كنعان.

وحسب إطلاعي فإن هذا النوع من الدراسات قليلة في بلادنا، إذ بقيت حكرا على إخواننا المشارقة، لذلك حاولت أن أساهم في إعادة كتابة تاريخ العبرانيين وخاصة بعد ظهور المملكة العبرانية في عهدي داود وسليمان عليهما السلام وتسليط الضوء على طبيعة هذه المملكة وما مدى مساهمتها في التراث الحضاري للمنطقة.

غير أننا نعتقد أن الباحث مهما بذل من جهد فإنه لا يستطيع أن يلم بجميع أطراف هذا الموضوع الشائك إلماما كاملا، نظرا لما يحيط به من ملابسات ومغالطات أراد توثيقها كتبة التوراة ومن جاء بعدهم لغرض في نفس يعقوب.

أسباب اختيار الموضوع:

لقد لامني الكثير من الزملاء على اختياري لهذا الموضوع وكان الأولى أن أهتم بتاريخ المغرب القديم للمساهمة في نفض الغبار عن الكثير من جوانبه، لكن اقتناعي بهذا الموضوع كان يزداد يوما بعد آخر وكلما اطلعت على بعض الحقائق إلا وازداد شغفي بمعرفة المزيد.

والواقع أن نظرتي للموضوع وأنا على مشارف نهايته اختلفت تماما عن نظرتي وأنا في بداياته فازدادت قناعتي بأن هذا الموضوع يحتاج إلى المزيد من البحث والعمل والجهد للإجابة على الكثير من الإشكاليات المطروحة.

وأهم هذه الدوافع

1- رغبتي الملحة في البحث في تاريخ العبرانيين القديم والوصول إلى بعض الحقائق التي مازال يكتنفها اللبس والغموض في تاريخ هذا الشعب الذي اهتم به الكثير من المؤلفين والباحثين القدامى والمحدثين.

2- ارتباط تاريخ العبرانيين القديم ارتباطا كليا بالتوراة التي احتوت الكثير من الأساطير والخرافات التي يعتبرونها ميراث وقدرات خصهم بها ا دون غيرهم من الشعوب الأخرى.

3- محاولة الكشف عن بعض الجوانب الخاصة الحضارية منها في المملكة العبرانية التي مازالت في حاجة إلى دراسة موضوعية وفق منهجية علمية نناقش من خلالها ما جاء في التوراة وما مدى مطابقته للنصوص والشواهد المادية لكل شعوب المنطقة المعاصرين للعبرانيين ومقارنة كل ذلك بما جاء في القرآن الكريم حول تاريخ بني إسرائيل وهو أصدق المصادر.

إشكالية البحث:

إن الوصول إلى أهداف هذه الدراسة يحتم على الباحث تحديد إشكالية هذا البحث التي تتمثل في مجموعة من التساؤلات والفرضيات الدقيقة، يحاول الإجابة عنها وفق المنهج العلمي المتبع في الدراسات التاريخية ومن أهم التساؤلات والفرضيات التي نجيب عنها في هذه الدراسة:

1- من العبرانيون؟ وما هو أصلهم ونسبهم؟ وما سر تعدد تسمياتهم؟ فتارة يلقبون بالعبرانيين، وتارة ببني إسرائيل، وتارة أخرى باليهود.

2- ما سر وجودهم في منطقة الشرق الأدنى القديم؟ وما هو موطنهم الأصلي؟

3- ما هي علاقتهم بسيدنا إبراهيم؟ ولماذا يصرون على الانتساب إليه وينكرون ذلك على باقي الشعوب المنحدرة من أبنائه الآخرين؟

4- كيف كانت علاقتهم بمصر؟ وما دورها في الخروج بقيادة موسى؟

5- لماذا كانت وجهتهم أرض كنعان؟ هل كانت حقا أرض الميعاد؟

6- هل الوحشية والقسوة التي دخلوا بها أرض كنعان كانت بأمر من إلهم "ياهوه"؟

7- ما هي دوافع قيام المملكة العبرانية؟ وهل امتدت فعلا من نهر الفرات إلى نهر النيل؟

8- ما هي طبيعة هذه المملكة؟ وكيف كانت علاقتها بالدول المجاورة لها؟

9- هل كانت هذه المملكة فعلا بالقوة والعظمة التي صورتها بها التوراة؟

10- هل كانت لهم حضارة مثل باقي شعوب المنطقة؟ وما هي إسهاماتهم في الحضارة الإنسانية إن وجدت؟

11- هل كان للغة العبرية وجود في عهد المملكة؟

12- هل كان عصر سليمان العصر الذهبي للعبرانيين فعلا؟

13- ما هي علاقته بملكة سبأ؟ وأين كانت تقع هذه المملكة؟

14- لماذا انقسمت المملكة وانهارت بعد وفاة سليمان؟ وكانت فترتها قصيرة إذا ما قورنت بإمبراطوريات الشرق الأدنى القديم.

ومن هنا فإنني قد حاولت بذل كل الجهود لتحقيق الأهداف أو النتائج المرجوة من هذا البحث، الذي أرجو أن أكون قد حققت ولو بعضا منها.

مناهج البحث:

لقد اتبعت في محاولة الإجابة على تلك التساؤلات والإشكاليات المطروحة، وفي تنظيم المادة العلمية وتحليلها ومناقشتها على ثلاث مناهج هي:

أولا. المنهج الوصفي: وهو منهج تاريخي اعتمدته في عرض المادة الخبرية وتقديم الأدلة والبراهين العلمية خاصة عند ذكر بعض الأحداث أو الظواهر التي تتطلب الوصف سواء كانت ظواهر سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو عسكرية.

ثانيا. المنهج التحليلي: وقد اتبعته في دراسة وتحليل المعطيات العلمية التي تتطلب التحليل سواء كانت نصوص أو آراء أو غيرها.

ثالثا. المنهج المقارن: ويستخدم هذا المنهج لتقريب بعض الصور التاريخية من ذهن القارئ وذلك بتبسيطها ومقارنة بعض القضايا التي وقعت في مرحلة الدراسة مع بعض الوقائع والنماذج الحديثة.

صعوبات البحث:

لقد واجهتني أثناء إعداد هذه الدراسة صعوبات كثيرة ومتنوعة يمكن تلخيصها فيما يلي:

1- صعوبة استخلاص المادة الخبرية من مصادرها الأولى وهي الكتب السماوية وفي مقدمتها التوراة خاصة وأن الأحداث والوقائع التي تذكرها التوراة فيها الكثير من المغالطات والمبالغات التي

يجب التعامل معها بالحيطة والحذر الشديدين، وذلك لما مس التوراة من تحريف وتلاعب من طرف من قاموا بكتابتها وتدوينها، غير أن ذلك ليس بالأمر السهل فهو يتطلب الوقت والجهد الكافيين.

وإذا حاولنا مقارنة ذلك بما جاء في القرآن الكريم نجده لا يذكر الكثير من الأحداث والوقائع بالتفصيل الكافي الذي يغنينا عن الرجوع إلى التوراة.

2- أن أغلب الدراسات التي تعرضت لتاريخ العبرانيين الحديثة أو القديمة منها اعتمدت أغلبها على مصدر واحد وهو التوراة فلذلك لا نكاد نجد فرقا بين بعضها في طريقة معالجتها للموضوع وكانت دراسة سطحية في أغلبها تفتقر إلى المنهجية والموضوعية، فلم تستطع التخلص من الذاتية المفرطة خاصة منها الدراسات الأجنبية سواء كانت لكتاب يهود أو غير يهود.

3- وعليه فإن استخلاص الحقائق في ظل هذه المعطيات وفي ظل نقص كبير للشواهد المادية والأثرية التي تعود إلى هذه الحقبة الزمنية يصعب من مهمة الباحث في هذا الموضوع.

وقد حاولت بذل جهدي لإعطاء هذا الموضوع حقه رغم انشغالاتي المتعددة فجمعت مادة خبرية معتبرة، لكنني لم أوظف إلا البعض منها، وتركت البعض الآخر وذلك لتشابه المادة الخبرية في أغلبها بل وتطابقها.

أهم مصادر البحث ومراجعه:

نظرا لثراء الموضوع وتعدد جوانبه فقد حاولت الاستعانة بعدد من المصادر والمراجع المتنوعة أهمها:

أولا. الكتب المقدسة:

1- **القرآن الكريم:** يعد أصدق المصادر وأنفعها فهو الكتاب السماوي الوحيد الذي لم تطله يد التغيير والتحريف وهو كلام ا الذي لا يرقى إليه الشك. فالقرآن الكريم لا يهدف إلى تدوين تاريخ المجتمعات القديمة بوجه عام وبنو إسرائيل بوجه خاص، فهو يهدف إلى إرساء القيم الروحية التي تنظم حياة الإنسان في المجتمع، ومن هنا فإن الأحداث التي يرويها عن بني إسرائيل كان الهدف منها تربية الإنسان تربية تضمن له خير المسالك وتحول بينه وبين المنزلقات والمهالك، بتعميق العقيدة في النفوس وتبصير العقول فيها، والسمو بالإنسان حتى يمتاز عن الحيوان الذي يشترك معه في بعض الصفات كما بين لنا في نفس الوقت أسباب القوة وأسباب الهلاك التي يمكن أن تصيب الأمم والجامعات والأفراد كما حدث لبني إسرائيل الذين جاء ذكرهم في حوالي سبعة عشر سورة منها حوالي ست سور مدنية والباقي سور مكية، وقد تعرض القرآن الكريم إلى حياة بني إسرائيل قبل موسى عليه السلام وبعده، لكن ذكرها كان مجملا لا مفصلا لأغلب الحوادث ودون تحديد الزمان والمكان. وموسى هو

أكثر الأنبياء ذكرا من غيره لأن الحديث عنه لم يكن من زاوية واحدة وإنما تعددت الزوايا وكل منها عبارة عن عظات ودروس حري بها أن تدرس.

2- التوراة: أو ما تعرف بأسفار العهد القديم ألفت بعد عصر موسى وهذا ما تدل عليه الموضوعات والأحكام والبيئات الاجتماعية والسياسية التي جاءت بها، وعليه فالمؤكد أنها تختلف كل الاختلاف عن التوراة الحقيقية الكتاب السماوي المقدس الذي أنزله ا على موسى عليه السلام، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: " فَويلٌ للذين يكْتبونَ الكتاب بِأيديهم ثُم يقُولُونَ هذَا من عند الله ليشتروا بِه ثَمنا قَليلاً فَويلٌ لهم مما كَتبت أَيديهم وويلٌ لهم مما يكْسِبونَ " سورة البقرة الآية 79.

وقد تم تأليف أسفار العهد القديم في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد أي بعد السبي البابلي وأن كتبة التوراة ضمنوها عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأساطير والقصص المأخوذة من التراث البابلي أو السومري أو المصري وغيرهم.

ورغم ذلك تبقى التوراة المصدر الأول للتاريخ العبراني ولا مناص من الاستعانة بها، والاعتماد عليها في تأريخ الأحداث والوقائع التي لم يفصل فيها القرآن الكريم، ولذلك فقد اعتمدت عليها بالدرجة الأولى في إنجاز هذا البحث، لكن دون التسليم والأخذ بكل ما جاءت به على أنه مسلمات، بل يجب التعامل مع ما ورد فيها بالحيطة والحذر الشديدين ومقارنتها بما جاءت به الشواهد المادية والأدبية - إن وجدت - التي تعود إلى تلك الحقبة التاريخية لدى باقي الشعوب المجاورة للعبرانيين والمعاصرة لهم.

3- الحديث النبوي الشريف: مصدرا هاما من المصادر التي تحدثت عن بني إسرائيل وأنبيائهم وخاصة داود وسليمان عليهما السلام حيث أعطانا صورة واضحة عما تميز به النبيان والملكان من ميزات وخصائص تفند التهم البذيئة واللاأخلاقية التي ألصقتها بهم التوراة والتي لا تليق بعامة الناس فكيف يتصف بها نبيان من أنبياء ا اصطفاهم ا ليحصنهم بالنبوة دون غيرهم.

ونحن نعلم أن الحديث رغم أنه دون بعد أواخر القرن الأول الهجري الثامن الميلادي في عهد خلافة عمر بن عبد العزيز إلا أنها كانت محفوظة في صدور الرجال والنساء أو كانت مكتوبة في صحائف متفرقة، ورغم ذلك فقد توخى رواته الحذر في نقله مما أعطاه مصداقية كبيرة خاصة تلك التي وردت في كتب الصحاح مثل صحيح البخاري وصحيح مسلم، وسنن ابن ماجه وغيرها من الكتب التي اعتمدت عليها في مختلف فصول هذه المذكرة.

4- كتب التفسير: تكتسي كتب التفسير أهمية كبرى لأنها تتضمن شروحا تفصيلية لبعض الآيات القرآنية التي استشهدت بها والمتعلقة ببني إسرائيل في مختلف مراحل تاريخهم القديم وعلاقتهم

بالأرض المقدسة، خاصة تلك الآيات التي جاءت مجملة أو مختصرة التي تحتاج إلى تفسير المفسرين الذين يمتازون بسعة الإطلاع وعمق التكوين في التاريخ وفي اللغة وفي الجغرافيا وفي أحكام التنزيل والحديث ونحو ذلك.

ومن أشهر كتب التفسير التي استفدت منها تفسير الطبري المعروف بـ "جامع البيان في تفسير القرآن" (المتوفى سنة 310هـ)، و"تفسير القرآن الكريم" لابن كثير الدمشقي (المتوفى سنة 774هـ).

5- **كتب التاريخ السياسي:** وقد اعتمدت على أهمها خاصة منها التي تعرضت لتاريخ بني إسرائيل وأشهر ملوكهم ومعجزاتهم وما تميز به عصرهم وفي مقدمتهم الملكين داود وسليمان عليهما السلام وهما موضوع هذه الدراسة، غير أن الملاحظ على بعضها اعتمادها هي الأخرى على التوراة مما جعلها تتضمن بعض الأساطير أو الخرافات الواردة في التوراة دون تنقيح أو غربلة، إلا فيما يتعلق بدرء التهم التي ألصقتها التوراة بالنبيين الكريمين فقد جاءت بالحجج الكافية لاستبعاد هذه الأفعال عن أنبياء ا عليهم السلام.

ومن بين هذه المصادر التي اعتمدت عليها، تاريخ الطبري وتاريخ اليعقوبي وابن كثير المعروف بـ"البداية والنهاية" و"الكامل في التاريخ" وكتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" للمسعودي وتاريخ ابن خلدون وغيرهم من المصادر التي استخدمتها في معظم فصول المذكرة.

ثانيا. المراجع العربية:

اعتمدت في إنجاز هذه المذكرة على مراجع كثيرة ومتنوعة منها ما هو قديم ومنها ما هو حديث ومنها ما هو باللغة العربية ومنها ما هو باللغة الأجنبية ورغم ما وجدت في أغلبها من اختلاف في نظرتها للأحداث والوقائع إلا أن أغلبها اعتمدت هي الأخرى على التوراة خاصة الأجنبية منها وأما المراجع باللغة العربية فقد اعتمدت على مجموعة منها من بينها:

- محمد بيومي مهران وكتابه: بنو إسرائيل بأجزائه الأربعة، وقد أفادني في دراسة تاريخ العبرانيين القديم وصلتهم بأرض كنعان وأوضاع مملكتهم في عهدي داود وسليمان بصورة خاصة.

- محمد عزة دروزة وكتابه: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، وقد أفادني في تحليل تاريخ العبرانيين من خلال ما جاء في التوراة ومقارنتها بما جاء في القرآن الكريم.

- فؤاد حسنين علي وكتابه: بنو إسرائيل، وقد اعتمدت عليه في دراسة الجانب الحضاري للمملكة العبرانية.

- كمال الصليبي وكتابه: التوراة جاءت من شبه الجزيرة العربية وما أحدثه من ضجة وما حاول إثباته من أن كل المواقع والأحداث الذي ذكرتها التوراة كانت في شبه الجزيرة العربية في شمال الحجاز وليست في فلسطين معتمدا في دراسته على تشابه أسماء بعض المواقع هناك مع ما جاء في التوراة وهذا ما قد يفتح الباب أمام امتداد نفوذ بني إسرائيل إلى جزيرة العرب إذا ثبتت صحة هذه الدراسة.

خطة المذكرة:

بعد إطلاعي على بعض المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع استطعت أن أضبط خطة هذا البحث، والحق يقال أن هذه الخطة قد طالها الكثير من التغيير كلما تجمعت لدي الكثير من المصادر والمراجع نظرا لثراء الموضوع وتعدد جوانب الدراسة، وتتكون الخطة في مجملها من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة مع قائمة المصادر والمراجع وفهارس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ونصوص التوراة التي اعتمدت عليها بكثرة، وفهارس الأعلام والأماكن والموضوعات الواردة في المذكرة.

يتناول الفصل الأول: هوية العبرانيين وإشكالية التسمية لديهم بالإضافة إلى أصلهم ونسبهم وأهم الهجرات التي عرفوها منذ عصر إبراهيم الخليل عليه السلام.

وأما الفصل الثاني: فقد خصصته لدراسة الظروف العامة قبل ظهور المملكة من إبراز لأهمية أرض كنعان الجغرافية والطبيعية التي تناولت العلاقات الدولية في الشرق الأدنى القديم في تلك الفترة وتأثيرها على قيام المملكة العبرانية ثم الزحف العبراني على أرض كنعان.

وفي الفصل الثالث: تناولت المملكة العبرانية في عهدي داود وسليمان عليهما السلام مع استعراض لأهم أعمال وإنجازات كل منهما ولماذا اعتبر عهدهما بصورة عامة وعهد سليمان بصورة خاصة هو العصر الذهبي للعبرانيين.

وفي الفصل الرابع: استعرضت الأوضاع العامة في المملكة من أوضاع سياسية وما جاء به النظام الملكي الجديد من تغيرات سياسية انتقل على إثرها العبرانيون من عصر البداوة والتنقل إلى عصر التمدن والاستقرار دون إهمال للأوضاع العسكرية التي كان لزاما عليها مسايرة هذا التطور لضمان الأمن داخليا والدفاع عن حدود المملكة من الغزو الخارجي، كما تعرضت أيضا إلى الأوضاع الاقتصادية وظهور أنشطة اقتصادية جديدة ظهرت مع الاستقرار، كظهور الزراعة التي تطلبتها البيئة الجديدة في كنعان وكذلك الصناعة وازدهار التجارة التي أصبحت موردا رئيسيا للمملكة. كما

استعرضت أهم التغيرات التي طرأت على المجتمع العبراني والتي كانت انعكاسا للتغيرات السياسية والاقتصادية بالدرجة الأولى.

وفي الفصل الخامس والأخير تعرضت للحياة الدينية وما يمثله الدين في حياة العبرانيين وما تتميز به ديانة التوحيد التي اختص بها العبرانيون دون الأقوام المجاورة لهم دون إهمال للجانب الثقافي والفكري في ظل المملكة وما جاءت به من مفاهيم جديدة.

ثم عالجت في النهاية انقسام المملكة العبرانية بعد سليمان محاولة التركيز على أسباب وعوامل الانقسام هل تعود إلى طبيعة النظام الجديد وإفرازاته أم تعود إلى أن من خلفوا سليمان لم يكونوا في نفس المستوى من الحيطة والدراية وبعد النظر مما عجل باضمحلال المملكة وزوال ملك العبرانيين من المنطقة.

وقد ضمنت هذا البحث مجموعة من الخرائط والأشكال التوضيحية التي ترتبط بالموضوع.

ثم ختمت المذكرة بخاتمة حاولت أن أضمنها بعض الاستنتاجات التي جاءت إجابة على الإشكالية المطروحة في المقدمة.

الفصل الأول

العبرانيون وهويتهم

المبحث الأول: العبرانيون وإشكالية التسمية

المبحث الثاني: أصلهم

المبحث الأول- العبرانيون وإشكالية التسمية: يجد الباحث في تاريخ العبرانيين وأوضاعهم نفسه أمام تسميات مختلفة أطلقت عليهم في فترات تاريخية متعاقبة، فتارة يعرفون بالعبريين وتارة ببني إسرائيل وتارة أخرى باليهود، وبذلك تعترض الباحث هذه الإشكالية، إشكالية تعدد التسمية واختلاف الباحثين حولها.

أولا- العبريون (العبرانيون): تعد هذه التسمية من أكثر التسميات إثارة للجدل بين الباحثين، فهناك فريق يرى أن لفظة عبري في العبرية جمعها " عبريم " وهي مشتقة في الأصل من الفعل الثلاثي " عبر " بمعنى قطع مرحلة من الطريق أو عبر الوادي، أو عبر السبيل.

ويرى بيومي مهران أن العبر بكسر العين وسكون الباء اسم موجود في اللغة العبرية[1] بكسرتين خفيفتين، ومعناها في اللغة العربية الجهة الأخرى التي يستلزم الوصول إليها اجتيازا وعبورا[2]، وهذا الاستعمال كان شائعا في اللغات السامية[3] وفي العبرية يقال " عبرها نهر " والأكادية[4] والأرامية[5]" عبر نهرا "، كما جاء ما يشبه ذلك في النقوش العربية الجنوبية القديمة أيضا[6].

---

(1) اللغة العبرية تنسب إلى العبريين الذين تركوا لهجتهم السامية القديمة عندما استقروا في كنعان الموطن الجديد، وبما أن لهجتهم كانت لهجة كلام فقط أخذوا فن الكتابة من جيرانهم الكنعانيين لغتهم وحروف الهجاء. أنظر: فليب حتي: تاريخ سوريا وفلسطين ولبنان،ج1، دار الثقافة بيروت، 1958، ص 221؛ وطه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات، ج2، ط2، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، 1375هـ -1956م، ص 300.

(2) محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل منذ عهد إبراهيم حتى عصر موسى، ج1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993، ص 29. حسن ظاظا: الشخصية الإسرائيلية، ط، دار القلم دمشق، 1420هـ -1999م، ص 25.

(3) الساميون: كان.أ.ل. شلوزر هو أول من استخدم تعبير السامية لوصف الشعوب ذات العلاقة بالعبريين ولغاتهم والتعبير مأخوذ عن اسم سام (شم بالعبرية) بن نوح، وهو الجد المزعوم للعبريين ولأقوام توراتية أخرى، وتتحدث التوراة العبرية عن شعوب تحدرت من سام دون أن تصفها بالسامية. أنظر كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، ط3، 1986، ص 29.

(4) الأكادية: تنسب اللغة الأكادية إلى جماعة بشرية كانت تعيش في المناطق المجاورة لبلاد السومريين، استقرت في مدينة آكاد على ضفة نهر الفرا، وعلى بعد مئتي ميل شمال غرب المدن السومرية، وهي جماعات سامية نزحت من الجزيرة العربية إلى الشام حوالي 3000ق.م. أنظر حلمي محروس إسماعيل: الشرق العربي القديم وحضاراته، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997، ص ص 13-14.

(5) الأرامية: هي إحدى اللغات السامية مثل اللغات الأشورية والبابلية والفينيقية والعبرية والعربية، كانت واسعة الانتشار في منطقة الشرق الأدنى القديم كلغة للكتابة والتخاطب، وهي ذات لهجات متعددة وتنسب للأراميين الذين هاجروا من شبه الجزيرة العربية كغيرهم من الساميين واتجهوا نحو بلاد الشام. أنظر حلمي محروس إسماعيل: المرجع نفسه، ص 167.

(6) حسن ظاظا: المرجع السابق، ص 25.

فبالعبرية تستعمل بمعنى عبر الوادي، أي الناحية الأخرى منه، عبر نهرا مثل نهر الأردن[1] أو عبر بحرا مثل البحر المتوسط[2].

وتجمع كلمة عبري على وزن عبريين، وقيل أيضا عبراني وجمعها عبرانيون وقد نسبت هذه التسمية إلى إبراهيم عليه السلام حيث تطلق عليه التوراة اسم إبراهيم العبراني[3] وهي مشتقة من الجذر الثلاثي العبري المقابل للجذر الثلاثي العربي " عبر " وهي في العبرية بمعنى انتقل أو ارتحل أو اجتاز وبذلك يكون معنى العبري المنتقل أو المرتحل أو العابر[4].

ويذكر بعض المؤرخين أن الكنعانيين هم أول من أطلق لقب العبري على إبراهيم عليه السلام ثم صار لقبا لبعض نسله من بعده، وقد اختلف الباحثون في تفسير سبب هذا الوصف، ومن هنا فإننا نحتاج إلى وثائق تشكل المرجعية اللغوية والاصطلاحية حتى نجيب على هذه الإشكالية التي لا تزال تواجه كل باحث يتصدى لهذا الموضوع، وعلينا بمواصلة البحث والتنقيب علنا نجد ما يشفي غليل الباحثين والدارسين.

وهناك من يرجح أن هذه التسمية ناتجة عن نزوح إبراهيم بأسرته من العراق إلى كنعان[5] وعبوره النهر، فأي نهر يا ترى؟ فهل هو نهر الأردن، أم نهر الفرات؟ فالتوراة تطلق كلمة نهر على الأنهار الكبيرة دون تمييز بعضها عن بعض وتحديدها في حين يعتقد جل الباحثين والمؤلفين أن النهر

---

(1) نهر الأردن: هو النهر الوحيد المهم في فلسطين والأردن، ينبع من جبل الشيخ في سوريا يجري لمسافة 160كلم، يعبر خلالها بحيرة الحولة، ثم يصب نهائيا في البحر الميت الذي ينخفض 400م دون مستوى سطح البحر، وتجعل منحدرات النهر الكثيرة الملاحة مستحيلة فيه، عمق النهر لا يتجاوز 1.5م، يشكل النصف الجنوبي من النهر الحدود بين الضفة الغربية ودولة الأردن، ويشكل القسم الشمالي جزاء من الحدود بين فلسطين من ناحية وسوريا والأردن من الناحية الأخرى، تستغل مياه نهر الأردن في الري وتوليد الكهرباء. أنظر أ.ء. الإسفات: الموسوعة العربية العالمية، ج$_1$، ط$_2$، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، السعودية، 1419هـ-1999م، ص 496.

(2) البحر المتوسط: هو البحر الموجود بين أوربا وآسيا وإفريقيا، مفصول عن المحيط الأطلسي بمضيق جبل طارق وعن البحر الأحمر بترعة (قناة) السويس، مساحته 3081856كلم^2 وقد عرف عند العرب بأسماء عدة، نلاحظ في الكثير منها أن اسم الجزء قد أطلق على الكل، مثل بحر إفريقيا، بحر الروم، بحر المغرب...الخ. أنظر محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين ، ج$_2$، دار الفكر، بيروت، د.ت، ص 49.

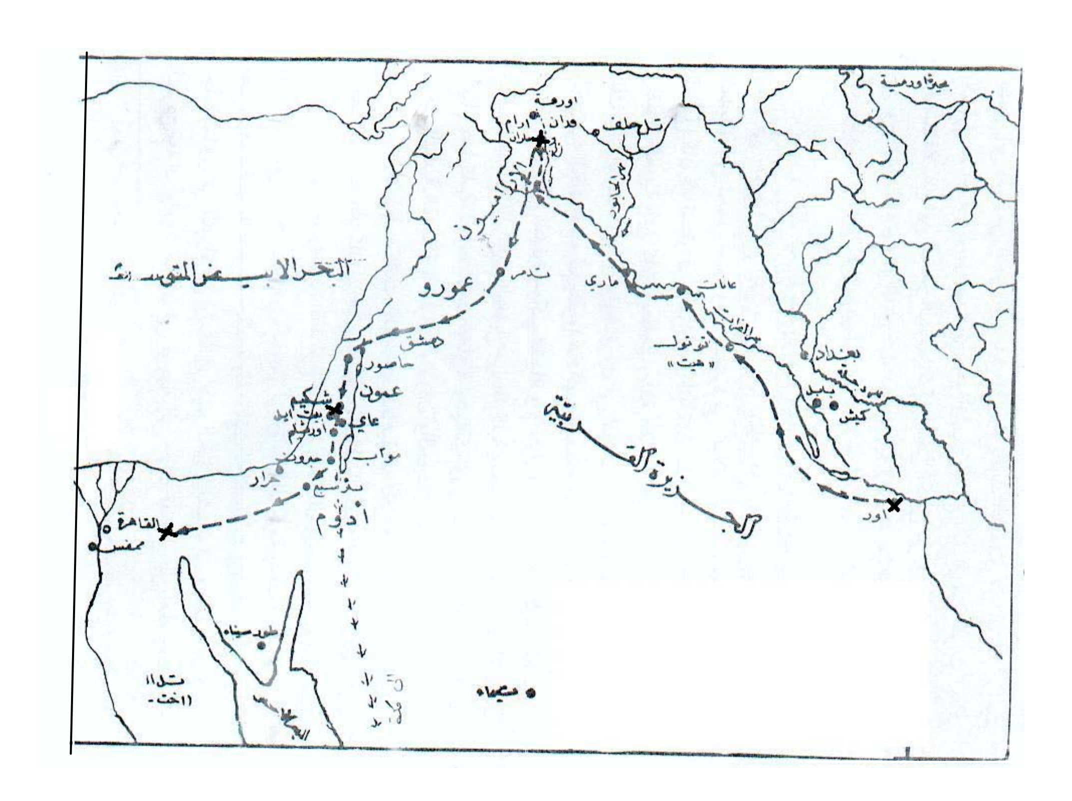
(3) سفر التكوين: 11: 12، 13.

(4) حسن أحمد محمد خليفة: تاريخ الديانة اليهودية، ط$_1$، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 1999، ص 22؛ حسن ظاظا، المرجع السابق، ص 23؛ محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 32.

(5) كنعان: هي موطن الكنعانيين الساميين الذين هاجروا من بلاد العرب حوالي منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد، واستقروا على الساحل السوري، ثم أطلق عليهم اليونانيون اسم الفينيقيين. أنظر محمد أبو المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، ط$_2$، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص 278.

المقصود هو نهر الفرات[1]، لأن الساميين قديما إذا قالوا: " عبر النهر " دون أن يذكروا اسم هذا النهر كانوا يقصدون به نهر الفرات.

الاتجاه الذي سلكه إبراهيم الخليل (ع) في طريقه من أور إلى حاران ثم إلى كنعان وإلى مصر 1900-1850ق.م



أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، المرجع السابق، ص563.

والواقع أن العبور من الفرات إلى الشام ومن الشام إلى العراق، كان أمرا مألوفا عند أولئك الساميين، فكان طريقا طبيعيا وأساسيا لقوافلهم وهجراتهم، كما تؤكد ذلك النقوش المسمارية والكنعانية المختلفة، وكما تشير إليه أسماء مواقع كثيرة اكتشفت على ذلك الطريق[2].

---

[1] الفرات: هو أحد الرافدين ويقال الوافدين والآخر دجلة، سمي بذلك لأنهما يجريان في جانبي بغداد، دجلة من شرقها والفرات من غربها. أنظر النويري (شهاب الدين أحمد عبد الوهاب): نهاية الأرب في فنون الأدب،ج$_1$، ط$_2$، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1347هـ-1929م، ص 255.

[2] حسن ظاظا: المرجع السابق، ص 25.

وجاء في التوراة أن يعقوب[1] هو الآخر قد عبر الفرات فارا من أصهاره في العراق نحو كنعان " **فهرب هو وكل ما كان له، وقام وعبر النهر وجعل سمته نحو جبل جلعاد** "[2][3] وتروي هذه القصة كيف أن لابان[4] صهر يعقوب قام بمطاردته حتى أدركه في بادية الشام فاتفق على الانفصال، وقال لابان ليعقوب: " **إن هذا الحجر وهذا النصب اللذين وضعتهما بيني وبينك يشهدان أني لا أعبر هذا الحجر إليك وأنت لا تعبر هذا الحجر، وهذا النصب نحوي للعدوان** "[5]، لذلك يميل بعض الباحثين إلى اعتبار عبور يعقوب لنهر الفرات أساسا لاسم العبرانيين، وكما ذكرنا سابقا فهم ينتسبون إلى عبر النهر كما ينتسبون إلى من قام بهذا العبور.

غير أنني أرى بأن هذا الاحتمال ضعيف لأن العبرانيين عرفوا بهذا الاسم حسب ما جاء في التوراة قبل عبور يعقوب لنهر الفرات.

وإذا كانت تسمية العبرانيين مرتبطة بتاريخهم في العبور فهناك عبور آخر أهم وأكبر حدث لهم من عبور الفرات ألا وهو عبور موسى[6] ببني إسرائيل واجتيازهم البحر هروبا من فرعون.

ويرى حسن ظاظا أن هذا العبور المعجز الذي انجر عنه غرق فرعون وجنوده في هذا البحر بقيادة مؤسس الشريعة اليهودية نفسه موسى عليه السلام، يكون أولى بانتماء العبرانيين إليه، وهم الحريصون على تسجيل المفاخر والانتصارات، فهذا الموقف أولى بالافتخار والانتماء إليه من الانتماء إلى عبور رجل خائف هارب من أصهاره[7].

---

(1) يعقوب: هو ابن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، وقد جاء بعد عشرين سنة من زواجه برفقة مع أخيه التوأم عيسو، وكان عمر والده إسحاق ستون سنة. أنظر ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ط2، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1958، ص 14.

(2) جبل جلعاد: هو جبل يقع شمال سوريا قرب الجولان.

(3) سفر التكوين: 31: 21.

(4) لابان: هو لابان بن بتوئيل الأرامي، أخ رفقة أم يعقوب وعيسو أبو الأدوميين، وصهر يعقوب الذي تزوج ابنته راحل. أنظر سفر التكوين: 28: 6، 29: 18، 19.

(5) سفر التكوين: 31: 51، 52.

(6) موسى: هو موسى بن عمران بن قاهت بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، ولد بمصر زمن فرعون الجبار، وهو الوليد بن مصعب بن معاوية بن أبي نمير بن أبي الهلواس بن ليث بن هران بن عمرو بن عملاق وهو الرابع كمن فراعنة مصر. أنظر الطبري (أبو جعفر ابن جرير): تاريخ الملوك والأمم، ج1، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص 224. الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1425-1426هـ/2005م، ص 171. ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج1، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ-1995م، ص 331؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج1، مطابع دار البيان الحديثة، القاهرة، 1422هـ-2003م، ص 217. وقال ابن الأثير هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهت بن لاوي. أنظر الكامل في التاريخ، ج1، ط5، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ-1985م، ص 95.

(7) حسن ظاظا: المرجع السابق، ص 27.

غير أن هذا التفسير ضعيف أيضا حسب رأينا لأن بني إسرائيل عرفوا بالعبرانيين قبل عبور موسى كما جاء في سفر الخروج عند الحديث عن نشأة موسى في مصر قبل خروجه مع قومه، " وإذا برجل مصري يضرب رجلا عبريا "، وقالت ابنة فرعون عن موسى: " **هذا من أولاد العبريين** "[(1)].

نحن نعلم أن التوراة كتبت بعد موسى بحوالي سبعة قرون، وفي ذلك الوقت كانت لفظة عبري قد اتخذت دلالة مقدسة تحول كل شيء إلى عصبيات عرقية عنصرية متصلة بالأنساب ومرتبطة بالأسلاف[(2)].

وعلى هذا الأساس هناك من يحاول ربط لفظة العبري بعابر أحد أجداد إبراهيم عليه السلام، وهذا حسب ما جاء في الإصحاح العاشر من سفر التكوين[(3)]. بأن العبريين كانوا يعرفون في زمانهم ببني عابر " بني عبر " وعابر هو جد الشعوب العبرانية، وكان من سلالة سام بن نوح، ولسام خمسة أبناء أحدهم أرامي (ءرم) جد الآراميين والأربعة الآخرين هم أرفكشاد وهو جد عابر الذي انحدر منه العبرانيون، وكان لعابر ابنان اثنان فالج (فلج) ويقطان (يقطن)، ومن الثاني انحدرت قبائل اليمن ومنها سبأ[(4)] (شبأ) وحضرموت[(5)]، والواضح أن هذه القبائل كانت تعتبر عبرانية، أي من بني عابر، أما ابن عابر الأول وهو فالج فمن سلالته أبرام العبراني (ابرم ه.عبري) الذي صار اسمه فيما بعد إبراهيم (عبرهم)، ولم يكن إبراهيم جد بني إسرائيل وحدهم، بل توجد من سلالتهم أيضا شعوب أخرى من نسل ابنه إسماعيل، والشعوب التي انحدرت من زوجته قطورة، هذا بالإضافة إلى أن ابنه إسحاق كان بدوره له ولدان توأمان هما عيسو ويعقوب كما سبق الذكر، ويذكر سفر التكوين أن عيسو سمي فيما بعد أدوم

---

(1) سفر الخروج 2: 11.

(2) حسن ظاظا: المرجع السابق، ص 27.

(3) سفر التكوين: 12: 12.

(4) سبأ: بفتح أوله وثانيه وهمز آخره وقصره، أرض اليمن مدينتها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام، وسميت بهذا الاسم لأنها كانت منازل ولد سباء بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وسمي سبأ لأنه أول من سبى السبي. أنظر يقوت الحموي: معجم البلدان، المجلد الثالث، دار صادر، بيروت، د.ت، ص 181؛ القزويني (زكريا بن محمد بن محمود): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت، 1380هـ-1960م، ص 40.

(5) حضرموت، هي ناحية واسعة شرقي عدن، قرب البحر وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف، وبها قبر هود عليه السلام، وبينها وبين صنعاء مسيرة أحد عشر يوما، وبينها وبين عدن مسيرة شهر. قال عمر بن معدي كرب:

والأشعثُ الكندي حين إذ سما لنا
من حضرموت مجنب الذكران
قاد الجياد علي وجاها أشريا
قب البطون نـ واحل الأبدان

أنظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، المجلد 2، ص 270.

(ءدوم) وهو جد الأدوميين، ويعقوب الذي سمي فيما بعد إسرائيل، ومن أبنائه الاثنا عشر انحدرت قبائل وأسباط[1] بني إسرائيل[2].

وهكذا نرى أن بني إسرائيل بهذا المفهوم كانوا يشتركون في مصطلح العبرانيين مع شعوب أخرى كثيرة، وهذا يدفعنا إلى التساؤل لماذا ينسب إبراهيم نفسه إلى جده عابر وليس سام أشهر أجداده؟ وهل ظهرت هذه التسمية قبل عبوره نهر الفرات وهو ما زال في أرض عشيرته؟.

وهناك فريق آخر يرى أن كلمة (عبر) لا تعود إلى حادثة بعينها أو شخص بعينه إنما تدل على الموطن الأصلي للعبرانيين وهو الصحراء، حيث كانوا في الأصل أمة بدوية، صحراوية غير مستقرة في مكان، ترحل من مكان إلى آخر بإبلها ومواشيها بحثا عن الماء والكلأ.

---

[1] أسباط: صيغة جمع مفردها (سبط) وهي كلمة عربية تعني ولد الابن أو الابنة، وقد قال رسول ا صلى ا عليه وسلم: " حسن مني وأنا من حسين، أحب ا من أحب حسين، حسين سبط من الأسباط "، وفي رواية أخرى قال أيضا: " الحسن والحسين سبطان من الأسباط ". أنظر ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص 175. وقد أنشد علي بن أبي طالب كرم ا وجهه قائلا:

أنا أخو المصطفى لاشك في نسبي معه ربيت وسبطاه هما ولدي

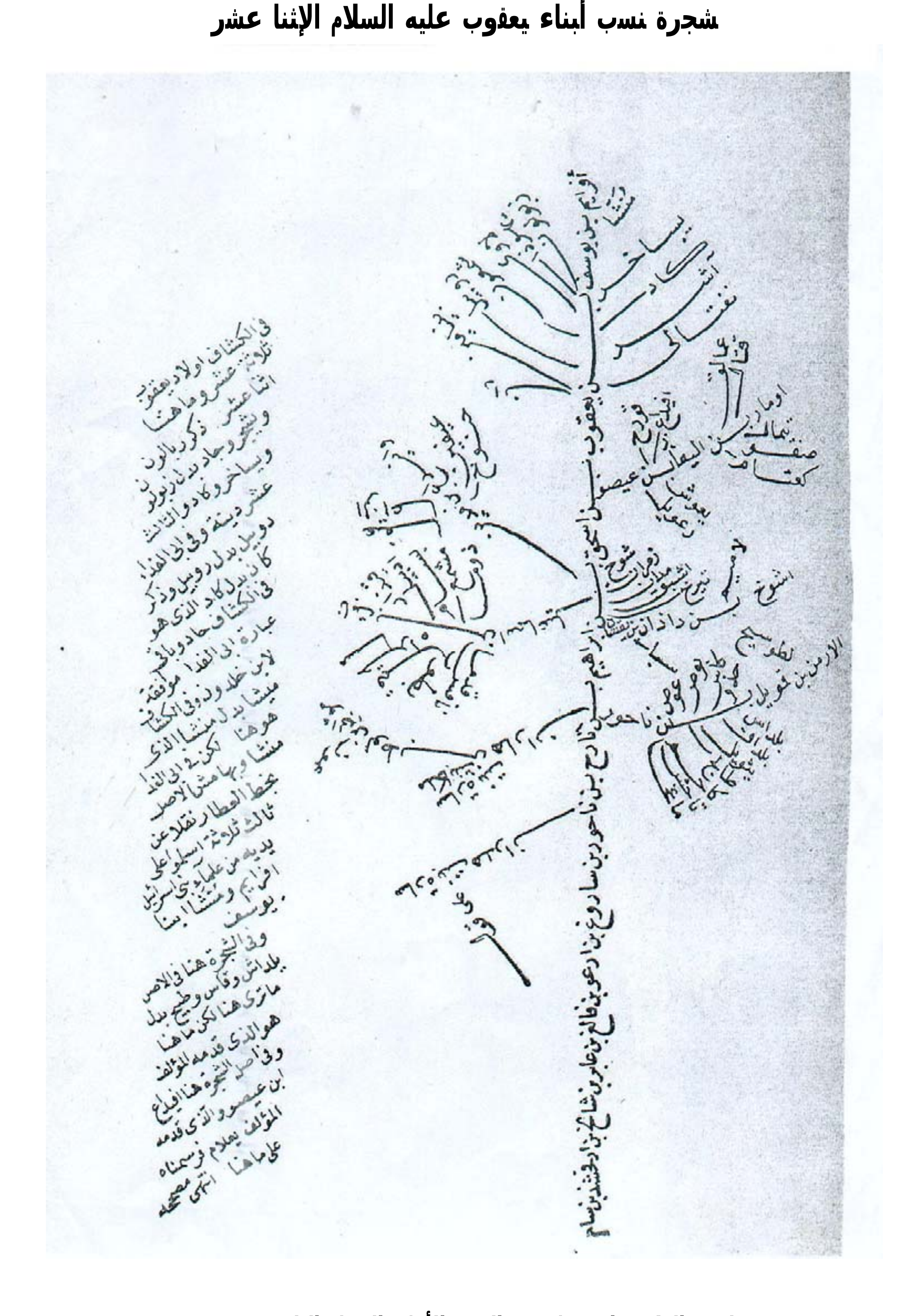
أنظر ابن كثير: المصدر نفسه، ج8، ص 8.

وفي النصوص الدينية تستخدم كلمة السبط للإشارة إلى القبائل العبرانية، وفي العبرية سبط: عصا، أي جماعة يقودها رئيس بعصا، ويطلق تعبير أسباط أو قبائل على أولاد يعقوب، وكذلك كل من إفراييم ومنسي ابني يوسف عليه السلام. أنظر حسن نعمة: موسوعة الأديان السماوية والوضعية، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994، ص 1898.

وقال تعالى: ﴿قُولُوا آمنا بالله وما أُنزِلَ إِلَينا وما أُنزِلَ إِلَى إِبراهيم وإسماعيلَ وإِسحاق ويعقُوب والأسباط﴾ سورة البقرة الآية 136. وقيل السبط بالتحريك وهو الشجر أي في كثرة بمنزلة الشجرة الواحدة، وقال القرطبي: السبط الجماعة والقبيلة الراجعون إلى أصل واحد. أنظر تفسير ابن كثير، ج1، ط2، دار الفيحاء دمشق، دار السلام الرياض، 1418هـ-1998م، ص 257.

[2] كمال الصليبي: المرجع السابق، ص 236.

شجرة نسب أبناء يعقوب عليه السلام الإثنا عشر



تاريخ العلامة ابن خلدون، القسم الأول، المجلد الثاني، ص84.

ومن هنا فإن كلمة عبري مرادفة لكلمة بدوي أي ساكن الصحراء أو البادية[1]، ويرى أحمد سوسة أن الدور الهام الذي لعبه أهل البادية في تطوير حياة المنطقة بعد توغلهم في جميع أنحائها عبر هجراتهم المتتالية، يوضح ظاهرة اهتمام الأقوام القديمة بالعبيرو (أهل الصحراء).

والملاحظ أن أكثر من كتبوا في تاريخ بني إسرائيل من الإفرنج يستعملون كلمة (عبري) أو (عبر) مغايرة لمعناها الذي جاء في المصادر القديمة، حيث كانت تطلق في الألفية الثانية قبل الميلاد وفيما قبل ذلك على مجموعة كثيرة من القبائل العربية في شمال جزيرة العرب وبادية الشام، وكانت اللغة العبرية لغة هؤلاء القوم آنذاك، لغة فلسطين الكنعانية، ولغة القبائل العربية في سيناء وشرق الأردن[2].

وذهب البعض إلى أن كلمة عبري أول ما ظهرت في سفر التكوين وردت للدلالة على إبراهيم، ثم جاءت للدلالة على بني إسرائيل أثناء وجودهم في مصر، فكانت تطلق عليهم عند الحديث عنهم في مقابل أصحاب الأرض المصريين[3].

وقد عثر الباحثون على اسم (عبيرو) في ورقتين من أوراق البردى كتبتا في القرن الثالث عشر ق.م إحداهما نسبت إلى كاتب يسمى "كويسر" أرسلها إلى رئيسه "بكنفتاح" يقول فيها: " استرضاء لسيدي أتممت أمره الذي أنفذه إلي قائلا: أعطي الجنود قوتهم، وأعطي أيضا " العبيرو " الذين ينقلون الحجارة لبناء الملك رعمسيس "، أما الرسالة الثانية فقد أسندت إلى كاتب آخر يدعى كينا كتبها إلى رئيسه كيجانا يقول فيها: " أطعت ما أمرني به سيدي قائلا: إعطي الجنود أرزقاهم و" العبيرو " أيضا الذين ينقلون الحجارة لهيكل الشمس الذي انصرفت إليه عناية رعمسيس "[4][5].

ووردت كلمة " الابري " و" الهيبري " و" الخبيرو " و" العبيرو " في المصادر المسمارية والمصرية، فالمصادر المصرية تحدثت كما ذكرنا سابقا عن جماعات "عبيرو " التي وجدت في مصر

[1] محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص 30-31؛ موسى معيرش: الديني والسياسي في اليهودية والإسلام بين المقدس والمدنس، مكتبة اقرأ، قسنطينة، 2007، ص ؛ محمد ضياء الرحمن الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، مكتبة الرشد، د.ت، ص 65.

[2] أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، ط7، العربي للإعلام والنشر، دمشق، د.ت، ص 540-541.

[3] سفر الخروج: 1: 16، 17، 19. أحمد عثمان: تاريخ اليهود، ج1، مكتبة الشرق، القاهرة، د.ت، ص 11. محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 34.

[4] هاتان الرسالتان كتبتا في عهد الملك رعمسيس الثاني من الأسرة 19 الذي حكم من 1292 إلى 1225 ق.م.

[5] محمد عزة دروزة: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1389هـ - 1969م، ص 31.

منذ أيام أمنحتب الثالث[1] في القرن الخامس عشر ق.م وفي أيام رمسيس الرابع[2] بعد ذلك بثلاثة قرون، وكانت تعني العمال الذين يقومون بالأعمال الشاقة، كأعمال البناء وقطع الحجارة أو نقلها[3]. أما كلمة " خبيرو " فظهرت هي الأخرى في العديد من رسائل تل العمارنة[4] وفي نقوش من دولة الكيشيين التي أعقبت الأسرة البابلية في العراق، وفي بقايا حيثية بتركيا، وفي وثائق أشورية من حفائر نوزي القريبة من كركوك شمال العراق[5]، والتي تعود إلى نهاية القرن الخامس عشر ومنتصف القرن القرن الرابع عشر ق.م، ورسائل ملوك كنعان حيث كانت جماعات " خبيرو " و"ساجعز " تهدد العديد من الممالك في جنوب فلسطين وشمالها.

يشير أحمد عثمان قائلا: " تدل المعلومات المتوافرة لدينا الآن على أنه في الوقت الذي ظهر إبراهيم حوالي منتصف القرن الخامس عشر ق.م ظهرت فجأة على ساحة بلدان الشرق القديم جماعات متنقلة تبحث عن مستقر لها "[6].

وهناك من المؤرخين من يحاول إيجاد العلاقة بين التسميتين " خبيرو " و" عبيرو " فإبراهيم وعشيرته الذين كانوا ينتسبون إلى " الخبيرو " أو " العبيرو " في منازلهم الأول في العراق هم فقط الذين جاءوا إلى فلسطين، ونزح منهم يعقوب وأولاده إلى مصر فيما بعد، وبقي الباقي في فلسطين وشرق الأردن[7].

غير أن المؤرخ محمد عزة دروزة يذكر أنه لم يرد أي ذكر للقبائل " الخابيرو " الذين كانوا في فلسطين حينما خرج بنو إسرائيل بقيادة موسى عند قدومهم مع النبي يوشع عليه السلام.

---

(1) أمنحتب الثالث: من أشهر ملوك الأسرة الحادية عشرة الطيبية 2851-2064 ق.م، له صورة في جزيرة الكنوز، وهو منتصر على أمم أجنبية وله وقائع منقوشة بإتقان في واد الحمامات بمديرية قانا، كان هذا الملك يخص بالعبادة الإله خم. أنظر محمد فريد وجدي: المرجع السابق، ص 20.

(2) رمسيس الرابع: هو أحد ملوك الأسرة العشرون الطيبية، من سنة 11228-1110 ق.م، وملوك هذه الأسرة اثنا عشر ملكا أطلق كل منهم على نفسه اسم رمسيس، ومن بينهم رمسيس الرابع وهو ابن رمسيس الثالث، وكان عهده عهد سلام، ومات بعد أن حكم إحدى عشرة سنة، وقد وجدت جثته في قبر أمنحتب الثاني بطيبة، وهي محفوظة بالمتحف المصري. أنظر محمد فريد: المرجع نفسه، ج9، ص ص 30-31.

(3) رجا عبد الحميد عرابي: سفر التاريخ اليهودي، ط1، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، 1425هـ-2004م، ص 49.

(4) رسائل تل العمارنة: هي مجموعة من الرسائل الدبلوماسية التي أرسلها ملوك وأمراء ممالك شرقي آسيا إلى الملوك المصريين، وهي رسائل آجروية بالية الخط واللغة، عثر عليها في المكان المعروف اليوم بتل العمارنة، وكانت تعرف قديما مدينة أتون. أنظر: طه باقر: المرجع السابق، ص 68.

(5) رجا عبد الحميد عرابي: المرجع السابق، ص 49.

(6) أحمد عثمان: المرجع السابق، ص 12.

(7) محمد عزة دروزة: المرجع السابق، ص 33.

أما بالنسبة " للخابيرو " أو " العابيرو " القادمين من العراق القديم فمن الممكن أن يكونوا قد انقسموا بعد دخولهم إلى فلسطين إلى قسمين، قسم تسلل إلى مصر وهم الجماعة التي ذكرتها رسائل تل العمارنة، أما القسم الذي بقي منهم فقد استقر في الأرياف والمدن سواء في فلسطين أو في شرق الأردن، حيث يذكر سفر التكوين أن هذه الجماعة عرفت فيما بعد بالمؤابيين والعمونيين والأدوميين، وألحق الباحثون الجماعتين الأولى والثانية بلوط[1] عليه السلام، في حين ألحقوا الجماعة الثالثة بعيسو حفيد إبراهيم عليه السلام.

وفي هذه الحالة يبقى ذكر إبراهيم كجد للعبرانيين والمؤابيين والعمونيين والأدوميين هو أصل احتفاظهم بهذه التسمية، في حين احتفظ القسم الثاني الذي هاجر إلى مصر باسم " الخابيرو " مع استبدال الخاء بالعين فسموا " بالعابيرو " التي وردت في معظم الآثار المصرية[2]) إذ كانت هذه الجماعات تستخدم من طرف بعض الحكومات المحلية في أعمال البناء الصعبة، ثم تتخلص منها بعد انتهاء العمل.

وبما أن غالبية الهجرات البشرية الكثيرة التي جاءت إلى منطقة الهلال الخصيب في الأزمنة القديمة كان مصدرها الجزيرة العربية حسب جل المصادر التاريخية، فعابر الذي هو مصدر كلمة " عبيرو " المصرية، وخبر مصدر " خابيرو " الأكادية، هما اسمان عربيان لجماعات كان موطنها الأصلي في جنوب الجزيرة العربية، وهناك بقايا لقبيلة عابر تعيش حتى الآن في منطقة الحمراء شرقي دولة عمان بالقرب من " نزوة " التي كانت عاصمة الدولة قبل مسقط، ويعود أصل قبيلة العبريين إلى هود[3] عليه السلام نبي قوم عاد، وهناك مدينة عبري في المنطقة نفسها[4].

وقد دلت التحريات الحديثة على أن العبيرو (Hupirus) قد غزو مدينة أريحا قبل عهد موسى عليه السلام بحوالي قرنين من الزمان، ثم اختفى ذكر موسى وأتباعه في المنطقة.

ويتحفظ بعض العلماء بأن العبري والخابيرو من أصل واحد، إذ يشيرون أن العبري صفة تدل على النسب أو الانتماء لوجود ياء النسبة في آخرها، بينما الخابيرو لا تعني غير المزاملة والمرافقة،

---

(1) لوط عليه السلام: هو لوط بن هاران بن تارح ابن أخ إبراهيم عليه السلام، هاجر مع عمه إبراهيم مؤمنا به متبعا له على دينه إلى الشام ومعهما سارة وبعث إلى أهل سدوم وكانوا أهل كفر با وركوب للفاحشة. أنظر ابن الجوزي: المصدر السابق، ج1، ص ص 282-283.

(2) محمد عزة دروزة: المرجع السابق، ص 34.

(3) هود عليه السلام: هو هود بن عبد ا بن رياح بن الخلود بن إرم بن سام بن نوح، وقيل عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، أرسله ا إلى قوم عاد لما تجبروا وعتوا وعبدوا الأوثان فدعاهم إلى التوحيد فكذبوه، وأهلكهم ا بريح عاتية. أنظر ابن الجوزي: المصدر السابق، ص 252. و الطبري: المصدر السابق، ج1، ص132.

(4) أحمد عثمان: المرجع السابق، ص 13-14.

فهي تدل على مجموعة من الناس تقوم بعمل واحد أو تقيم بإقليم واحد دون أن تنتسب إلى أصل واحد[1].

ويذهب البروفيسور بورجير إلى أن معنى " الأبيرو " هو مغبر أو مغطى بالغبار، وبمرور الزمن أصبح هذا الاصطلاح يدل على الأجنبي أو المهاجر، وقد علّق فرويد على قضية " العبيرو " قائلا: " نحن نعرف أخبار هؤلاء المحاربين من الوسائل المكتشفة عام 1897 في سجلات مدينة العامرنة المتهدمة فهي تسميه باسم "عبيرو" فقد أطلق هذا الاسم فيما بعد على الغزاة الجدد "[2].

ويوضح بيومي مهران أن الكلمة في نصوص نوزي[3] تعني الجنود الرحل، الذين كان يستأجرهم قادة الجيوش مقابل غنائم، أو أجر ولم يكونوا حتى مرتزقة نظاميين، وباختصار فهم يمثلون اصطلاحا شاملا أطلق على المنبوذين أو العصابات التي لا تنتسب إلى أي مجموعة جنسية، وتظهرهم النصوص المصرية على أنهم أسرى آسيويين يستخدمون في المحاجر[4].

ومن العلماء من رأى أن هذه الأسماء " عابيرو " في رسائل العمارنة و" آل عفر " في النصوص المصرية واسم عبرين بالعبرية كانت لا تطلق قديما على جماعة معينة أو شعب معين، بل على طبقة منبوذة من قطاع الطرق والمرتزقة والباعة المتجولين الذين لا يخضعون لأية سلطة مركزية، ولو كان ذلك صحيحا بالنسبة إلى خابيرو، خا- في- رو والعفرم أو العفر، فهو لا ينطبق بأي حال من الأحوال على العبرانيين التوراتيين، فلو كان الأمر كذلك لكتب بالمسامرية عا- بي- رو، وليس خا- في- رو وبالأوغاريتية[5] عبرم وليس عفرم، وبالمصرية عبر وليس عفر، وكتب في رسائل تل العمارنة أبيرو وليس خابيرو لأن العين في اللغات السامية لا يمكن أن تتحول إلى خاء والباء إلى فاء، فالأغاريتيون والأشوريون والبابليون كانوا يتكلمون لغات سامية، فمن غير المعقول أنهم وجدوا صعوبة في لفظ العين في عبريم فجعلوها خاء أو الباء فجعلوها فاء[6].

---

(1) حسن ظاظا: المرجع السابق، ص 25.

(2) أحمد سوسة: المرجع السابق، ص 542.

(3) نصوص نوزي: تنسب إلى مدينة نوزي جنوب شرق نينوي، وفي ألواح نوزي شواهد توضح ما جاء في سفر التكوين فقد كشفت عن قانون مشابه لقوانين الأسلاف، وأهل وزي شعب ذكر في التوراة باسم الحوريين (Horite). أنظر: مصطفى كمال عبد العليم، سيد فرج راشد: اليهود في العالم القديم، ط$_1$، ص 39.

(4) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص 33.

(5) الأوغاريتية: نسبة إلى أوغاريت وهي مدينة فينيقية ساحلية، اشتهرت بمينائها المقابل لجزيرة قبرص، كانت مدينة تجارية هامة، واسم أوغريت معناه حقل، ويرجح أنها كلمة سومرية. أنظر: فيليب حتي: المرجع السابق، ص 123.

(6) كمال الصليبي: المرجع السابق، ص 237.

وتذكر التوراة أن إبراهيم كان مقيما في " حرش ممرا " أي كان مسكنه الأحراش أو الغابات، فلفظة عبر إذا قرأت بالغين (الغبر) وهو بالعربية جمع " الغبرة " و" هي الأرض الكثيرة الشجر والنبت " ومن المرجح كما يرى كمال الصليبي أن اسم عبر التوراتي قد يكون غبر بالغين وبذلك يصبح معنى العبرانيين " أهل الغبر " أي " أهل الأحراش "[1].

وقد حدد فريق من العلماء، أمثال "هول" و"أوسترلي" و"وولي" و"أولبرايت" و"دريتوون" و"فاندييه" و"ياهور لبيب" و"أحمد بدوي" و"ميك" في الأعوام القليلة الماضية أن الخابيرو هم العبرانيون في التوراة ولكن اليوم أصبح هذا الأمر مستبعدا من طرف أغالبية الباحثين والمحققين الأكاديين.

ذهب الدكتور جون ويلسون، إلى أن هؤلاء الخابيرو أو العابيرو لم يكونوا من بني إسرائيل، وأنه من المرجح أن هذه الكلمة تدل على اسم بعض القبائل البدوية في شرق الأردن، في حين يرى "ادوارد دروم" أن العلاقة بين اللفظين مشكوك فيها فكلمة " خبيرو " صفة تعني الرفيق أو الحليف أو الشريك، بينما كلمة عبري مشتقة من الفعل السامي الشائع، في العربية كما سبق ذكره عبر أي اجتاز.

ويستبعد بعض العلماء توحيد العبرانيين بالجوالين من العابيرو أو الخابيرو وينفي بعضهم العلاقة بينهما تماما، لأن كلا منهما يرجع إلى أصل مختلف عن الآخر رغم تشابه بعض حروفهما وهذا ما دفع بعض المستشرقين إلى الربط بينهما ربطا لغويا. بل أن "أولبرايت" الذي نادى بالتوحيد، يرى أنه أمر غير مؤكد[2].

ومهما يكن من أمر فإن اسم الخابيرو لم يطلق على شعب بعينه ولا على طائفة لها لغتها وجنسيتها الخاصة بها، بل كانوا قوما يتألفون من سلالات مختلفة يحمل معظمهم أسماء سامية، ولكنهم يدعون لأنفسهم صلات لغوية أخرى.

ويتحفظ أكثر العلماء من أن العبيرو والخبيرو من أصل واحد، فكلمة عبري صفة تدل على المزاملة والمرافقة فهي تدل على مجموعة من الناس تقوم بعمل واحد أو تقيم في إقليم واحد دون أن تنتسب إلى أصل واحد[3].

وقد استخدمت كلمة عبري في مختلف مراحل التاريخ اليهودي ككلمة مرادفة لكلمة يهودي كما جاء في سفر أرميا 34: 9 " **حتى يطلق كل امرئ عبده وأمته، العبري والعبرية حرين فلا يستعبد أحد إنسانا يهوديا من إخوته** "[4].

---

[1] كمال الصليبي: المرجع نفسه، ص 238.

[2] محمد بيومي مهران: ص 31-32-33.

[3] حسن ظاظا: المرجع السابق، ص 25.

[4] سفر أرميا، 34: 9.

كما استعملت كلمة عبري كمرادف لكلمة إسرائيلي أيام النبي صمويل حيث: قال أحد الفلسطينيين محرضا على قتال بني إسرائيل: " **تشجعوا يا أهل فلسطين وكونوا رجالا، حتى لا تستعبدوا للعبريين كما استعبدوا هم لكم، فكونوا رجالا وقاتلوا** "[(1)].

وبعد العودة اليهودية من السبي البابلي في القرن الخامس عشر ق.م، أصبح استعمال اسم العبريين خاص بالرعيل الأول من اليهود (أي أيام يعقوب ويوسف وموسى، حتى فترة ما قبل السبي البابلي[(2)] حيث أوشكت اللغة العبرية أن تموت في ذلك الوقت وكانوا يسمونها " لسان عابر "[(3)]. وتتحدث التوراة عن العبرانيين بصفتهم غرباء عن اليهود وليسوا منهم.

فقد ورد في الأحكام التي وصفها موسى عليه السلام لأتباعه ما يشير إلى أنه الإسرائيلي أو اليهودي غير العبري: " **إذا اشترى عبدا عبرانيا فست سنوات يخدم وفي السابعة يخرج حرا مجانا** "[(4)] وتذكر التوراة أن العبيد يجب أن يكونوا من غير بني إسرائيل أيضا[(5)]، "**عبيدي الذين أخرجتهم من أرض مصر لا يباعون بيع العبيد... وأما إخوتكم بنو إسرائيل فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف... وإذا بيع أخوك للغريب المستوطن عندك أو بنسب عشيرة الغريب فبعد بيعه يكون له، فكاك يفكه واحد من إخوته، وهذا ما يدل على أن العبراني هو غير اليهودي في عرف التوراة نفسها**"[(6)].

وحين تحدثت التوراة عن لغة الموسويين لم تقل لغة العبرانيين وإنما سمتها، بشفة كنعان، أي لسان كنعان، ثم يهوديت ولسون حقوديس " وهي تعني اللسان المقدس "[(7)].

وهناك فريق آخر من الباحثين لاحظ التقارب الوثيق بين اللفظين عربي[(8)] وعبري كأنهما تكونان من أصل واحد، لكن أيهما اشتق من الآخر؟ فالأستاذ عبد الحق فاضل في مقاله في سومر، ثم

---

(1) سفر صموئيل، 4: 19.

(2) وبذلك نستنتج أن تسمية عبري اقترنت بفترة زمنية معينة من تاريخ الشعب العبراني أي حتى السبي البابلي ثم تظهر تسميات أخرى أصبحت الشائعة كاليهود وبني إسرائيل.

(3) حسن ظاظا: المرجع السابق، ص 24.

(4) سفر الخروج: 21: 2.

(5) نلاحظ أن التوراة لم تتقيد بالتسلسل الزمني حيث اعتبرت بني إسرائيل موجودين في كل الأزمنة حتى قبل أن يخلق إسرائيل كما تسمي أتباع موسى الذين نزحوا إلى فلسطين بعد إسرائيل بزهاء ستمائة سنة بني إسرائيل أيضا، أنظر أحمد سوسة: المرجع السابق، ص 542.

(6) وهنا نستنتج التناقض الصارخ في روايات التوراة فتارة تلقب اليهود بالعبرانيين وتارة تخاطبهم على أنهم غرباء عنهم.

(7) أحمد سوسة: المرجع السابق، ص 544.

(8) عربي: اختلفت الآراء في تحديد معنى كلمة عرب ومصدر اشتقاقها فمنهم من يرى أنها مشتقة من الفعل " يعرب " بمعنى يفصح في الحديث ومن ثم فقد أصبحت تدل على العرب لفصاحتهم، وهناك فريق يرى العكس أي أن الفعل يعرب هو الذي اشتق من كلمة " عرب " بينما ذهب فريق آخر إلى أنها مشتقة عن أصل سامي قديم بمعنى " الغرب " وأن سكان بلاد الرافدين

في كتابه "مغامرات لغوية" يرى أن العربية والأرامية والعبرية مشتقة من أصل واحد ومن كلمة واحدة هي العربية باعتبارها أم اللغات السامية وأكثرها شبها بها، ومن ثم فالعبري اشتق من العربي عن طريق القلب، وما أكثر ما صنعت العرب ذلك منذ أقدم عهودها[1] "، غير أن الدكتور أحمد سوسة يختلف معه في ذلك، إذ يرجح أن العربي هو المشتق من العبري، لأن لفظ العبري سبق زمنيا عن لفظ عربي، فأقدم ذكر لكلمة " العبيرو " و" الخبيرو " و" الهبري " (العبري) يرجع إلى القرن الخامس عشر ق.م (رسائل تل العمارنة) بينما لفظة " عربي " فأقدم ذكر لها ورد في الكتابات الآشورية في نقش للملك الآشوري شلمنصر الثالث (852–824 ق.م) وقد سمي ملوك بلاد العرب بملوك العريبي، وكلمة العريبي كانت تطلق على الأراميين والأدوميين وهذا ما يدل على أن الآشوريين كانوا يعتبرون الأراميين والأدوميين من العرب[2].

وقد اختلف العلماء في الكيفية التي نقلت منها كلمة عريبي من النصوص الآشورية فجزئت Arabi. Aribi. Arab.Arbi. Urbi [3] وهذا ما يرجح الاحتمال بأن كلمة عربي تحريف للعبري بالتقديم والتأخير، وقد وردت تسميات " العرب " و" ملوك العرب " و" بلاد العرب " و" الأعرابي " في العهد القديم (التوراة) ويذكر أحمد سوسة أن الدكتور "ولفنسون" أيد ذلك قائلا: " وليلاحظ أن كلمة عبري ترتبط بكلمة عربي ارتباطا لغويا متينا لأنهما مشتقان من أصل واحد وتدلان على معنى واحد... إن كلمة عبري تؤدي المعنى الذي تؤديه كلمة عربي نفسها أي أن العبريين هم قبائل رحل كانت تنتقل بخيامها وإبلها من مكان إلى آخر، وكان هذا الاسم يطلق على بني إسرائيل (أبناء يعقوب) والقبائل الرحل التي كانت تسكن في جهات طور سيناء وبادية سورية وفلسطين "[4].

يبدو من خلال هذه التفسيرات لكلمتي عبري وعربي أن هناك تقاربا واضحا بين اللفظين قد يرجح أنهما من أصل واحد رغم أن كلمة عبري سابقة في الظهور عن كلمة عربي كما هو واضح.

هم من أطلق عليهم هذا الاسم لأنهم يقطنون غرب العراق (البادية) والتي كانت تعرف " أرض عريبي " وهناك من يرى بأنهم نسبوا إلى يعرب بن قحطان أول من تكلم بلسان عربي، حيث قال:

أنا ابن قحطان الهمام الأكبر ... وذو البيان واللسان الأسهل

نفـرت والأمـة فـي تبلبل ... نحو يمين الشمس في تمهل

أنظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج4، ص 96؛ محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1999، ص ص 137-139.

(1) محمد بيومي مهران: تاريخ العرب القديم، المرجع نفسه، ص 143.

(2) أحمد سوسة: المرجع السابق، ص 550.

(3) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت، ص 43.

(4) أحمد سوسة: المرجع السابق، ص152؛ رجا عبد الحميد عرابي: المرجع السابق، ص 52.

وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم لمعرفة أصل هذه التسمية نلاحظ أن كلمة عبري أو "عبراني" لم ترد في القرآن الكريم إطلاقا، الذي كان يذكرهم بتسمية بني إسرائيل أو قوم موسى، ويهودا[1]، كما أن العرب في عهد الرسول (ص) لم يعرفوا اليهود سوى بالتسميات - السابقة الذكر-، حيث قال تعالى: ﴿ يا بنِي إسرائيلَ اذكُروا نِعمتي التي أنعمت علَيكُم وأني فَضلْتكُم علَى العالَمين ﴾[2].

وذكرهم القرآن أيضا مخاطبا قوم موسى على لسانه: ﴿يا قَومِ إنكُم ظَلَمتم أنفُسكُم بِاتخاذكُم العجلَ فَتوبوا إلَى بارِئكُم ﴾[3] وبعد انحراف قوم موسى، عن التوراة أصبحوا يعرفون باليهود، حيث قال تعالى: ﴿ من الذين هادوا (أي اليهود) يحرفُونَ الكَلم عن مواضعه ويقُولُونَ سمعنا وعصينا﴾ [4].

ومن خلال استعراضنا لمختلف الآراء يبدو أن تسمية عبري أو عبراني قد اختلف فيها العلماء من حيث أصلها واشتقاقها ومدلولها، ومن حيث ارتباطها فعلا باليهود أيضا، فهل حقا هم العبرانيون أم أنهم أرادوا ربط تاريخهم بأدوار تاريخية لم يكن لهم وجود فيها بدليل أن القرآن الكريم لم ترد فيه كلمة عبري أو عبراني مطلقا وإنما كان يذكرهم بالتسمية بني إسرائيل أو اليهود أو قوم موسى - كما سبق ذكره - وهذا دليل آخر على أن كلمة " عبر " لم يسبق أن استعملت للدلالة على اليهود في تلك العصور التاريخية.

ثانيا: الإسرائيليون: يتفق أغلب الكتاب والمؤرخين على أن هذه الكلمة تنسب إلى إسرائيل، وإسرائيل هو الاسم البديل الذي أصبح يعرف به يعقوب[5] بينما كان في مدينة بيت إيلا الواقعة غربي أريحا قبل مولد بنيامين آخر أبنائه[6].

وهذه التسمية هي المفضلة عند اليهود على باقي التسميات التي عرفوا بها عبر تاريخهم فهي موضع فخرهم واعتزازهم[7]، وقصة هذه التسمية وردت في سفر التكوين على روايتين مختلفتين:

---

(1) أحمد سوسة: المرجع السابق، ص 548.

(2) سورة البقرة: الآية 47.

(3) سورة البقرة: الآية 54.

(4) سورة النساء: الآية 46.

(5) هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام جميعا وأمه هي رفقة التي ولدت توأمين هما العيص أو عيصو أو عيسو ويعقوب الذي خرج وهو آخذ بعقب أخيه وكان عمر إسحاق آنذاك ستون سنة، وقيل أن عيصا ويعقوب اعترضا في بطن أمهما فقال العيص: أنا أخرج قبلك، فخرج عقب عيصا، وسمي يعقوب لأنه تبعه. أنظر ابن الجوزي: المصدر السابق، ج$_1$.

(6) أحمد عثمان: المرجع السابق، ص 10.

(7) محمد خليفة حسن أحمد: تاريخ الديانة اليهودية، ط$_1$، دار قباء للطباعة والنشر، 1998، ص 24.

فالرواية الأولى تقول: " **فبقى يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حوق فخذه وقال أطلقني فقال لا أطلقك إن لم تباركني فقال ما اسمك فقال يعقوب فقال لا يدعى اسمك يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت في ا والناس وقدرت** "[1].

وفي الرواية الثانية: " وتراءى ا ليعقوب أيضا وقال له: " اسمك يعقوب لا يدعى اسمك بعد الآن يعقوب، بل إسرائيل "، فسماه إسرائيل وقال له ا "**أنا ا القدير، أنمو أكثر أمة ومجموعة أمم تكون منك وملوك من صلبك يخربون والأرض التي وهبتها لإبراهيم وإسحاق أهبها لك ولنسلك من بعدك**[2]"[3].

وقد اعتمد القرآن الكريم اسم إسرائيل للدلالة على يعقوب دون أن يقرن ذلك بأي تعليل أو تبرير غير معقول كما جاء في قوله تعالى: ﴿ كُلُّ الطعامِ كَانَ حلا لبنِي إِسرائيلَ إِلا ما حرم إِسرائيلُ علَى نفْسِه من قَبلِ أَن تنزلَ التوراةُ قُلْ فَأْتوا بِالتوراة فَاتلُوها إِن كُنتم صادقين﴾[4].

وقد أثنى ا تعالى على يعقوب وأبيه فقال:

﴿ ووهبنا لَه إِسحاق ويعقُوب نافلَةً وكُلا جعلْنا صالحين ﴾ وقال أيضا: ﴿ وجعلْناهم أَئمةً يهدونَ بِأَمرنا وأَوحينا إِلَيهم فعلَ الخيرات وإِقَام الصلاة وإِيتاءَ الزكَاة وكَانوا لَنا عابِدين ﴾ [5] فهو من العابدين الصالحين وهو إمام يهدي بأمر ا وقد أوحى ا إليه فعل الخيرات وكان من المهتدين يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة وقال أيضا: ﴿ لَما اعتزلَهم وما يعبدونَ من دون الله وهبنا لَه إِسحاق ويعقُوب وكُلا جعلْنا نبِيا، ووهبنا لَهم من رحمتنا وجعلْنا لَهم لسانَ صدقٍ عليا ﴾ [6].

ومعنى كلمة إسرائيل اصطلاحا في التوراة أنها تعني من صرع الإله أي تغلب عليه[7].

وقد ولد يعقوب وكان عمر والده إسحاق ستون سنة[8] وعاش مائة وثمانون سنة، وقد تألمت والدته رفقة في حملها بالتوأم يعقوب وعيسو، فمضت إلى ملكيز دق لتسأله عن حملها ودعا لها

---

[1] سفر التكوين: 32: 25، 30.؛ Flavius Josèphe : Histoire ancienne des juifs, Editions Lidis, 1982, P 40.

[2] إن المتمعن في هذه القصة على اختلاف روايتيها يلاحظ أنها أسطورية خرافية، وضعت لتعليل تغيير اسم يعقوب فكيف يستطيع أن يهزم يعقوب الرب الذي تجسد في صورة إنسان مهزوم من طرف بشر آخر، وهذا افتراء على الذات والقدرة الإلهية.

[3] سفر التكوين: 39: 9-15.

[4] سورة آل عمران: الآية 93.

[5] سورة الأنبياء: الآية 72-73.

[6] سورة مريم: الآية 49-50.

[7] عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو: أصول الصهيونية ومآلها، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1394هـ-1974م، ص 33.

[8] ابن الجوزي: المصدر السابق، ص 309؛ ابن العبري، المصدر السابق، ص 14.

وبشرها بأن أمتين عظيمتين في أحشائها، والكبير من توأميك يطبع الصغير أي عيسو أبو الأدوميين وهم الإفرنج الشقر، ينقاد ليعقوب أبي الإسرائيليين.

وقد اختلف الباحثون في تحديد معنى يعقوب، فقيل هو يعقب: هو اسم فعل على وزن " يفعل " من الجذر " عقب " الذي يفيد بالعربية معنى النسل، ومنه " أعقب " أي " أنجب " أو " كان له نسل " والاسم يعقوب، يقابله بالعربية اسم العلم عقبة وهو من الأسماء العربية القديمة المعروفة[1]. ويعقوب كان ينطق في العبرية Ya'gobh ومعناها ليحفظ ايل[2].

أما عيسو فهي بالعبرية (عسو) ويعني " الكثير الشعر " وفي العربية ممثل في لفظ (العيس) (عيس) والعيس بالعربية هو ماء الفحل " أي السائل المنوي عند الذكر " فقد كان أشقرا كثير الشعر وجهه مشبع بالحمرة محب للصيد يفضل حياة البرية على الحياة العائلية البيئية، وهذه الخصال كما يرى الدكتور كمال الصليبي من صفات الذكورة المطلقة[3].

ويقول سيمون دوبنوف Simon Doubnov أنه كان على غرار صفات أو خلال عمه إسماعيل متوحشا وحاد الطباع يحب مطاردة الحيوانات والطيور عكس أخيه يعقوب الذي كان هادئ الطباع ميال لحياة الاستقرار[4].

إن هذا الحكم على عيسو وعمه إسماعيل يبرز لنا هذا الحقد اليهودي على العرب وعلى جدهم إسماعيل، وقد تنازل عيسو لأخيه عن بكوريته مقابل طبق من العدس المطبوخ[5]. وأمر إسحاق ولده يعقوب بالمسير إلى أرض الشام وبشره بالنبوة وبنوه (أولاده) الاثني عشر وهم: لاوي، يهودا، يساخر، زبولون، يوسف، بنيامين، دان، نفتالي، جاد، أشر، شمعون، روبيل، وهؤلاء هم الأسباط الاثنا عشر[6].

عشر[6].

وكانت النبوة في عقب أربعة منهم فقط وهم "لاوي"، و"يهوذا"، و"يوسف"، و"بنيامين"[7] فكثرت أنسابهم خاصة نسل يوسف ويهودا، وتكاثر هؤلاء إلى أن وصل عدد المقاتلين منهم في زمن داوود

---

(1) ابن العبري، المصدر نفسه، ص 14.

(2) كمال الصليبي: خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، ط5، دار الساقي، بيروت، 2002، ص 142.

(3) كمال الصليبي: خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، المرجع نفسه، ص 142.

(4) Simon Doubnov : Précis d’histoire juive, des origines a 1934, traduit par I Pougatz, cerf 1992, P 16.

(5) سفر التكوين: 25: 29-34.

(6) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، 1385هـ-1965م، ص 59؛ ابن حزم الأندلسي: المصدر السابق، ص 469.

(7) المسعودي: المصدر نفسه، ص 59.

خمسمائة ألف مقاتل[1] وتوفي إسحاق وعمره مائة وستون سنة بفلسطين ودفن عند قبر أبيه إبراهيم في مغارة مكفيلة.

وجاء في سفر التكوين الإصحاح 27 قصة مباركة "إسحاق" لابنه "يعقوب" عوضا عن أخيه "عيسو" من أن إسحاق طلب من ابنه عيسو بعدما شاخ وفقد بصره أن يصيد له صيدا ويصنع له طعاما يحبه، قبل أن يموت وسمعت رفقة ما جرى بين إسحاق وابنها عيسو الذي ذهب للبرية، فطلبت من ابنها يعقوب أن يصنع لأبيه طعاما من جديين من الماعز، حتى يباركه قبل وفاته، فألبست يعقوب ثياب عيسو وألبست يديه وعنقه جلود جدي الماعز لأن عيسو كان كثير الشعر، فدخل يعقوب على أبيه واستطاع أن يخدعه دون أن ينتبه لهذه المكيدة، فباركه وقال: " **كن سيدا لأخوتك وليسجد لك بنو أمك، وليكن لاعينوك ملعونيين، ومباركوك مباركين** "[2]، وعند عودة عيسو واكتشافه للمؤامرة اشتد غضبه وأجابه أبوه: " بعيدا عن خصوبة الأرض يكون مسكنك، وعن ندى السماء من فوق، بسيفك تعيش، وأخاك تخدم، وإذا قويت تكسر عنقك نيره ".

وأما عن معنى إسرائيل فقد اختلف المؤرخون في تحديد معناها، فيرى ابن خلدون أن ا سماه إسرائيل، وإيل عندهم كلمة مرادفة لعبد وما قبلها من أسماء ا عز وجل وصفاته، والمضاف متأخر في لسان العجم، فلذلك كان إيل هو آخر الكلمة[3]. بينما يرى وهب بن منبه أن إسرائيل معناها ولي ا ا باللسان السيرياني ومعنى إسرا ولي وإيل ا ، مثل جبرائيل رسول ا ، وعزارئيل عبد ا ، وميكائيل صفي ا ...الخ[4].

وذهب فريق آخر إلى أن إسرائيل تنطق في العبرية " يسرا يل " وهي مكونة من كلمتين " يسرا " وتعني غلب أو ساد، وكلمة إيل هي اسم الإله في اللغة الأرامية والذي عبده اليهود في فترة سابقة، والمقصود ببني إسرائيل من تناسلوا من أبناء يعقوب الاثنا عشر[5].

وقيل أن إسرائيل بالعبرية "Yisre-'e'L" بمعنى ليحكم ايل[6] وقال فيلسيان شالي أن إسرائيل الإله يحارب وهذا هو الاسم الذي أطلق على يعقوب بعد مصارعته مع البطريرك (أو الملاك أو

---

[1] ابن حزم الأندلسي: المصدر السابق، ص 469.

[2] سفر التكوين: 27: 2-40.

[3] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ص 152.

[4] وهب بن منبه: كتاب التيجان في ملوك حمير، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد، الهند، 1347هـ، ص 154.

[5] صوفي حسن أبو طالب، جمال محمود عبد العزيز: تاريخ النظم القانونية، مركز جامعة القاهرة، 1998، ص 353؛ أحمد عثمان: المرجع السابق، ص 31.

[6] عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، دار النهضة العربية، 1966،، ص 374.

الرب) حسب اختلاف روايات التوراة[1]، بينما ذهب فريق آخر إلى أنها تعني " يجاهد مع ا " أو " ا يصارع " أو " الأمير المجاهد مع ا " أو " جندي الرب ".

وعليه فرغم اختلاف الباحثين في تفسير معنى إسرائيل إلا أنهم يتفقون جميعا على أنه الاسم البديل ليعقوب والذي توارثه أبناءه من بعده.

وقد كان الحديث عن بني إسرائيل في القرآن مستفيضا مليئا بالدروس والعبر في كل ما يتعلق بالتاريخ الديني والسياسي لبني إسرائيل، فأفاض القرآن في سرد أطوار النبوة والرسالة التي ظهرت في بيت إسرائيل[2]، وأظهر موقفهم التقليدي المقاوم لعقيدة الإيمان با رب العالمين وكشف القرآن عن فشل بيت إسرائيل في نهاية المطاف عن حمل الميراث الإلهي[3]. قال تعالى: ﴿ يا بنِي إِسرائيلَ اذْكُرُوا نِعمتي التي أَنعمت عَلَيكُم وأَني فَضلْتكُم علَى العالَمين ﴾ [4].

وفي عدد من نصوص العهد القديم يدل إسرائيل على مجموعة من القبائل العشر المقيمة في شمال البلاد.

وإذا كنا نجهل أي إشارة لتسمية العبرانيين في القرآن الكريم، فعلى العكس من ذلك فقد استحضر القرآن كل تجارب بني إسرائيل في النبوة والرسالة وأوضح موقفهم التقليدي المقاوم لكل الالتزامات الإنسانية[5].

ثالثا- اليهود: تعد هذه التسمية هي الثالثة في ترتيب التسميات التي عرف بها العبرانيون وتأتي بعد تسميتي " عبري " " إسرائيلي " وهما الأقدم من ناحية الظهور التاريخي والاستخدام.

فلهذه التسميات دلالتان إحداهما عامة والأخرى خاصة، فالدلالة العامة هي أنها تطلق على كل من يعتنق الديانة اليهودية ويؤمن بها، ويمارس طقوسها وشعائرها، ويقال تهود إذا دخل في اليهودية، كما يقال يهودي نسبة إلى اليهودية، مثلما يقال مسيحي نسبة إلى المسيحية، ومسلم نسبة إلى الإسلام.

أما الدلالة الخاصة فهي تدل على الانتماء إلى كيان سياسي جغرافي وهو مملكة يهوذا التي ظهرت بعد انقسام المملكة العبرانية بعد وفاة سليمان إلى مملكتين، شمالية (مملكة إسرائيل)، وجنوبية (مملكة يهوذا).

---

[1] فليسيان شالي: موجز تاريخ الأديان، ترجمة حافظ الجملي، ط$_1$، دار طلاس للترجمة والنشر، 1991، ص .

[2] محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، ج$_1$، المرجع السابق، ص 35.

[3] صابر طعيمة: بنو إسرائيل في ميزان القرآن الكريم، دار الجيل، بيروت، د.ت، ص 20.

[4] سورة البقرة: الآية 47.

[5] صابر طعيمة: المرجع السابق، ص 20.

وقد اختلف في تحديد معنى كلمة يهودي، ولو أن أغلب المؤرخين[1] والباحثين العرب اتفقوا على أنها مأخوذة من (هاد الرجل) أي رجع وتاب، وإنما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام : " إنا هدنا إليك " أي رجعنا وتضرعنا وتبنا إليك[2].

قال تعالى: ﴿إِن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابِئين من آمن بِالله والْيومِ الآخرِ وعملَ صالحاً فَلَهم أَجرهم عند ربهم ولاَ خوف علَيهم ولاَ هم يحزنونَ﴾[3].

فاليهود أتباع موسى عليه السلام الذين كانوا يحتكمون إلى التوراة في زمانهم واليهود من الهوادة، وهي المودة، أو التهود وهي التوبة، فكأنهم سموا بذلك لتوبتهم ومودتهم في بعضهم البعض[4].

وقيل أن هذه التسمية ألحقت بهم لأنهم كانوا يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة[5].

وذهب فريق آخر إلى أن الهود جمع هائد والهود هم اليهود، وتجمع على يهدان من الهوادة وهي المودة واللين، وأن الإسرائيليين سموا يهود عندما تابوا عن عبادة العجل[6].

ويرى حسن ظاظا أن اسم يهوذا مشتق لغويا من أصل سامي قديم وهو (و د ي) ومعناها الإقرار والاعتراف والجزاء والشكر، ومن هذا المعنى استوحت (ليا) أم يهوذا اسم ابنها الرابع فقالت: " هذه المرة أشكر الرب " ولذلك سمته يهوذا وتوقفت بعده عن الإنجاب لفترة من الزمن، ثم أنجبت (يساكر) و(زبولون)، كما أنجبت بنت اسمها (دينا)، لكنها لا تعد ضمن المواليد حسب ذهنية أولئك البدو لأنها أنثى[7].

كما هو معلوم، أن يعقوب كان له اثنا عشر ابنا، وهم: روبيل، شمعون، لاوي (ليفي)، ويهوذا، ويساكر، وزبولون، وقيل زيلون، من ابنة خاله ليا، ثم توفيت فتزوج أختها رحل فولدت له يوسف

---

(1) محمد خليفة حسن أحمد: المرجع السابق، ص 29؛ محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص 38.

(2) الشهرستاني: المصدر السابق، ص 171؛ تفسير بن كثير، المصدر السابق، ج$_1$، ص 148.

(3) سورة البقرة: الآية 62.

(4) تفسير بن كثير، ج$_1$، ص 148.

(5) محمد خليفة حسن أحمد: المرجع السابق، ص 38.

(6) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص 38؛ حسين علي حمد: قاموس المذاهب والأديان، ط$_1$، دار الجيل، بيروت، 1419هـ-1998م، ص 228.

(7) حسن ظاظا: المرجع السابق، ص 28.

وبنيامين ومعناها ابن الوجع، لأنها ماتت في نفاسه[1]، وأنجبت زلفة جارية ليا جاد وآشر وأنجبت بلهة جارية رحيل دان ونفتالي.

ويقول يعقوب وهو يبارك أبناءه قبل موته: " **يا يهوذا، سيشكرك إخوتك، يدك على نواصي أعدائك، وسيمجد أبناء أبيك، يهوذا شبل أسد** "[2].

ومهما كان فإن كلمة يهودي كمصطلح لها تاريخ يعود إلى اسم يهوذا أحد أبناء يعقوب عليه السلام، وبالتالي فهو أحد الأسباط حسب التعبير القرآني، ويعتبر يهودا أهم شخصية في قصة يوسف عليه السلام مع إخوته لأنه لعب دورا كبيرا في حماية يوسف من القتل حسب رواية التوراة، حيث أشار عليهم ببيعه للإسماعيليين فسمع إخوته كلامه[3].

كما استطاع أن يقنع أباه يعقوب أثناء المجاعة التي حلت بهم بإرسال بنيامين (شقيق يوسف من أمه رحل) معه إلى مصر حسب طلب يوسف، وإلا منع عنهم القمح اللازم لنجاتهم من الجوع، وقال يعقوب: " **يهوذا إياك يحمد إخوتك يدك على قفا أعدائك، يسجد لك بنو أبيك ولا يزال قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب** "[4].

كما نال يهوذا وبنوه الملك من بركة يعقوب، فقبل أن يموت يعقوب كان قد نبه أولاده جميعا وأوصاهم أن يسمعوا ويطيعوا ويكونوا تحت قيادة أخيهم يهوذا الابن الرابع ليعقوب، فلم يذعن له جميع إخوانه بل انشق عليه بعضهم[5].

ومن هنا يتضح لنا ميل المصدر اليهودي إلى جعل يهوذا الوارث الحقيقي ليعقوب عليه السلام بعد أن حدد عمل يوسف في الحكمة والمهارة وأقصى بقية إخوته بسبب أخطائهم[6].

وقد أصبح اسم يهوذا يمثل معنى أسريا ودينيا، فعندما كبر وطعن في السن ارتكب خطيئة كبرى مع كنته تخصها التوراة وهي (تامار) أرملة ابنه (عير) وحين علم أنها حبلى من الزنا أمر

---

(1) ابن الجوزي: المصدر السابق، ج1، ص 309؛ البغدادي (أبو جعفر محمد الحبيب): المحبر، تح: أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري، المكتب التجاري للطباعة، بيروت، ص 386.

(2) سفر التكوين: 49: 8-9.

(3) محمد خليفة حسن: المرجع السابق، ص 29.

(4) سفر التكوين: 49: 21.

(5) صابر طعيمة: المرجع السابق، ص 33.

(6) محمد خليفة حسن: المرجع السابق، ص 30.

بإحراقها فأرسلت له الخاتم والعمامة والعصا فتحقق من أنه هو الفاعل، فقال: " هي أصدق مني "[1] وتلد توأمين قارص وزارح، ومن الأول ينحدر داود وسليمان[2].

هذه القصة تصور لنا تاريخ بني إسرائيل الحافل بارتكاب الفواحش والخطايا والمرتبط بالزنا التي كان يقوم بها أنبياؤهم حسب ما جاء في التوراة، وهذا ما ترفضه الفطرة السليمة، فكيف يكون نبيان من أنبياء ا سليلا زنا وهما داود وسليمان عليهما السلام.

وتتضح لنا الخلفية التاريخية لمكانة يهوذا واليهود في التراث الإسرائيلي السابق على الظهور السياسي للمملكة يهوذا بعد انقسام مملكة سليمان عليه السلام، والتي استمرت حتى نهاية الوجود السياسي لمملكة يهوذا على يد البابليين حوالي 582 ق.م.

واستقرت ذرية يهوذا جنوب فلسطين في صحراء النقب الفقيرة، فظهرت أسماء جغرافية تنسب إليهم مثل: جبل يهوذا[3] أرض يهوذا أو بلاد يهوذا[4]، رقعة يهوذا أو إقليم يهوذا[5]، بلدة يهوذا (أورشليم أي القدس)[6] ، مدن يهوذا[7]، وأطلق على اليهود جميعا آل يهود أو بيت يهوذا[8]، ورجال يهوذا[9].

وأطلق اسم بنت يهوذا علما على مملكة اليهود كلها وعلى عاصمتها أورشليم، وأصبح استعمال لفظة اليهود، تعني رعايا مملكة يهوذا في جنوب فلسطين كما جاء في الكتاب المقدس: " **في ذلك الزمان استرد رصين ملك أرام إيلات للأدوميين، وطرد اليهود من إيلات** "[10].

ومن خلال دراسة هذه التسميات والمصطلحات التي رصدناها في المبحث الأول حول إشكالية التسمية، حاولت فيها دراستها مع التحليل والاستنتاج الذي توصلت إليه أن المصطلح الذي اتخذته كلمة يهودي له مدلولات عرقية عنصرية ولذلك حاول اليهود استبدالها بالاسرائيلي.

---

(1) هذه قصة من آلاف القصص التي تعج بها التوراة والتي تصور أنبياءهم بارتكابهم لفواحش وكبائر يتعفف منها أي إنسان فكيف يقوم بها أنبياء ورسل.

(2) سفر التكوين: 38: 26

(3) سفر القضاة: 1:3.

(4) سفر عاموس: 7: 12.

(5) سفر أشعيا: 19: 17.

(6) سفر أخبار الأيام: 25: 28.

(7) سفر أرميا: 4: 18.

(8) سفر أشعيا: 22: 21.

(9) سفر الملوك الأول: 1: 9.

(10) سفر الملوك الأول: 16: 6.

المبحث الثاني- أصلهم: يتفق معظم الباحثين حول أصل العبرانيين،وإن اختلفوا حول تسميتهم كما عرفنا سابقا، فالعبرانيون يرجعون أصلهم إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام وهذا ما سنحاول التعرض إليه في هذا المبحث من خلال دراستنا لمغزى هذا النسب.

أولا- أصلهم ونسبهم: يصعب علينا دراسة التاريخ القديم للعبرانيين، إلا عن طريق دراسة تاريخ أبي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام، لأن اليهود أو العبرانيين يزعمون أنهم يعودون بنسبهم إليه وأنه فضلهم على غيرهم من ذريته[1][2].

فقد ذكر إبراهيم في التوراة باسم أبرام حتى بلغ التاسعة والتسعين من عمره، تغير اسمه إلى إبراهيم (أبراهام)، وكلمة أبرام Abh-ram بالعبرية تعني الأب الرفيع أو أب الرفعة أو " الأب الكريم "، أما إبراهيم فتعني " أب مجموعة من الأمم "[3].

وهناك من يرى أن اسم " أبرام " يتكون من لفظين " أب " و" رام " وأن رام تعني " أحب " فإن أبرام يعني " محبوب ا " ويتوافق هذا المعنى مع اللقب المعروف به خليل ا [4].

وعبرم بالعربية مكون من لفظين هما عب بمعنى " أب " أي الوالد وقد تفيد أيضا معنى الجد ورم أي " المرتفع " أو " العالي " أو الأعلى، علما بأنه لا يوجد وزن خاص بالتفضيل في اللغتين الأرامية والعبرية، فربما اسم أبرام العبراني كان يرمز إلى الجد الأعلى المفترض لإحدى القبائل العبرانية، وأن اسم أبرام الأرامي كان يرمز للجد الأعلى المفترض لقبيلة أخرى أرامية لا علاقة لها في الأصل بالأولى[5].

وتذهب دائرة المعارف البريطانية إلى أن كلا من " أبرام " و" أبراهام " أطلقا بمعنيين على شخص واحد هو إبراهيم، فتسمية " أبرام " أطلقها الأموريون أهل بابل على إبراهيم التي هي موطن

---

(1) ذرية إبراهيم: إسماعيل الذي عاش مائة وتسع وثلاثون سنة، ثم إسحاق الذي عاش مائة وثمانون سنة، وعاش يعقوب بن إسحاق مائة وتسع وأربعون سنة، وكان بين موسى وإبراهيم سبعمائة سنة. أنظر ابن عساكر: تاريخ دمشق الكبير، ج1، ط2، دار المسيري، بيروت، 1399هـ -1979م، ص 21.

(2) محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، ج1، المرجع السابق، ص 55.

Simon Doubnov : Op.cit, P 15 ; Die Cknoff, Israël de moise aux accord d'Oslo, éditions du seuil, 1998, P 24 ; Adolphe-Loos : Israël des origines au milieu du VIII^{e} siècle, édition Albin Michel, Paris, 1944, P 173 ; R. Devaux. O. P : Bible et orient, cerf, Paris, 1967, P 176 ; Jean Bottero : Israel de moise aux accords d'oslo, introduction d'Alain Die Ckhoff, Edition du seuil, 1998, P 24.

(3) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص 374.

(4) محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، ج1، المرجع السابق، ص 58.

(5) كمال الصليبي: خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، ص 95.

إبراهيم، بينما تسمية أبراهام أطلقها الكنعانيون " أهل كنعان " التي سكنها إبراهيم بعد ذلك، حيث توجد أسماء مشابهة لهذه التسمية منها: " أبارام " و" أبام " " راما " و" أباراهام "[1].

ومهما يكن من اختلاف الآراء حول مفهوم تسمية إبراهيم يبقى المعنى الأقرب إلى الواقع المعروف به وهو حبيب ا وخليله، وأبو الأنبياء جميعا، قال تعالى: ﴿وتلْك حجتنا آتيناها إبراهيم علَى قَومه نرفَع درجات من نشاءُ إِن ربك حكيم عليم، ووهبنا لَه إِسحاق ويعقُوب كُلا هدينا ونوحاً هدينا من قَبلُ ومن ذُريته داوود وسلَيمانَ وأَيوب ويوسف وموسى وهارونَ وكَذَلك نجزِي المحسِنِين، وزكَرِيا ويحيى وعيسى وإِلْياس كُل من الصالحين، وإِسماعيلَ والْيسع ويونس ولُوطاً وكُلا فَضلْنا علَى العالَمين، ومن آبائهم وذُرياتهم وإِخوانِهِم واجتبيناهم وهديناهم إِلَى صراط مستقيمٍ﴾[2].

وتذكر التوراة أن إبراهيم هو: " **أبرام بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن شالح بن أرفكشاد بن سام بن نوح** "[3] وأن إبراهيم كان له أخوان الأول ناحور، والثاني هاران، وأن هاران قد أنجب لوطا ثم مات قبل أبيه في أرض ميلاده ببلاد الكلدانيين[4].

وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وإِذْ قَالَ إِبراهيم لأَبِيه آزر أَتتخذُ أَصناماً آلهةً ﴾[5].

وفسر البعض أن تارح هو الاسم العلم لأبي إبراهيم، وآزر هو اسمه الوصفي، ويعلق عبد الوهاب النجار على ذلك قائلا: " إذا صح أنه كان لوالد إبراهيم عليه السلام اسم علم واسم وصفي فيكون معنى الاسم الوصفي آزر، المعين أو الناصر، لأن لفظ آزر يعني أعان، ساعد، نصر ومنها الوزير أو المعين "[6].

وتوجد في اللغات العربية القديمة لفظة آزر أو عازر (ومنها لغة إبراهيم) وتسمية عازر أو آزر منتشرة عند اليهود، منهم: اليعازر ومعناها ا يعين أو ينصر، إيلي: ا ، وعازر: أعان أو نصر، وقد تعني القوي أيضا[7].

---

(1) محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، ج1، المرجع السابق، ص 59.

(2) سورة الأنعام: الآية 83-87.؛ ويلاحظ أن لوط ذكر من ذرية إبراهيم، وهو في الواقع ابن أخيه، فقد دخل في الذرية تغليبا. أنظر تفسير ابن كثير، ج3، ص 291.

(3) سفر التكوين 11: 10-26.

(4) سفر التكوين 11: 27-28؛ .Flavius Josèphe : Op.cit, P 20

(5) سورة الأنعام: الآية 74.

(6) عن عبد ا بن عمرو بن العاص قال: قال رسول ا صلى ا عليه وسلم: "إن ا اتخذ لي خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا فمنزلي ومنزل إبراهيم في الجنة تجاهين والعباس بيننا مؤمن بين تجاهين" ابن ماجة (أبو عبد ا محمد بن يزيد القزويني): سنن ابن ماجة، تح: محمد ناصر الدين الألباني، ط1، مكتبة المعارف، الرياض، 1429هـ-2008م، ص 40؛ عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ط3، د.ت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص 285.

(7) رجا عبد الحميد عرابي: المرجع السابق، ص 53.

وقال بعضهم أن كلمة " آزر " كلمة ذم، بمعنى أعرج أو مخطئ أو معوج أو خرف...الخ، غير أن هذا التفسير بعيد عن المنطق حيث أنه لا يتفق مع خلق إبراهيم، فكيف يصدر منه ذلك نحو أبيه فمن غير المعقول أن يخاطب إبراهيم أباه بمثل هذه الإهانة.

وذهب فريق آخر إلى أنه اسم لصنم كان يعبده تارح والد إبراهيم، وكان سادنا له، وهذا أيضا أمر مستبعد في اللغة العربية لأن العرب لا تنصب اسما بفعل حرف الاستفهام فلا يقال أخاك أكلمت؟ بل، أكلمت أخاك؟[1].

وقيل أنه إبراهيم بن آزر بن الناحور بن الشارع بن القاسم الذي قسم الأرض بين أهلها، ابن يعبر بن السالح بن سنحاريب[2].

ومهما يكن من تضارب الآراء حول تسمية والد إبراهيم فإن التسمية الأقرب إلى الموضوعية والمنطق هي آزر طبقا لما ورد في القرآن الكريم، وكما جاء في صحيح الإمام البخاري قوله صلى ا عليه وسلم: " يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم ألم أقل لك لا تعصني، فيقول له أبوه فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون وأي خزي أخزى من أبي الأبعد فيقول ا إني حرمت الجنة على الكافرين "[3] ومات آزر وكان عمره مائتين وستين سنة.

وقد اقترن ذكر إبراهيم بعهد الملك نمرود بن كنعان[4] الذي أمر بقتل المواليد من الذكور خوفا خوفا من تحقق رؤيا المنجمين، ولم يعلم أحد بحمل أم إبراهيم[5] وولدت إبراهيم في مغارة وتركته فيها فيها ثم رجعت وكانت تطالعه في المغارة فتجده يمص إبهامه، وسألها آزر عن حملها فقالت ولدت غلاما فمات[6]، ولما تكلم قال لأمه أخرجيني ولما علم والده بذلك سر بسلامته[1].

---

[1] محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص 60.

[2] ابن الجوزي: المصدر السابق، ج1، ص 258؛ ابن كثير: قصص الأنبياء، تح: محمد أحمد عبد العزيز، ط3، مكتبة دار الثقافة عمان، الأردن، 143هـ-1993م، ص 109.

[3] ابن كثير: البداية والنهاية، ج1، ص 135.

[4] نمرود بن كنعان: هو نمرود بن كنعان بن سنحاريب بن كوس بن حام بن نوح، وقد كان بين مولد إبراهيم عليه السلام وطوفان نوح 263 سنة، وكان ملكه بالمشرق قبل ملك فارس، وقد أحاط مشارق الأرض ومغاربها. وقيل لم يجتمع ملك الأرض ولم يجتمع الناس على ملك واحد إلا على ثلاث ملوك: نمرود، وذو القرنين، وسليمان بن داود. أنظر تاريخ الطبري، المصدر السابق، ج1، ص 139؛ بن سعد: الطبقات الكبرى، تح: عبد القادر عطار، ج1، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 1410هـ-1990م، ص 39.

[5] أم إبراهيم: اسمها نونا بنت كرنبا بن كوتا من بني أرفخشد بن سام، وفي رواية أبيونا، وفي رواية ثانية نوتا، وفي رواية ثالثة بونا، وقيل أميلة، أنظر ابن الجوزي، المصدر السابق، ص 258؛ وقيل هي عوشاء، أنظر رجا عبد الحميد عرابي: المرجع السابق، ص 58.

[6] المسعودي: المصدر السابق، ص 56.

وكان ذلك حوالي ألفين عام ق.م بمدينة أور[2] حيث كان أهلها وثنيين يعبدون الكواكب والنجوم ولاسيما القمر الذي كانوا يعدونه إلها ويسمونه " ننار " وله زوجة يسمونها " ننجال "[3]، وأور في اللغة الكنعانية معناها المدينة[4].

وتجمع الأساطير العبرية على أن مسقط رأس الخليل عليه السلام كانت مدينة أور الكلدانيين، وقد دلت الاكتشافات التي تمت في أور على أنها كانت في بداية الألف الثالثة ق.م مدينة عظيمة يسكنها الكثير من الأغنياء، وأنها كانت عاصمة للسومريين[5] أصحاب أقدم حضارة في بلاد الرافدين وهم ليسوا ساميين كالعبرانيين وكانوا يعيشون في أوفر درجات الرخاء من حوالي 2060 إلى عام 1950 ق.م. لذلك يذهب بعض المؤرخين إلى أن إبراهيم لم يكن مواطنا في عاصمة السومريين، لأن ذلك يتعارض مع الأوصاف التي أعطتها التوراة لنمط الحياة التي عاشها إبراهيم وأهله (الخيام، المراعي، التنقل، والترحال... الخ)[6]. واستقرت على ضفاف الفرات والخابور في الشمال وشمال شرق سوريا ثم هاجرت بعض عشائرها إلى العراق من بينهم أسرة إبراهيم الخليل.

ويعد الشعب الأرامي هو الشعب السامي الرئيسي الثالث الذي هاجر إلى سوريا حيث كان الأموريون أول شعب سامي رئيسي في سوريا ثم تبعهم الفينيقيون أو الكنعانيون وجاء في المرتبة الرابعة الشعب العبراني[7]. وقد تمركز الأموريون في الشمال والكنعانيون في الساحل والأراميون في المنطقة الداخلية والعبرانيون في الجنوب[8].

---

(1) ابن الجوزي: المصدر السابق، ص 259.

(2) أور: يرى البعض أنها كانت مدينة تقع من موقع تل الموقير في منتصف الطريق بين بغداد ورأس الخليج العربي في حين أن البعض الآخر يرى أنها من منطقة حران شمال العراق القديم وعلى بعد مائتي ميل شمالها، وأن منطقة حران أورفة شمال العراق، وحران وأور كانتا مركزين لعبادة إله القمر (سن). أنظر مصطفى كمال عبد العليم، سيد فرج راشد: اليهود في العالم القديم، المرجع السابق، ص 28.

(3) زكي شنوده: اليهود، نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم من واقع نصوص التوراة كتابهم المقدس، ط1، مكتبة النهضة المصرية، 1974، ص 3.

(4) أحمد عثمان: المرجع السابق، ص 10؛ Simon Doubnov : OP.cit, P 15

(5) السومريون: جنس غير سامي لغتهم لا تشبه اللغات السامية، لا يعرف زمن مجيئهم إلى بلاد الرافدين وإن ذهب البعض إلى أن ذلك كان حوالي 4000 سنة ق.م. أنظر: Dictionnaire Encyclopédique de Labible Brepols, 1987, P 1222

(6) محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، ج1، المرجع السابق، ص 69-70.

(7) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص 373.

(8) أبو المحاسن عصفور: المرجع السابق، ص 284.

فقد حدد العلماء تخوم الساميين[1] الجغرافية بجبال آسيا الصغرى وجبال إيران والخليج العربي والمحيط الهندي والبحر الأحمر والبحر المتوسط إلى ميناء الإسكندرون. كما أطلقوا كلمتي حامية وسامية على الشعوب المقيمة ضمن هذه الحدود "Chamito- semites"[2].

وإذا كان العلماء قد اختلفوا حول مولد إبراهيم عليه السلام، فالمؤكد أنه كان عراقيا بالولادة عربيا في قوميته التي ترجع إلى وطنه الأصلي في الجزيرة العربية وحياته في بلاد الشام.

ولم يقتصر اختلاف الباحثين حول مولد إبراهيم ومسقط رأسه بل تعداه إلى تحديد العصر التاريخي الذي عاش فيه إبراهيم عليه السلام إذ حصره البعض في الفترة الممتدة ما بين 3000 و1000 سنة ق.م، لكن الأدلة الأخيرة تشير إلى أن عصره كان خلال القرن الخامس عشر[3] بينما يحدد البعض مجيء أسرة إبراهيم عليه السلام إلى بابل بأوائل الألف الثاني ق.م[4].

وتزوج إبراهيم من سارة[5] وقيل أنها أخته من أبيه[6] حسب ما جاء في التوراة، وقيل هي بنت بنت هاران بن تارح عم إبراهيم، وقيل أيضا أنها بنت ملك حران، وخرجت مع إبراهيم ووالده وابن أخيه لوط من أرض الكلدانيين إلى حران حيث أقاموا بها وتوفي والده بها تارح وعمره مائتان وخمس وستون سنة[7]. استقروا حوالي 1850ق.م قرب حبرون (الخليل) في كنعان.

ومن هنا يميل بعض المؤرخين إلى أن الموطن الأصلي لإبراهيم عليه السلام كان في حران[8] حران[8] أو حاران وليس في أور وحاران تقع على فروع نهر الفرات وبعضهم قال في بلدة أوروك

---

(1) نلاحظ أن السامية لا تشمل شمال إفريقيا إلا إذا رجعنا إلى النظرية القائلة بأن أصل الساميين ومنهم العرب من شمال إفريقيا.

(2) نسيب وهيبة الخازن: من الساميين إلى العرب، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص 9.

(3) أحمد عثمان: المرجع السابق، ص 10.

(4) رجا عبد الحميد عرابي: المرجع السابق، ص 59؛
Introduction a la Bible : La loi et les livres historique, tome 1, CERF, Paris, 1970, P 112.

(5) سارة: في العبرية تعني أميرة، وهي في بعض اللهجات القديمة كانت تدل على الملكة حيث كان ملوك شرقي آسيا يخاطبون ملك مصر، كما ورد في خطابات العمارنة على أنه " سار البلية " بمعنى " ملك العالم ". أنظر أحمد عثمان: المرجع السابق، ص 21.

(6) يقول سفر التكوين على لسان إبراهيم: " **هي أختي ابنة أبي غير أنها ليست ابنة أمي، فصارت لي زوجة** ". أنظر سفر التكوين: 20: 12.

(7) ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1956، ص 62.

(8) حران: بفتح أوله وتثقيل ثانيه كورة من كور ديار مضر، قديمة عتيقة، لا يعرف متى بنيت، يقال بناها هران أخو إبراهيم عليه السلام، وإليه نسبت، لكنها قليلة الماء والشجر، وضعها في مستو من الأرض يحيط بها جبل شامخ. أنظر محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 191؛ أبو عبيد عبد ا البكري الأندلسي: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج2، لجنة التأليف للترجمة والنشر، 1366هـ - 1947م، ص 435.

(الوركاء) ومصادر أخرى ترى أن مدينة كوتا كانت مسقط رأسه، وفيها طرح في النار، ومازالت أطلال مدينة كوتا أو كيت إلى يومنا هذا وتسمى تل إبراهيم، وتقع في أرض السواد (سواد الكوفة) قرب بابل، وإلى جانب التل مزار يعرف بمقام إبراهيم، وأغلب المراجع الإسلامية تؤكد مولده في كوتا[(1)].

ويشكك بعض المؤرخين في مولد إبراهيم الخليل في العراق، ويرون أن هناك مدينة أخرى تسمى أور غير أور العراقية تقع بالقرب من حران أو حاران كانت تعرف باسم " حور " أو مدينة أورفة في المنطقة نفسها حيث توجد بها عدة مواقع تحمل اسم إبراهيم الخليل.

ويؤيد الكاتبان رجا عبد الحميد عرابي ومحمد بيومي مهران، أن مولده كان في شمال شرق سوريا في منطقة " آرم فدان " في " أورفة " (أي حور) تبعا للأدلة الآتية:

1- أن أهله وأقاربه كانوا يعيشون فيها بدليل رفضه زواج ابنه إسحاق من بنات الكنعانيين جنوب فلسطين حيث كان يعيش وأرسل خادمه إلى حاران ليأتي له بابنة بتوئيل بن ناحور أخ إبراهيم (رفقة)، وهذا ما فعله بدوره إسحاق مع ابنه يعقوب الذي أوصاه بالذهاب إلى حاران والزواج من بنات خاله لابان.

2- أن كل نبي يأتي لهداية قومه، فلماذا لا يكون إبراهيم هاديا لقومه في منطقة حاران.

3- أن هجرة إبراهيم من أرام فدان (حاران) إلى فلسطين أسهل وأقرب من أور أو كوتا[(2)].

وإبراهيم كما تصفه التوراة وأغلب المؤلفين الغربيين كان أراميا[(3)] والقبائل الآرامية هي قبائل عربية نزحت من موطنها الأصلي من جزيرة العرب كغيرها من الأقوام السامية.

كما تزوج هاجر وهي جارية سارة أهداها الملك المصري إلى سارة، تزوجها على أمل أن يرزق منها بولد، فولدت له إسماعيل، ثم رزقت سارة بإسحاق بعدها بأربع سنين، وهناك من يشكك في كون هاجر جارية وإنما حشرت في القصة حرصا من اليهود على أن تكون أمهم سارة أفضل من هاجر أم العرب، وما يؤكده التضارب الواضح في نصوص التوراة.

---

(1) الطبري: المصدر السابق، ص 139.

(2) رجا عبد الحميد عرابي: المرجع السابق، ص 58؛ محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، ج2، المرجع السابق، ص 70.

(3) Endré Caquot : Encyclopédie de la pléade : Histoire des Religions, Editions Gallimard, 1970, P 369.

وبعد وفاة سارة تزوج إبراهيم من قطورة وقيل أنها كانت من الكنعانيين، وأن قبيلتها كانت تسكن على مقربة من مكة، وأولاد إبراهيم منها هم ستة: زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا[1].

وأما زوجته الرابعة فكانت حجور وكان له منها خمسة بنين هم: كيسان وشورح وأميم ولوطان ونافس[2].

وتوفي إبراهيم عليه السلام وكان عمره مائة وخمسا وتسعين سنة[3] ودفن بمغارة المكفيلة بفلسطين التي اشتراها إبراهيم ودفن فيها سارة من قبل. وكانت ملكه الوحيد في أرض الميعاد[4].

مغارة المكفيلة أين دفن إبراهيم الخليل إلى جانب زوجته سارة



زكي شنودة: اليهود نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم، ص07.

وإذا كان العبرانيون حريصون على إلحاق نسبهم بإبراهيم الخليل عليه السلام فكان الأجدر الانتساب إليه وإلى ما كان يتمتع به من خلق وحسن المعاملة والتقرب إلى ا ومحاربته للوثنية والشرك، وحيث كان يلقى الترحاب في أي مكان حل به.

---

(1) سفر التكوين: 25: 1-2.

(2) الطبري: المصدر السابق، ج1، ص 209؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج1، ص 48.

(3) المسعودي: المصدر السابق، ص 58.

(4) هارفي بورتر: الموسوعة مختصر التاريخ القديم، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1411هـ-1991م، ص 113.

ويرى أحمد سوسة أن إبراهيم الخليل لا يمكن أن يكون أب العبرانيين أو اليهود فكيف يكون يهوديا وقد عاش قبل ظهور جماعة يسمون أنفسهم يهوذا بحوالي ألف وثلاثمائة سنة؟ وقبل أن يظهر يعقوب (إسرائيل) نفسه، فلم يكن لليهود وجود في العراق لا من قريب ولا من بعيد في عهد إبراهيم الخليل لأنهم لم يكونوا قد ظهروا للوجود بعد[(1)].

ثانيا- هجرات العبرانيين: يبدأ تاريخ العبرانيين بالقرن التاسع عشر ق.م وذلك بهجرة إبراهيم ومن كان معه إلى أرض كنعان ثم أنشأوا دولة أو مملكة عاشت فترة قصيرة من الزمن عادوا بعدها إلى التفرق والتشتت كما كانوا قبل ظهور دولتهم، وقد مر تاريخهم بعدة مراحل:

المرحلة الأولى: احتلال كنعان: تبدأ هذه المرحلة عندما احتلوا بلاد كنعان في القرن التاسع عشر ق.م حينما هاجر إبراهيم وأتباعه إلى أرض كنعان، استقر العبرانيون أو بنو إسرائيل هناك إلى جانب الشعوب السامية التي سبقتهم من أموريين وأراميين وفينيقيين، لكنهم احتفظوا بحياة البداوة والتنقل والترحال التي ألفوها، فكانوا يعيشون في خيام يرعون مواشيهم، وكانوا عبارة عن قبائل متفرقة تجمعهم روابط العصبية القبلية ووحدة الدم واللغة[(2)].

وقد حدثت خلال هذه المرحلة الكثير من المنازعات فيما بينهم ومع الشعوب والقبائل السامية المجاورة لهم، وكان الكنعانيون يشكلون النسبة الأكبر من السكان، والأموريون يستوطنون الجهات المرتفعة التي لم تكن مزدحمة بالمستوطنين مما سهل على المستوطنين الجدد وهم العبرانيون الاستيطان فيها واختلطوا بالأقوام السامية وغير السامية كالفلسطينيين والحوريين والحيثيين.

ولما كانت كنعان عرضة للقحط فقد هاجر إبراهيم إلى مصر ثم عاد منها وفيما بعد نرى يعقوب (إسرائيل) يهاجر إلى مصر عندما كان يحكمها الهكسوس مع أبنائه (الأسباط) الأحد عشر، حيث كان ليوسف[(3)] ابنه من رحيل شأن كبير في مصر وكانت له حظوة عظمى في بلاط الفرعون بعدما بيع من قبل في مصر، وقد عاش أحفاد يوسف وأحفاد إخوته في مصر عدة أجيال رجعوا بعدها إلى فلسطين، لكن هذه المرة تحت قيادة موسى[(4)].

---

(1) أحمد سوسة: المرجع السابق، ص 575.

(2) ابن كثير: قصص الأنبياء، المصدر السابق، ص 110؛ صوفي حسن أبو طالب: جمال محمود عبد العزيز: المرجع السابق، ص 355؛ Flavius Josèphe : Op.cit, P 23

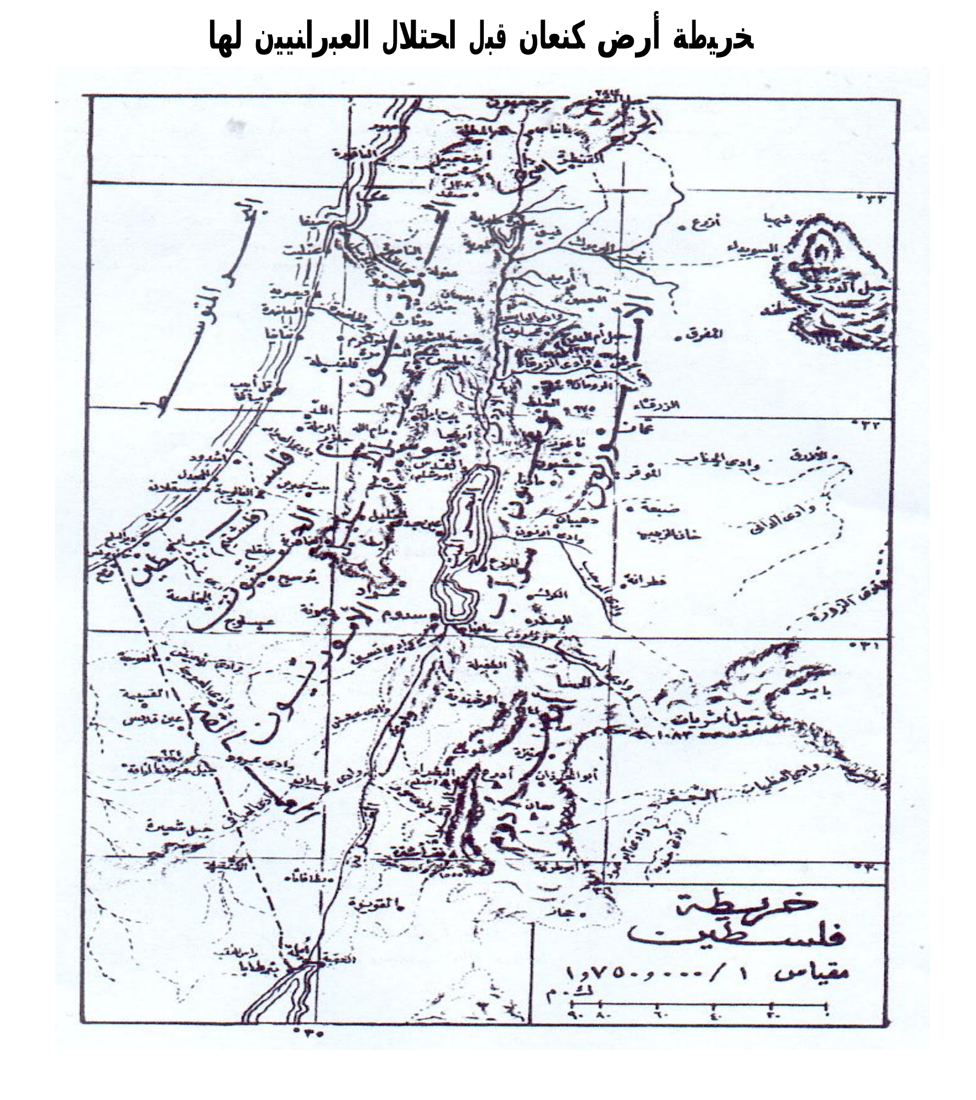
(3) يوسف: اسم يوسف في العبرانية (ياسف، بفتح السين) ومعناه عساه يزيد. أنظر طه باقر: المرجع السابق، ص283.

(4) طه باقر: المرجع السابق، ص 283؛ الطاهر ذراع: المجتمع العربي القديم من خلال كتابات أصحاب السير والكتاب القدامى، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة، 2003، ص 315.

وتلحق التوراة حسب قصصها ومآثرها عهد الهجرة الأولى بزمن الآباء وأولهم إبراهيم عليه السلام[1] وقد حدد تاريخ الهجرة الأولى بالقرن الثامن عشر ق.م[2].

وكانت هذه الهجرة معاصرة تقريبا للحركة التي حصلت في القرن الثامن عشر وجاء على إثرها انتشار الهكسوس والحوريين في ساحل البحر المتوسط الشرقي[3].

خريطة أرض كنعان قبل احتلال العبرانيين لها



غطاس عبد الملك الخشبة: رحلة بني إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج، ص75

---

(1) طه باقر: المرجع نفسه، ص 281.

(2) حلمي محروس إسماعيل: المرجع السابق، ص 171.

(3) فيليب حتي: المرجع السابق، ص 190.

المرحلة الثانية: الهجرة إلى مصر: وتؤرخ المرحلة الثانية بهجرة أبناء يعقوب نحو مصر بعدما اجتاح أرض كنعان الجذب وعمت المجاعة، ويتعرف يوسف على اخوته ثم استدعى أباه واخوته وأهلهم أجمعين للإقامة معه في أرض مصر، وقد ذكر القرآن الكريم أن يوسف أكرم وفادتهم عكس ما تدعيه التوراة من إساءته لإخوته.

وتكشف التوراة عن مطامع اليهود في مصر وخيراتها فتقول: " **خذوا أباكم وبيوتكم وتعالوا إلي فأعطيكم عجلات لأولادكم ونسائكم واحملوا أباكم وبيوتكم وتعالوا إلي فأعطيكم خيرات أرض مصر وتأكلون دسم الأرض** "[1].

ووصل يعقوب ومعه كل أفراد أسرته وكان عددهم ست وستون شخصا، وكان مجموعهم سبعين (بالإضافة إلى يوسف وابنيه ويعقوب والده)، وطلب إخوة يوسف من ملك مصر الإقامة في جوشن وقيل " جاسان "[2].

قال تعالى: ﴿فلما دخلُوا علَى يوسف آوى إِلَيه أَبويه وقَالَ ادخلُوا مصر إِن شاءَ الله آمنِين، ورفَع أَبويه علَى العرشِ وخروا لَه سجداً وقَالَ يا أَبت هذَا تأْوِيلُ رؤياي من قَبلُ قَد جعلَها ربي حقا وقَد أَحسن بِي إِذْ أَخرجنِي من السجنِ وجاءَ بِكُم من البدوِ من بعد أَن نزغَ الشيطَانُ بينِي وبين إِخوتي إِن ربي لَطيف لما يشاءُ إِنه هو العليم الحكيم ﴾[3].

وبذلك استقر يعقوب وبنيه في مصر، وقد اختلف العلماء في تحديد العصر الذي دخل الإسرائيليون فيه مصر، فهناك من رأى بأنه كان على أيام الهكسوس (حوالي 1725-1575 ق.م) حيث تروي التوراة أن يوسف كان يركب عربة الفرعون الثانية لأنه كان نائب الملك ولأن الهكسوس كانوا أول من أدخل عربة الحرب السريعة إلى مصر، كما أنهم أول من استعمل العربات الرسمية في المناسبات العامة في مصر[4].

وهناك من يؤكد تزامن دخولهم مصر مع الهكسوس الذين كانوا من أصول سامية شمالية غربية وهم بذلك أقرباء للعبرانيين، وهذا ما يفسر الترحاب الذي لقاه العبرانيون في مصر، وهذا ما سمح ليوسف بالوصول إلى مركز القوة في البلاط المصري، وقد كانت مدة بقائهم حوالي أربعة قرون انتهت بطردهم على يد رمسيس الثاني، وكما أن القرآن الكريم كان يلقب الحاكم الذي عاصر

---

[1] سفر التكوين: 45: 18.

[2] جاسان: هي منطقة قريبة من حدود مصر الشرقية وسيناء المطلة على أرض كنعان، وقد اختلف في تحديد موضعها لاضطراب التوراة في تحديدها. أنظر سفر التكوين: 45: 10.

[3] سورة يوسف: الآية 99-100.

[4] محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، ج1، المرجع السابق، ص 229.

موسى بلقب " ملك " والحاكم الذي عاصر موسى كان يلقب بـ " فرعون " الذي بدأ استعماله بصفة مؤكدة من أيام أخناتون[1].

المرحلة الثالثة: الخروج من مصر: تعد الهجرة الثالثة هي بداية التاريخ الحقيقي للإسرائيليين والذي يحدد بخروج العبرانيين من مصر، وتعد هذه الهجرة واحدة من تلك الثورات التي وقعت عبر عصور العبودية الطويلة، فقد كان الهدف منها هو الخلاص من العبودية المباشرة بالهروب إلى خارج حدود الدولة، وخارج دائرة هيمنة النظام المصري[2].

وكما ذكرنا سابقا، فالمرجح أن زمن استيطان يوسف وأحفاده في مصر كان في عهد الهكسوس، وأن ما ناله يوسف من حظوة عند الملك المصري يرجح هذا الاحتمال باعتبار أن الهكسوس أقوام بدوية كالعبرانيين احتلوا مصر بعدما أقاموا بسوريا فترة من الزمن[3]. وبعدما تمكن المصريون من طرد الهكسوس بقيادة احتمس عاد حكم مصر إلى الفراعنة الوطنيين، وعاش العبرانيون طوال عهد الأسرة الثانية عشرة والتاسعة عشرة (1573-1085ق.م) في أمن وسلام، فكان منهم الجنود الذين ساهموا في قيام الإمبراطورية المصرية وحماية حدودها، لكنهم كانوا يعيشون في عزلة عن الشعب المصري لتخوف المصريين منهم، فضيقوا عليهم الخناق ووضعوهم تحت رقابة صارمة واستخدموهم في بناء المدن وقطع الأحجار وصناعة قوالب اللبن وغيرها من الأعمال الشاقة[4].

وترجع التوراة سبب اضطهاد المصريين للعبرانيين إلى تخوف المصريين من كثرتهم وتنامي عددهم[5]وأما بنو إسرائيل فأثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا جدا وامتلأت الأرض منهم، ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف فقال لشعبه " **هو ذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا هلم نحتال لهم لئلا ينمو فيكونوا إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا...** "[6].

---

(1) محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، ج1، المرجع نفسه، ص 242.

(2) طه باقر: المرجع السابق، ص 283؛ Endré Caquot : Op.cit, P 369

(3) نصر شمالي: ملاحظات أساسية حول تاريخ المسألة اليهودية، ط2، مكتبة الخدمات للطباعة، دمشق، 1985، ص 48.

(4) زكي شنودة: المرجع السابق، ص 22؛ عفيف عبد الفتاح طبارة: اليهود في القرآن، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1974، ص 193؛ محمود العابدي: مخطوطات البحر الميت، منشورات دار الثقافة والفنون، عمان الأردن، 1967، ص 15.

Simon Doubnov : Op.cit, P 24 ؛Adolphe-Loos : Op.cit, P 196؛ Mircea Eliade : Histoire des croyances et des idées religieuses, Payot, Paris, 1987, P 189.

(5) رجا عبد الحميد عرابي: المرجع السابق، ص 122.

(6) سفر الخروج 1: 8-10.

وقيل أن الكهنة أخبروا فرعون بأن زوال ملكه سيكون على يد مولود من بني إسرائيل[1] بينما ذكر البعض أن العبرانيين هم الذين نشروا ذلك بين المصريين لإثارة حرب نفسية وزعزعة الرأي العام المصري[2]، فأمر فرعون بالقضاء على كل مواليد العبريين الذكور بذبحهم وقال البعض برميهم في النيل[3].

ويشكك "محمد بيومي مهران" في استعباد العبرانيين أثناء وجودهم في مصر، بل يرى أنهم تمتعوا بحسن المعاملة وتعودوا على حياة الرخاء وقلة مشاركتهم في بذل أي جهد في بناء الدولة المصرية، وتذكر التوراة ثورتهم على موسى بعد خروجهم وفقدانهم لحياة الرخاء في مصر[4] " **فعاد بنو إسرائيل أيضا بكوا وقالوا من يطعمنا لحما، وقد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجانا والقثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم** "[5]، بل إن التوراة تؤكد معارضتهم للخروج كما جاء على لسانهم " **ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر أليس هذا هو الكلام الذي كلمنك به في مصر قائلين كف عنا فنخدم المصريين** "[6].

وكان من بين مواليد العبرانيين الذين نجوا من بطش فرعون موسى عليه السلام وهو من سبط "لاوي ابن يعقوب"، ونسبه كما تجمع عليه المصادر العربية هو: موسى بن يصهر بن قاهت بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل[7]، أرسله الله ليخلص بني إسرائيل من الاضطهاد والعبودية، قال تعالى: " ﴿وإذْ نجيناكُم من آلِ فرعونَ يسومونكُم سوءَ العذَابِ يذَبحونَ أبناءَكُم ويستحيونَ نِساءَكُم وفي ذَلكُم بلاءٌ من ربكُم عظيم، وإِذْ فَرقْنا بِكُم البحر فَأنجيناكُم وأغْرقْنا آلَ فرعونَ وأنتم تنظُرونَ﴾ [8].

وقال تعالى أيضا: ﴿ نتلُو علَيك من نبأ موسى وفرعونَ بِالْحق لقَومٍ يؤمنونَ، إِن فرعونَ علا في الأَرضِ وجعلَ أهلَها شيعاً يستضعف طَائفَةً منهم يذَبح أبناءَهم ويستحيي نِساءَهم إِنه كَانَ من المفْسِدين، ونريد أن نمن علَى الذين استضعفُوا في الأَرضِ ونجعلَهم أئمةً ونجعلَهم الوارثين﴾[9].

---

[1] ابن كثير: البداية والنهاية، المصدر السابق، ج1، ص 127-238؛ الطبري: المصدر السابق، ج، ص 386-388؛ اليعقوبي: المصدر السابق، ج1، ص 33؛ المسعودي: المصدر السابق، ص 257.

[2] محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص 257.

[3] Simon Doubnov : Op.cit, P 21.

[4] محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص 248-249.

[5] سفر العدد: 11: 4-6.

[6] سفر الخروج: 14: 11-12.

[7] تاريخ الطبري، ج1، ص 224؛ ابن الجوزي: المصدر السابق، ج1، ص 331؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج1، ص 95؛ اليعقوبي: المصدر السابق، ج1، ص 33.؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج1، ص 217.

[8] سورة البقرة: الآية 49-50.

[9] سورة القصص: الآية 3-5.

نحن أمام رأيين حول استعباد بني إسرائيل في مصر من قبل حكامها، الأول لمؤرخ وهو من يجب أن نحترم رأيه، فقد اجتهد وحاول اعتمد فكره، والرأي الثاني الذي جاء في الآيتين الكريمتين من القرآن الكريم وهو كلام ا الصادق الحق، ومن هنا نرجح استعباد بني إسرائيل تماشيا والنصوص القرآنية عن رأي محمد بيومي مهران المؤرخ والمختص في دراسة العبرانيين، لأن المنهج العلمي يحثنا على ترجيح المصدر عن المرجع، خاصة إذا كان كلام ا .

ولما ولد موسى وضعته أمه (يوكابد) بعيدا عن العيون لعدة أشهر وخافت افتضاح أمرها فألهمها ا إلى وضعه في صندوق ثم ألقت به في نهر النيل، وبشرها بأنه سيرجعه إليها ويجعله من المرسلين، وانتشلته ابنة فرعون وقيل زوجة فرعون، فطالبت امرأة فرعون منه أن يبقيه فيتخذاه ولدا بعدما حرما من الأولاد، وبذلك ترعرع موسى عليه السلام في بلاط الملك عدو أبناء بني إسرائيل[(1)].

وقال بعض المؤرخين أن قصة موسى شبيهة بأسطورة سومرية قديمة هي قصة سرجون الأول، وقد كشفت التنقيبات حديثا عن لوحة طينية كتبها ولاة مصر على إحدى مدن كنعان إلى فرعون (أمنحوتب الرابع) أحد ملوك الأسرة الثامنة عشر المتقدمة زمنيا على رمسيس الثاني، يذكرون فيها بأن العبريين يجتاحون أرض كنعان، وهذا ما أثار الشكوك حول كتابة قصة الخروج في التوراة، فقد تكون قد كتبت بعد هذه الأحداث بزمن طويل[(2)]، ومن ثم فمعلوماتها تحتاج إلى نقد وتمحيص موضوعي بعيدا بعيدا عن الانحياز والذاتية التي يتطلبها البحث العلمي النزيه.

وبعد قتل موسى لرجل مصري دفاعا عن أخيه العبراني الذي أهين فر إلى صحراء مدين خوفا من غضب فرعون وانتقامه، وهناك تزوج من ابنة كاهن مدين[(3)] وظل يرعى غنم أبيها لمدة أربعين سنة، ثم أمره ا بالعودة إلى مصر وإخراج بني إسرائيل منها، ونظرا لأنه كان ثقيل اللسان طلب من ا أن يأخذ معه أخاه هارون ليتكلم نيابة عنه[(4)]. قال تعالى: ﴿ ولَما بَلَغَ أَشده واستوى آتيناه

---

(1) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص 361؛ زكي شنودة: المرجع السابق، ص 24؛ عفيف عبد الفتاح طبارة: المرجع السابق، ص 195؛

Mereille Hadas : Moise l'égyptien, La revue l'histoire (l'Egypte Ancienne), Editions du seuil, Octobre 1996, P 38 ;Josy Eisenberg : Le judaïsme, Jaques Crancheur, Paris, 1989, P 12 ; Mircea Eliade : Op.cit, P 189 ; L'etat des religions : Ouvrage collectif sous la direction de Michel Clevenat, Cerf, Paris, 1987, P 73.

(2) ه.ج.ولز: معالم تاريخ الإنسانية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مج2، ط3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1969، ص 285.

(3) مدين: أرض مدين تقع شرقي خليج العقبة، تعرف الآن بأرض مديان. أنظر: فضل حسن عباس: القصص القرآني، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر، ص221.

(4) زكي شنودة: المرجع السابق، ص 25.

حكْماً وعلْماً وكَذَلك نجزي المحسِنِين﴾[1]، هذه الآية تشير إلى بداية نزول الدعوة على موسى بعد أن بلغ أشده وأصبح عاقلا.

وهاجر موسى وهارون ببني إسرائيل متجهين شرقا[2]، وقد اختلف الكتّاب في تحديد الطريق التي خرجوا منها، وراجح أنها كانت من مدينة رمسيس إلى رأس البحر الأحمر بنواحي السويس حيث قطعوا البحر الأحمر إذ شق ا لهم مسلكا فيه، غير أن هناك من يرى أن البحر المشار إليه هو خليج على شاطئ بحر الروم شمال برزخ السويس، ولأن هذه الطريق هي الأقرب إلى بلاد كنعان[3].

ويبدو أن ا أراد بإخراج بني إسرائيل المعجز عن طريق البحر الأحمر، ليكون ذكرا للعالمين وإبرازا لقوته وقدرته تعالى، وإثباتا لعجز وتهور وغرور فرعون.

ونلاحظ أيضا وجود اختلاف بين المؤرخين في تحديد زمن الخروج إذ يحدده بعضهم بسنة 1500ق.م، وقال البعض الآخر أنه كان نحو 1290 سنة ق.م في عهد رمسيس الثاني، بينما ذهب فريق ثالث أنه كان حوالي 1230ق م أي في عهد منبتاح[4]، وهذا الاختلاف يجعلنا في حيرة في ترجيح سنة الخروج.

وقد عرضت التوراة الخروج كحدث عنيف صاحبته كوارث طبيعية مدمرة حيث أظلمت السماء قبل الخروج بسحب من الدخان والغبار الأحمر الذي سقط على الأنهار وصبغها بلون الدم واخترقت ذرات الغبار جلد الإنسان والحيوان فحرقته، وتكاثرت الزواحف والثعابين والحيوانات المتوحشة، وانتشار الغمام والرياح العاصفة التي تقذف بأسراب الجراد...الخ[5] وهنا نلاحظ تناول التوراة لقصة خيالية صورت البلاء الذي صاحب خروجهم من مصر بسبب غضب ا على المصريين، وهذا النوع من الأساطير قد يظهر في كتابات التي تتناول التاريخ القديم الخالي من المصادر والموضوعية والمنطق.

وبعد الخروج بدأت متاعب موسى مع قومه فلما اشتد بهم العطش أمره ا أن يضرب بعصاه فتفجرت اثنتا عشرة عينا بعدد أسباط بني إسرائيل، ثم طالبوه بالطعام فأنزل ا عليهم المن

---

(1) سورة القصص: الآية 14؛ المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي): أخبار الزمان، ط$_1$، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، مصر، 1357هـ-1938م، ص 249.

(2) صابر طعيمة: التاريخ اليهودي العام، ج$_1$، ط$_3$، دار الجيل، بيروت، 1419هـ-1999م، ص 42.

(3) هارفي بورتر: المرجع السابق، ص 118.

(4) هارفي بورتر: المرجع نفسه، ص 118؛ زكي شنودة: المرجع السابق، ص 27.

(5) إيمانويل غلايكوفسكي: عصور في فوضى من الخروج إلى الملك اخناتون، تر: رفعت السيد، ط$_1$، سينا للنشر، القاهرة، 1995، ص 42.

والسلوى[1]، ثم طالبوا موسى بالمكان الظليل فظللتهم سحابة حجبت عنهم حرارة الشمس، قال تعال: ﴿ وظَلَلْنا علَيكُم الغمام وأنزلْنا علَيكُم المن والسلْوى كُلُوا من طَيبات ما رزقْناكُم وما ظَلَمونا ولَكن كَانوا أَنفُسهم يظْلمونَ﴾[2]، ولكن تذكر نصوص تاريخ بني إسرائيل بما فيها القرآن، أنهم عصوا ا الذي أنعم عليهم بخيرات لا تعد ولا تحصى.

ترك موسى قومه ليلاقى ربه ويتلقى ألواح التوراة من فوق جبل الطور، وبعد شهر عاد فوجد قومه يعبدون عجلا[3] من الذهب ويقدمون له القرابين، قال تعالى: ﴿وإِذْ واعدنا موسى أَربعين لَيلَةً ثُم اتخذْتم العجلَ من بعده وأَنتم ظَالمونَ، ثُم عفَونا عنكُم من بعد ذَلك لَعلكُم تشكُرونَ، وإِذْ آتينا موسى الكتاب والْفُرقَانَ لَعلكُم تهتدونَ﴾[4]، وهكذا بدأ انحراف بني إسرائيل عن دعوة موسى وعن التوحيد.

فقد غضب موسى على قومه لما اقترفوه من ذنب في عبادتهم العجل الذي كان إلها عند المصريين (أبيس)، وجاء في سفر الخروج أنه طلب منهم أن تقاتل الجماعة التي امتنعت عن عبادة العجل الجماعة الأخرى، فسالت الدماء أنهارا وسط ولولة النساء وصراخ الأطفال، ثم أخذ منهم سبعين رجلا إلى جبل الطور حيث اعتاد لقاء ربه ليعلنوا توبتهم، لكنهم طلبوا أن يروا ا جهرة فأخذتهم الصاعقة، واستمروا في العصيان والتمرد، وإذا دعاهم موسى للقتال قالوا له ﴿اذْهب أَنت وربك فَقَاتلا إِنا هاهنا قَاعدونَ﴾[5].

فأنزل ا عقابه عليهم وحكم عليهم بأن يتيهوا في الأرض ويعيشوا مشردين محرومين من الوطن والاستقرار[6]. وبذلك دخل بنو إسرائيل فترة التيه التي استمرت أربعين سنة إلى أن يموت كل ذلك الجيل الذي عصى ا وتمرد على موسى ماعدا كالب ويشوع، فلما عرف بنو إسرائيل جهالتهم

---

(1) المن والسلوى: المن مادة حلوة الطعم والمذاق توجد على أوراق الأشجار، وقيل عسل ينزل من السماء، والسلوى هو طائر السمان يطير على شكل أسراب ويتساقط على الأرض بكثرة، وهو مثل الحمام. أنظر: ابن كثير: تفسير القرآن، المصدر السابق، ج1، ص ص 137-140.

(2) سورة البقرة: الآية 57.

(3) لما غادر موسى قومه لتلقي الألواح من ربه وطال غيابه طلب بنو إسرائيل من هارون أن يصنع لهم إلها تذكره أبصارهم فنهاهم عن ذلك، لكن التوراة تذكر أن هارون طلب منهم إحضار حلي نسائهم من الذهب وصهرها بنفسه وصنع منها عجلا ذهبيا لاتخذوه إلها، لكن هارون كان منزها عن ذلك. أنظر: علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د.ت، ص 52.

(4) سورة البقرة: الآية 51-53.

(5) سورة المائدة: الآية 24.

(6) الطبري: تاريخ الطبري، المصدر السابق، ج1، ص 242-249؛ ابن الجوزي: المصدر السابق، ج1، ص 337-354؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج1، ص 107-110؛ ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، ج1، ص 131-157؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج1، ص ص 242-252.

أرادوا الدخول حالا إلى كنعان رغم المشيئة الإلهية، فلما تقدموا واجههم العمالقة والكنعانيون وغيرهم وكسروهم فارتدوا على أعقابهم ورجعوا عن مقصدهم كرها وتاهوا في البرية بقية السنين الأربعين، وكانت هذه الفترة من 1500 إلى حوالي 1460ق م[1].

ويرى ابن خلدون في مقدمته أن كلمة التيه في بني إسرائيل أربعين عاما والمقصود هو فناء جيل الأحياء ونشأة جيل آخر لم يعهدو الذل ولا عرفوه[2].

قال تعالى: ﴿ قَالَ رب إني لاَ أملك إلا نفْسِي وأَخي فَافْرق بيننا وبين القَومِ الفَاسقين﴾[3] فأجاب ا تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنها محرمةٌ علَيهم أَربعين سنةً يتيهونَ في الأَرضِ فَلاَ تأْس علَى القَومِ الفَاسقين﴾[4]. فكان ذلك التيه في بوادي سيناء[5] عقابا لهم.

ويبدو أن حياة قوم موسى في بوادي سيناء لمدة أربعين سنة قد قضت على الجيل المتمرد الذي اعتاد الذل والهوان والاستعباد، وظهر جيل أصلب عودا وأكثر تحملا وأقل تذمرا، وأقدر على القتال، بل أكثر اندفاعا للخروج من هذه الحياة القاسية الطويلة فكانوا أسهل انقيادا وتنفيذا لأوامر موسى بدخول أرض كنعان.

وقد أورد المؤرخ أحمد سوسة تعليقا للمارشال البريطاني مونتغمري على تيه قوم موسى جاء فيه: " إن موسى عليه السلام كان يعلم حق العلم أنه لا يستطيع أن يحقق الجانب الثاني من مهمته وهو دخول أرض كنعان والذي كان ينطوي حتما على قتال مرير مع الكنعانيين إلا إذا مات المتبرمون القدامى من قومه، وظهر مكانهم جيل جديد مطعم بروح القتال، مدرب على الحرب أكسبته حياة البادية صلابة وقدرة على تحمل المشاق. ولقد أدرك موسى عليه السلام أنه ليس في الإمكان تحويل أناس مستعبدين إلى شعب مقاتل في أسابيع، أو حتى في أشهر. وأنه لابد من روح جديدة تبعث فيهم الحماس والتضحية، وهو أمر يتطلب وقتا لا يستهان به. فكان من العبث الإقدام على غزو أرض كنعان من غير خطة سليمة للوصول إلى الهدف المنشود بغير انتكاسات، إذ أن الانكسار في المعركة كان يؤدي إلى فقدان الثقة بقيادة موسى عليه السلام "[6].

---

(1) هارفي بورتر: المرجع السابق، ص 119.

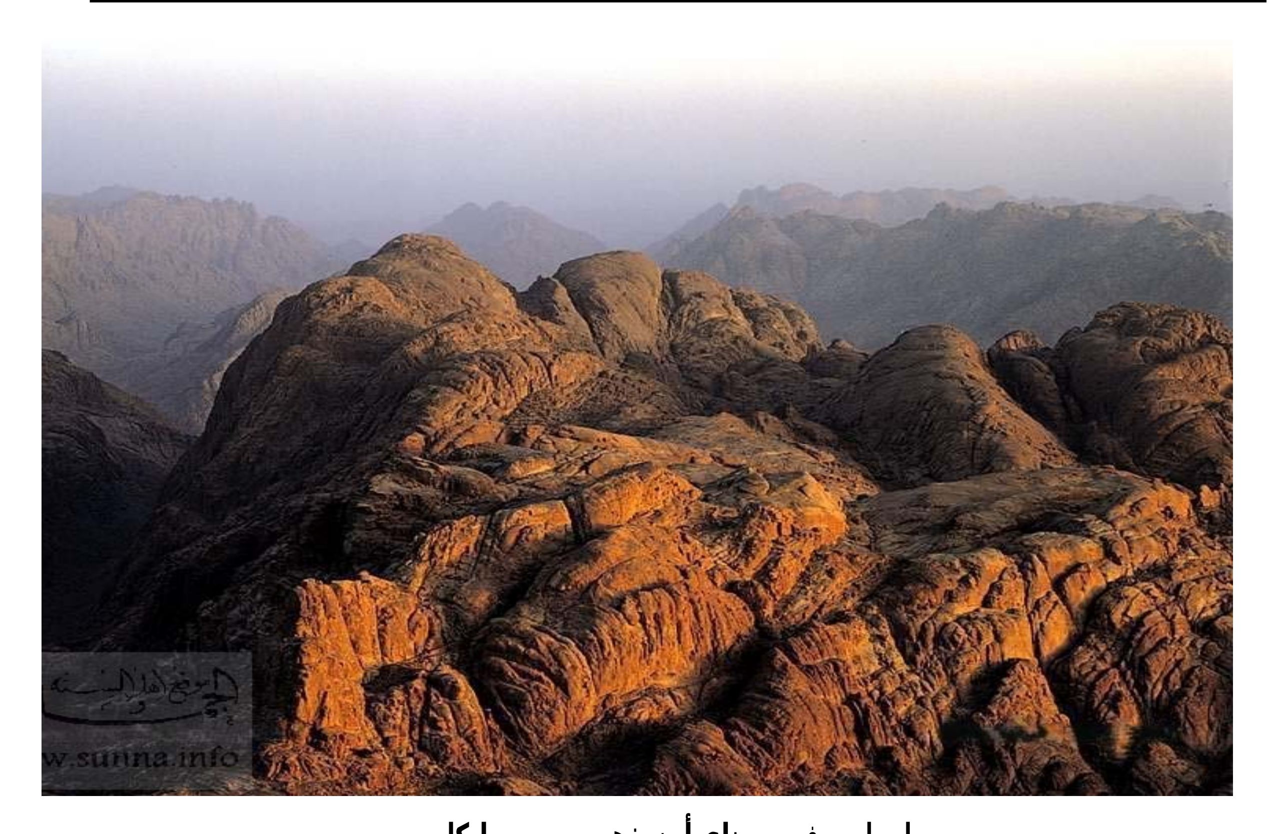
(2) عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ص 167.

(3) سورة المائدة: الآية 25.

(4) سورة المائدة: الآية 26.

(5) ويقال بأن سيناء في ذلك الوقت لم تكن صحراء كما هي الآن بل كانت بوادي تنتشر فيها الأراضي الخصبة. رجا عبد الحميد عرابي: المرجع السابق، ص 170.

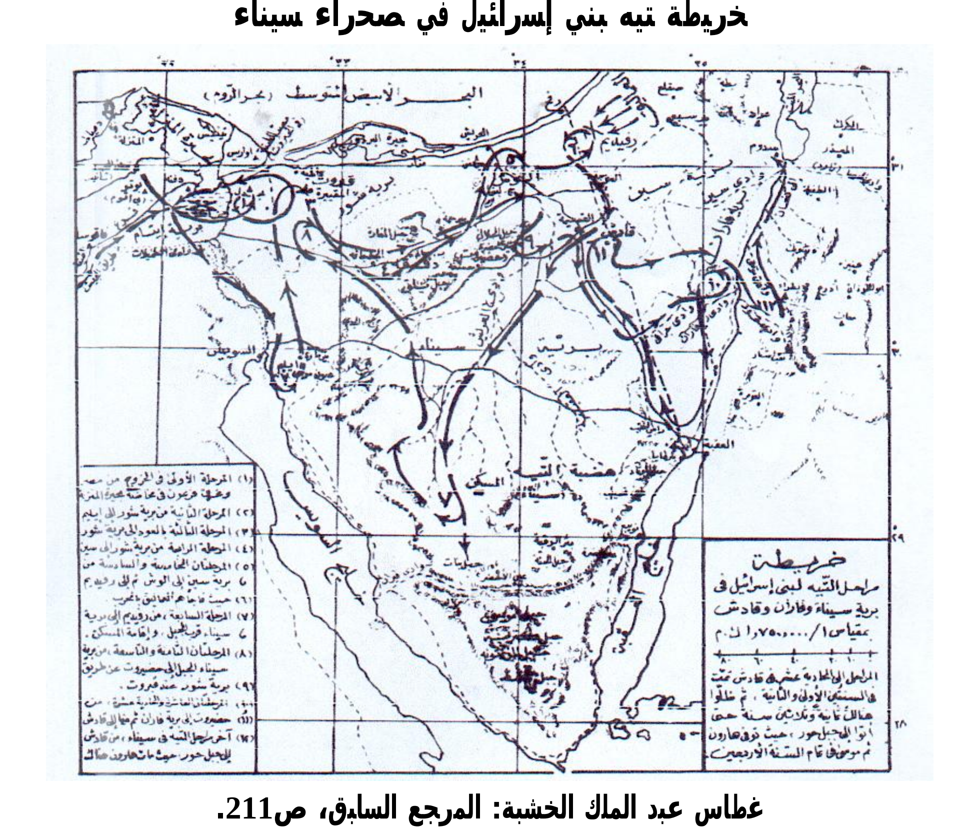
(6) أحمد سوسة: المرجع السابق، ص 615-616.



جبل طور في سيناء أين ذهب موسى ليكلم ربه

V6.OZ98.com.

خريطة تيه بني إسرائيل في صحراء سيناء

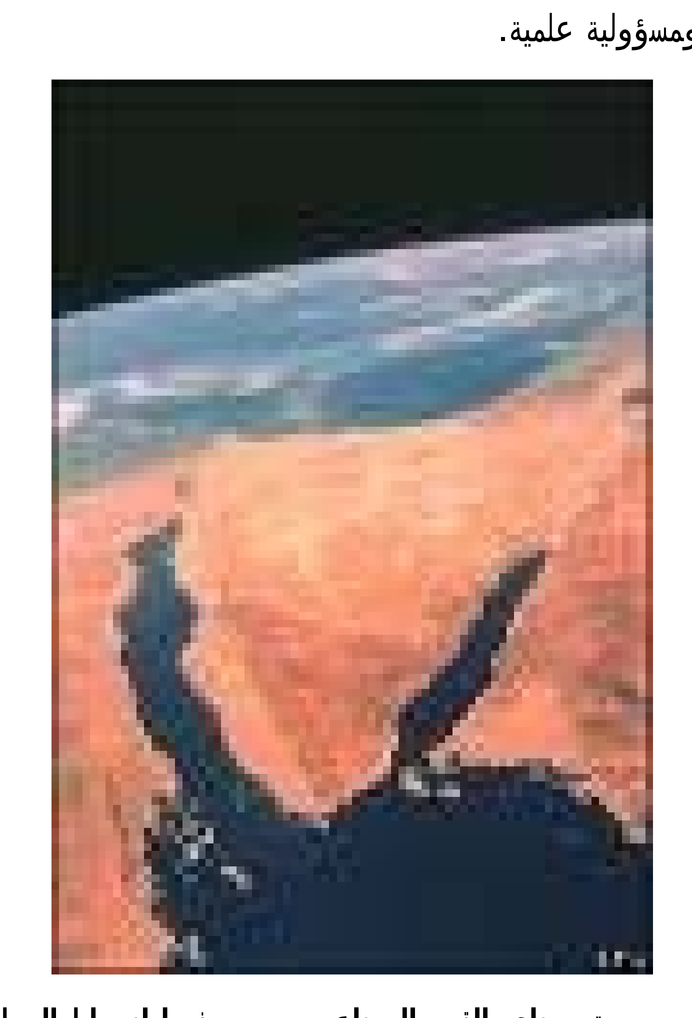


غطاس عبد الملك الخشبة: المرجع السابق، ص211.

ثم تولى قيادتهم بعد ذلك يوشع بن نون ولم يبق أحد ممن أبى أن يدخل قرية الجبارين إلا مات[1] وقيل لم يبق منهم إلا من كان دون سن العشرين.

ومن هنا نستخلص خصال بني إسرائيل وتمردهم على نبيهم موسى عليه السلام وعلى أوامر ا سبحانه وتعالى، وهكذا يعتبر أغلب المؤرخين أن هذه الهجرة هي أهم الهجرات التي عرفها بنو إسرائيل واعتبروها بداية التاريخ العبري.

وأنا إذ أعتمد على هذه النصوص والآراء حتى أوضح في هذا المبحث الفرق بين الخرافة والأسطورة والمبالغة وبين الحقائق التاريخية التي تعتمد على المرجعية والصدق والأمانة العلمية بكل موضوعية ومسؤولية علمية.



صورة لشبه جزيرة سيناء بالقمر الصناعي، ويبدو فيها انبساط السطح والغالب على تضاريس سيناء التي بقي فيها قوم موسى تائهين أربعين سنة.

www.moheet.com

(1) الطبري: تاريخ الطبري، المصدر السابق، ج1، ص 250؛ صابر طعيمة: التاريخ اليهودي العام، المرجع السابق، ص 44.

الفصـل الثاني

الاستيطان العبراني في أرض كنعان

المبحث الأول: كنعان وأهميتها الجغرافية

المبحث الثاني: الظروف العامة لظهور المملكة

المبحث الثالث: احتلال أرض كنعان

تأثر العبرانيون حينما استوطنوا أرض كنعان بجيرانهم من الممالك المحيطة بهم وبالبيئة الكنعانية الجديدة التي فرضت عليهم التحول من مجتمع قبلي بدوي إلى مجتمع أكثر تركيبا وتحضرا نتيجة احتكاكهم بالمجتمعات الأخرى.

كما أن المنافسة العسكرية العنيفة التي وجدوها من طرف الفلسطينيين فتلك العوامل دفعتهم إلى تقليد الدويلات الكنعانية المجاورة لهم والتي كان يحكمها ملوك فذهبوا إلى زعيمهم صامويل وطلبوا منه أن يعين عليهم ملكا.

وسنحاول في هذا الفصل تتبع المراحل التي مرت بها هذه المملكة حتى تدعمت وتوسعت في عهد كل من داود وسليمان عليهما السلام.

المبحث الأول- كنعان وأهميتها الجغرافية: تأثر ظهور المملكة العبرانية بعدة عوامل، داخلية طبيعية في أغلبها وخارجية سياسية فرضتها العلاقات الدولية في الشرق الأدنى القديم واختلال موازين القوى فيه.

فالطبيعة هي تلك الظروف التي فرضتها البيئة الجغرافية الجديدة التي استقر بها العبرانيون بعدما ألفوا حياة البداوة والترحال في بيئة رعوية صحراوية في أغلبها.

أما الظروف السياسية الخارجية فكانت تتمثل في العلاقات الدولية السائدة في الشرق الأدنى القديم والمواتية لظهور دويلة العبرانيين.

أولا- الخصائص الطبيعية: يجمع المؤرخون أن أرض (فلسطين) كنعان التي تمركز فيها تاريخ العبرانيين تعد رقعة جغرافية ذات أهمية استراتيجية كبرى، وذلك لموقعها الجغرافي الممتاز وبيئتها التضاريسية الملائمة والمساعدة على النشاط البشري مما جعلها وجعل سكانها عرضة للهجرات والغزوات المختلفة والمتعددة ومن بينها الغزو العبراني.

تعد أرض كنعان جزءا هاما من بلاد الشام التي تقع غرب قارة أسيا حيث تنحصر بين خطي عرض 30° و36° شمالا وخطي طول 22° و40° شرقا، وتمتد بين جبال طوروس شمالا، وسيناء جنوبا والبحر المتوسط غربا وبادية الشام[1] أو الشأم[1] وبلاد ما بين النهرين.

---

[1] الشام: كان يعني بها اليسار أو الشمال، ويقابلها اليمن جنوب الجزيرة العربية ويعني بها اليمين أو الجنوب وهذه المنطقة تضم حاليا دول سوريا ولبنان والأردن وفلسطين مسرح الأحداث التي قامت عليها دولة العبرانيين، فيليب حتى: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص 39.

وأرض كنعان أو فلسطين حاليا من الناحية الطبيعية هي امتداد للبنان باتجاه الجنوب، ويمكن تقسيم سطحها إلى عدة أقاليم جغرافية هي:

1- السهل الساحلي: هو امتداد لسهل لبنان الساحلي: المتموج الذي يمتد[2] من الكرمل إلى جنوبي يافا[3].

وهو عبارة عن شريط ضيق تغطيه تربة رسوبية خصبة، يقع على ساحل البحر المتوسط غربي فلسطين وفيه يتركز معظم السكان، كما توجد به أهم المدن، ومعظم الصناعات والزراعة، ويقسم شاطئ حيفا[4] السهل الساحلي إلى قسمين سهل عكا[5] الضيق ويمتد من حيفا إلى الحدود اللبنانية وسهل يافة (سارونه) الذي يضيق جنوبي حيفا، ويزداد اتساعا باتجاه الجنوب، وتوجد في سهل يافا معظم بساتين الحمضيات الفلسطينية وتقع مدينة يافا في وسطه، وتنتشر المدن في كل أنحائه، ويضم أجود الأراضي الزراعية وأخصبها[6].

2- المرتفعات الوسطى: وهي عبارة عن استمرار أو تواصل لسلسلة سوريا الغربية جنوبي انهدام القاسمية في هضاب ومرتفعات الخليل الأعلى، وهي قسم منعزل من جبال لبنان، وبذلك تمتد هذه المرتفعات الجبلية من الخليل شمالا إلى مشارف النقب جنوبا يقسمها خط انكساري يصل "خليج عكا" بغور الأردن عبر مرج ابن عامر وينقسم إلى مجموعتين، جبال "الخليل الأعلى" في الشمال التي

---

(1) الشأم: مهموز الألف، وقد لا يهمز وهو البلد المعروف وقيل أنه يسمى بشامات هناك حمر وسود، ولم يدخلها سام بن نوح قط، وقال البعض أن سام أول من اختطها فسميت باسمه أسام السين المهملة فعرب وقيل شام بالشين المعجمة، وكانـت العـرب تقول من خرج إلى الشام نقص عمره، وقتله نعيم الشام، وفي ذلك قال الشاعر:

يقولون إن الشأم يقتل أهله	**فمـن لي إن لـم آته بخلـود**
يفرق آبائي فهلا ضراهـم	**عن الموت أن لم يشتموا وجرودى**

ابن البكري الأندلسي: المصدر السابق، ص 773.

(2) فيليب حتى: المرجع السابق، ص 39.

(3) يافا: بالفاء والقصر مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين بعد قيسارته وعكا في الإقليم الثالث طولها من جهة الغرب ست وخمسون درجة وعرضها ثلاث وثلاثون درجة، وهي على البحر صغيرة إلا أنها خزانة مدن فلسطين عليها حصن منيع بأبواب حديدية وباب البحر كله حديد، وميناؤها جيد. ياقوت الحموي: المصدر اسابق، ج5، ص 426؛ ابن البكري الأندلسي: المصدر السابق، ص 149.

(4) حيفا: هي مدينة بها حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا، استرده صلاح الدين الأيوبي من الصليبيين سنة 573هـ، ويقال حيفاء كأنه تأنيث، والحيف يعبر به عن الجور. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص 332.

(5) عكا: أو عكة، والعكة هي الرملة التي حميت عليها الشمس، وهي اسم بلد على ساحل بحر الشام من عمل الأردن، وهي من أحسن بلاد الساحل حصينة كبيرة، فيها غابات الزيتون، طولها ست وستون درجة وعرضها واحد وثلاثون درجة. أنظر: ياقوت الحموي: المصدر نفسه، ج4، ص 143.

(6) أ.ء. الإسفات: المرجع السابق، ج17، ص 449.

توجد بها أعلى قمة في فلسطين (جبل الجرمق) 1208م، وجبال الخليل الأدنى في الجنوب كجبال نابلس-الخليل وبها قمم تتجاوز 1000م، ويفصل مرج ابن عامر تلال السامرة التي تتخللها الأودية بجبل عيبال[1] (الجبل الشمالي) (وجبل جريزيم) وهو جبل السامريين[2] المقدس وتنتقل إلى هضبة اليهودية المتراصة التلية والوعرة وجنوبي حبرون[3] حيث يوجد جبل جنة (يطا الحالية) وتقع القدس وسط هذه المجموعة وقد استغلت سفوح المرتفعات ووديانها في الزراعة وبسبب تقلب المناخ تحولت الأطراف الجنوبية والسفوح الشرقية لهذه المرتفعات إلى مراع وذلك بسبب المناخ وتقلباته[4].

3- **الغور:** وهو عبارة عن منخفض ضيق وطويل يقع في شرقي فلسطين ويتجه من الشمال إلى الجنوب حيث يجري فيه نهر الأردن، وهو يعتبر جزءا من وادي الأخدود العظيم سفوح الجبال المتجهة للغور شديدة الانحدار، فأراضيه منبسطة يقل مستواها عن مستوى البحر، وإلى جنوبه يمتد البحر الميت وهي بحيرة مالحة تنخفض إلى حوالي 400م عن مستوى سطح البحر، ويصب وادي عربة في البحر الميت، ونظرا لقساوة مناخ الغور وملوحة تربته، فإن المساحات الزراعية به قليلة تحتاج إلى استصلاح للتربة.

وتعد منطقة الحولة: في نهر الأردن من أخصب أراضي الغور، طولها حوالي 16 كلم تقع شمال بحيرة طبرية، وقد كانت في الأصل بحيرة جففت أراضيها وتحولت إلى أراضي زراعية خصبة.

4- **النقب:** هي منطقة قليلة الارتفاع تحتل جنوبي فلسطين وتشغل نحو ثلث مساحتها وهي على شكل مثلث قاعدته في الشمال ورأسه الضيق يمتد حتى خليج العقبة وهي منطقة شبه صحراوية

---

(1) أ.ع. الإسفلت: المرجع السابق، ج17، ص 449؛ فيليب حتى: المرجع السابق، ص 39-40.

(2) السامريون: هم فرقة دينية يهودية تعود إلى انقسام مملكة سليمان إلى مملكة شمالية عاصمتها السامرة وجنوبية عاصمتها أورشليم، ويسمون أنفسهم (شومريم) بمعنى حراس الشريعة يؤمنون بالتوراة وسفر يشوع، ويرفضون بقية العهد القديم والتلمود وبنبوة موسى فقط، ويرفضون الأنبياء بعده. أنظر: أحمد خليفة حسن أحمد: المرجع السابق، ص ص 219-221.

(3) حبرون: حبرون: حسب سفر العدد (13: 22) حبرون أنشئت قبل إنشاء مدينة روان في مصر بسبع سنين في شرق الدلتا، فيرجع ربما تاريخ حبرون إلى نفس الوقت، ربما تحت اسم قرية أربع، تعرف أيضا بحيرى أو قرية إبراهيم الخليل عليه السلام، فيها حصن منيع يزعمون أنه من بناء الجن من حجارة عظيمة منقوشة، وسطه قبة من الحجارة الإسلامية على قبر إبراهيم، وقبر إسحاق، ودام في المغطى، وقبر يعقوب في المؤخرة وحذاء كل نبي امرأته (مغارة أو كهف المكفيلة). اختلف الباحثون في تحديد مدى قدم مدينة حبرون في سفر التكوين 3: 22، أنظر: المقديسي شمس الدين (أبو عبد ا محمد بن أحمد): أسس التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط1، تح: محمد أمين الظناوي دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ-2006م، ص 148؛ مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 35.

(4) أ.ع. الإسفلت: المرجع السابق، ج17، ص 449.

أمطارها قليلة غير كافية للزراعة، فلم يستغل منها إلا أراضي محدودة في الزراعة المروية بعد سحب مياه الأردن، وضحها بواسطة قناة تمتد من طبرية إلى شمال النقب بمحاذاة السهل الساحلي[1].

5- المجاري المائية: تجري في المنطقة مجاري مائية أهمها نهر الأردن الذي ينبع من ارتفاع حوالي 914م تقريبا حيث يبلغ طوله من المنبع إلى المصب حوالي 220 كلم.

ولنهر الأردن ثلاثة موارد مائية، أبعدها نهر الحصباني الواقع إلى الغرب من جبل حرمون ارتفاعه حوالي 520م فوق سطح البحر، وأما المنبع الثاني فهو نهر بنياس قرب بنياس ارتفاعها حوالي 330م فوق سطح البحر، والمورد الثالث فهو نهر اللدان، ويغدي هذا النهر على ارتفاع 154م فوق سطح البحر، وهو تل القاضي الذي يعد المصدر الرئيس لمياه الأردن، يجري نهر الأردن في أرض خصبة شمال البحر الميت وخاصة في المنطقة المحيطة ببحيرة الحولة التي تكثر حولها المستنقعات والتي يبلغ طولها حوالي 5.8 كيلومترات وأقصى عرض لها يبلغ حوالي عن 5.2 كيلومترات[2] وتمتاز الأراضي الواقعة في البحيرة بخصوبتها وينخفض مجرى النهر إلى أن يصل إلى بحيرة طبرية التي يتراوح عمق مياهها ما بين 50 و 70م وعرضها حوالي 9.5 كيلو متر، وطولها حوالي 21 كيلومترا، وهناك أنهار أخرى صغيرة تزود نهر الأردن بالمياه خاصة في فصل الشتاء، وأهمها نهر "شريعة المنادرة"، ونهر "الجالود" ونهر "الزرقاء" (والذي يسميه العهد القديم يبوك) ثم وادي الكات.

أما البحر الميت الذي (يسميه العرب بحر لوط) فهو أكثر الجهات انخفاضا في تلك المنطقة، تكثر به المعادن والأملاح وتنعدم فيه الأسماك، وشرق الأردن عبارة عن هضبة شديدة الانحدار من الناحية الغربية ويندرج ارتفاعها شرقا حتى الصحراء جنوبها وهي عبارة عن سهول بها ثلاثة وديان هي وادي الكرك ووادي المجيب ووادي زرقاء معين[3].

ثانيا: المناخ: يلعب المناخ دورا هاما في تحديد البيئة الجغرافية لمنطقة ما، فقد يكون عامل جذب للسكان إذا كان معتدلا أو عامل طرد إذا كان قاسيا وشديد البرودة أو شديد الحرارة، وفلسطين بمناخها المعتدل كانت عامل جذب للسكان حيث يسودها مناخ البحر الأبيض المتوسط الذي يمتاز بصيف حار جاف وشتاء بارد ممطر، وتختلف تفاصيل الطقس من منطقة إلى أخرى حسب اختلاف

---

(1) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص 372.

(2) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص 372.

(3) عبد الحميد زايد: المرجع نفسه، ص 373.

التضاريس أو الرياح البحرية ومواجهة المرتفعات لها، هذا بالإضافة إلى اختلاف العرض الجغرافي وعليه تكون معدلات الحرارة في المرتفعات معتدلة وتزداد ارتفاعا كلما قل ارتفاع الجبال[1].

ويعد شهر أغسطس (أوت) أكثر الأشهر حرارة حيث يصل معدل الحد الأقصى لدرجة الحرارة 37°م في المرتفعات بينما تصل درجة الحرارة 49°م في الغور الجنوبي تتراوح المعدلات الشهرية في يناير ويوليو ما بين 11°م و 23°م في المناطق الجبلية، وبين 14°م و23°م في المناطق الساحلية وبين 25°م و32°م في كل من الأغوار والعقبة على التوالي[2].

وتتلقى فلسطين إشعاعا شمسيا مستمرا من شهر مايو إلى حوالي منتصف شهر أكتوبر، لكنها قد تتعرض في بعض أيام فصل الربيع إلى هبوب رياح الخماسين الحارة القادمة من الصحراء.

أما الأمطار فمعظمها يسقط في الفترة ما بين شهري أكتوبر ونوفمبر، وأكثرها غزارة يكون في الفترة الممتدة ما بين شهري ديسمبر ويناير، غير أننا نلاحظ التفاوت الإقليمي الكبير في كميات الأمطار حيث تتناقص بشكل عام كلما اتجهنا نحو الجنوب أو بالاتجاه نحو الشرق[3]. وقد تسقط الثلوج أحيانا في المرتفعات الجبلية.

ومن هنا يتضح لنا المميزات الطبيعية (التضاريسية والمناخية) المعتدلة والملائمة للنشاط البشري في أرض كنعان (فلسطين) وهذا ما جعلها محط أنظار الطامعين والغزاة، فهي تتميز بتنوع مدهش في الحيوان والنبات والمناخ وحتى في المظاهر الطبيعية.

هذا بالإضافة إلى ما تزخر به من معادن وثروات عديدة، فيها مقاطع الحجارة البيضاء ومعدن الرخام ومنطقة بيت جبريل: وتوجد بالأغوار معادن كثيرة أهمها الكبريت، كما يوجد الملح بكثرة في البحر الميت، بالإضافة إلى كونها أرض العسل واللبن كما جاء في التوراة[4]، وأن مياه الإقليم جيدة[5] وهذا الإقليم مبارك تكثر به الفواكه الرطبة، وكلما علا نحو الروم كان أكثر أنهارا وثمارا وأبرد هواءا، وأسفله أفضل وأطيب وألذ ثمارا وأكثر نخيلا[6].

(1) أ.ع. الإسفات: المرجع السابق، ص 44.

(2) أ.ع. الإسفات: المرجع السابق، ص 449-450.

(3) ريتشارد إليوت فريدمان: من كتب التوراة، ترجمة عمرو زكريا، ط1، دار البيان للنشر والتوزيع، 2002م، ص21؛ عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص 372.

(4) سفر التثنية 26: 9.

(5) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص 373.

(6) المقديسي: المصدر السابق، ص 156.

"وقد اجتمع فيها ستة وثلاثون شيئا (أي ثمارا) لا تجتمع في غيرها، كالبنجر السباعي والتين النمري، والدمشقي والعناب وقصب السكر، والتفاح الشامي، والرطب والزيتون والجوز واللوز والموز والكرنب والترمس ولبن الجواميس والشهد وغيرها من الثمار"[1].

فالروايات القديمة تذكر أن هذه المنطقة كانت منطقة خصبة وجميلة صالحة للسكن، لكن سكانها كانوا فاسدين فأمطر عليهم النار والكبريت وحول المكان إلى قفر غير صالح للعيش[2].

وتحتل المنطقة موقعا إستراتيجيا هاما، فهي تتوسط العالم القديم بقاراته الثلاث إفريقيا وأسيا وأوروبا وهذا ما جعلها حلقة اتصال فيما بين دوله وأقاليمه المختلفة.

كما أتاح لها هذا الموقع أن تقوم بدور هام في التبادل التجاري، حيث كانت محط عبور القوافل التجارية والبضائع ما بين الشرق والغرب أي بلاد الرافدين ومصر من جهة وبين الشمال والجنوب أي الدويلات والإمارات الواقعة شمال بلاد الشام والقبائل الحجازية في الجنوب من جهة أخرى.

وقد ساهمت في انتشار الكثير من المظاهر الحضارية بين أقطار الشرق الأدنى لكنها كانت عرضة للهجرات والغزوات العديدة، كما كانت محط أطماع الممالك القوية التي قامت في هذه المنطقة والتي كانت تسعى لبسط نفوذها عليها حتى تستغل ثرواتها الطبيعية من معادن وأخشاب ومحاصيل زراعية وماشية كما استفادت من مجاورتها لأعرق حضارات العالم القديم خاصة في بلاد الرافدين ومصر[3].

المبحث الثاني- الظروف العامة لظهور المملكة: لقد ارتبط تاريخ العبرانيين بأرض كنعان، بتأثير العلاقات الدولية في الشرق الأدنى القديم آنذاك، لأن تاريخ العبرانيين كان رد فعل لحركيات تلك العلاقات الدولية التي سادت العالم القديم آنذاك.

ومما زاد في تفاقم المشكلة أن أرض كنعان التي تمركز فيها تاريخ العبرانية تعتبر رقعة جغرافية ذات أهمية إستراتيجية كبرى في المنطقة حيث كانت معبرا وطريقا للتواصل بين التشكيلات الحضارية المختلفة في الشرق الأدنى القديم، وهذا ما جعلها، وجعل سكانها عرضة للهجرات والغزوات الخارجية المتعاقبة[4].

---

(1) أبو بكر المقديسي: المرجع نفسه، ص 154.

(2) ريتشارد إليوت فريدمان: المرجع السابق، ص 21.

(3) حلمي محروس إسماعيل: المرجع السابق، ص 133.

(4) عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الخامس، د.ط، د.ت، ص 1809.

أولا- العلاقات الدولية في الشرق الأدنى القديم وتأثيرها على العبرانيين: استفادت المدن الكنعانية من حضارات الشعوب المجاورة وذلك عن طريق التأثر بالمد الحضاري للمنطقة الذي كان يمر عبر أراضيها في مراحلها التاريخية.

وفي نفس الوقت عانت الكثير بسبب موقعها الجغرافي، إذ أصبح استقلالها الكامل مستحيلا، فتارة تخضع للسيطرة السياسية والعسكرية للدول القوية في بلاد الرافدين كالبابليين والآشوريين أو الأناضول كالآموريين والحيثيين.

كما أن فراعنة[1] مصر كان لا يهدأ لهم بال حتى يسيطروا عليها وعلى بلاد الشام كلها، وهكذا كانت تنتقل من هيمنة إلى هيمنة أخرى في فترات طويلة من تاريخها[2].

وفي ظل هذا الصراع المتواصل من أجل الهيمنة والسيطرة بين الدول المختلفة فقد سنحت الفرصة لبعض الجماعات البشرية أو القبائل الرعوية لاحتلال أرض كنعان ولو لفترة وجيزة وغيرت من معالم حياة سكانها السياسية وتمثلت هذه الجماعات البشرية في العبرانيين.

والمشكلة الأساسية التي واجهت العبرانيين منذ بداية ظهورهم هي قلة عددهم وضعفهم، إضافة إلى قلة إسهامهم الحضاري إذا قارناهم بالتشكيلات الحضارية الكبرى المعاصرة لهم في العالم القديم.

وهذا ما أدى إلى عجزهم عن تكوين جيوش كبرى مسلحة على غرار جيوش الدول المعاصرة لهم، تدافع عن كيانهم السياسي، وتتوسع خارجيا فتضم إليها أراضي أخرى.

ومن ثم لم يستطيعوا فتح أراضي جديدة أو استرقاق شعوبها لأن ذلك كان يتطلب قوة عسكرية ضخمة وإنتاج متطور يستطيع تشغيل الرقيق واستيعابهم. فتحول العبرانيون إلى مصدري العبيد والجنود المرتزقة للإمبراطوريات والشعوب المجاورة بدل استعبادهم داخليا وهذا ما يدل على قصورهم السياسي والعسكري والاقتصادي[3].

وقد كانت هناك قوتان حضاريتان تسيطران على الشرق الأدنى القديم. وهما القوة المصرية، وقوة بلاد الرافدين، وكانت تنضم إليهما في بعض الأحيان قوى خارجية غير محلية مثل الحيثيين وعند

---

(1) فراعنة مصر: فراعنة هي جمع كلمة فرعون (فير-عو) المصرية ومعناه (البيت العظيم)، وكان أقدم ذكر لهذا المصطلح في النصوص المصرية من عهد خفرع (السلالة الرابعة) ولكن كان هذا اللقب يشير إلى القصر، ولم يستعمل لقبا للملك بصورة رسمية إلا في عهد السلالة الثامنة عشرة (عهد الإمبراطورية). طه باقر: المرجع السابق، ص 31.

(2) أحمد البحيصي: الاستيطان الكنعاني وهجرة اليهود إلى أرض كنعان، مجلة سيرتا، العدد 10، أفريل 1988، جامعة قسنطينة، ص 34-35.

(3) عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ص 1809.

تراجع هذه القوى العظمى تكون الفرصة سانحة لظهور قوى محلية كالأراميين والأنباط[1] وفي هذا الإطار فقد كان المصريون وحكام بلاد الرافدين يسيطرون على العلاقات الدولية في الشرق الأدنى القديم حتى بداية الألف الثانية قبل الميلاد.

فالمصريون كانوا مكتفين إلى حد ما بحكم الأراضي الواقعة شمالي شلالات النيل بينما كان حكام بلاد الرافدين يحكمون شعوب منطقة دجلة والفرات، وقد كان لكلا القوتين نفوذ خارج حدودها[2]. حيث سيطر حكام بلاد الرافدين على العيلاميين[3] في الفترة الممتدة (3000- 1700ق.م).

كما غزت مصر في عهد الدولة القديمة من الأسرة الثالثة إلى الخامسة (9885-2510ق.م) وفي أيام الدولة الوسطى أثناء حكم الأسرة الثانية عشرة (2040-1786ق.م) النوبة[4] وامتد نفوذها إلى فينيقيا وشمال سوريا وفلسطين.

وبعد عام 1500ق.م، بدأ نفوذ القوتين العظمتين ينحسر مما أدى إلى ظهور شعوب وأقوام عديدة أصبح لكل منها دولة ومناطق نفوذ، وحضارة خاصة، وبدأت تتنافس مع حضارات الأنهار القديمة وأهم هذه الشعوب الحوريون[5] والكاشيون[6] والحيثيون[1] والشعوب السامية المختلفة.

---

(1) الأنباط: هم شعوب من شعوب العرب، يعرفون عند اليونان باسم Nabataei أو النبط سكنوا في بادية الشام وجنوبي سوريا في القرن السادس ق.م حيث كانت مملكتهم في شمال الحجاز، بلادهم جبلية قليلة المياه تكثر فيها المرتفعات الصخرية الوعرة فانعكست على طباعهم فعرفوا بشدة المراس والعنف. السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 157-158.

(2) فيليب حتى: المرجع السابق، ص 137-139.

(3) العيلاميون: تذكر التوراة أن بلاد عيلان سكنها بنو سام وأن عيلان أبو قبيلة العيلانيين وأبو الفرس. أنظر: سفر التكوين 1: 22؛ سفر عزرا: 4: 9.

(4) النوبة: بضم أوله وسكون ثانيه وباء موحدة، والنوب جماعة النحل ترعى ثم تنوب إلى موضعها تشبه ذلك بنوبة الناس والرجوع مرة بعد مرة، والنوبة بلاد واسعة جنوبي مصر، وهم نصارى أهل شدة في العيش، أول بلادهم بعد أسوان، وقد مدحهم النبي صلى ا عليه وسلم: "من لم يكن له أخ فليتخذ أخا من النوبة". أنظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص ص 308-309.

(5) الحوريون: هم شعب لا سامي ولا هندي، أوربي لا يزال أصله مجهولا، أتوا من المرتفعات الواقعة شمال شرقي الهلال الخصيب بعد بحيرة أورمية وجبال زاعزوس، وفي أواخر القرن 18 غزوا شمالي بلاد الرافدين ومنها اتجهوا إلى سوريا الشمالية حيث أسسوا إحدى الممالك القوية في الشرق الأدنى. أنظر: محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، المرجع السابق، ج2، ص 533.

(6) الكاشيون: حل الحكام الكوشيون Kasstte نحو 1600-1200ق.م محل ملوك البابلسين وقد نزلوا من زاغروس إلى بلاد بابل، لكنهم تبنوا الثقافة البابلية ودمجوا آلهتهم فيما بعد في البانثيون Penteen (مجمع جميع الآلهة). سهيل زكار: المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف، ج1، ط1، دار الكتاب العربي، 1418هـ-1992م، ص 162.؛ فيليب حتى: المرجع السابق، ص 161.

وقد مر ظهور الإمبراطوريات الدولية بثلاث مراحل، المرحلة الأولى تبدأ من 1500-1200ق.م وهي الفترة التي نشب فيها الصراع بين المصريين والحيثيين على فلسطين والشام[2].

وفي غضون القرن الثالث عشر ق.م عادت القوى السياسية للتوازن بين الدولة الآشورية في العراق ودولة الفراعنة في مصر، غير أن التوازن الفعلي كان بين الدولة المصرية (في عهد الأسرة التاسعة عشرة) ودولة الحيثيين في بلاد الأناضول خاصة وأن الحيثيين كانوا قد توسعوا في سوريا في أرض كنعان على حساب الإمبراطورية المصرية[3]. خلال حكم اخناتون[4] ووالده امنحتب الثالث[5] في الأسرة الثامنة عشرة، وكان رمسيس الثاني من الأسرة التاسعة عشرة هو الذي وقف في وجه أطماع الحيثيين واستمرت الحرب بينه وبين الحيثيين لسنين طويلة انتهت باتفاقية سلام[6].

وتبدأ المرحلة الثانية بظهور الأمم الصغيرة بسبب تحطم قوة الحيثيين وضعف آشور المؤقت وتقوقع مصر، وهذا ما سمح للشعوب الصغيرة بإنشاء دويلات، فظهر الفلستيون[7] على ساحل كنعان، وشكل العبرانيون دولتهم في المنطقة الداخلية وأسس الفينيقيون دويلاتهم في لبنان واستقر الأراميون في سوريا[8].

ويبدو أن خلو منطقة الشرق الأدنى القديم من نفوذ قوى كبرى هو الذي ساعد وساهم في قيام دويلات العبرانيين والفينيقيين والأراميين وليس التوازن بين المصريين والآشوريين، وذلك لأن

---

(1) الحيثيون: هم من شعوب الهند وأورمرية القديمة أنشأوا إمبراطورية عظيمة سيطرت منذ القرن 19 ق.م على آسيا الصغرى كلها، وظلت محتفظة بقوتها أكثر من سبعمائة سنة، كما أخضعت شمال سوريا بين الفرات والبحر الأبيض المتوسط إلى جبال لبنان، وظل الحثيون يحتلون هذه المناطق حتى أغار عليهم العبرانيون (بنو إسرائيل). أنظر: زكي شنودة: المرجع السابق، ص 48.

(2) عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ص 1810.

(3) كمال سليمان الصليبي: الإطار الخارجي لجاهلية العرب، ص 319.

(4) أخناتون: تبرأ الفرعون أمينوفيس Amenophis الرابع (1367-1350 ق.م) من نحلة انتماء الدولة لأمون رع Amen R (Amun) وقدم دينا بديلا يقوم على التوحيد لأتون (Aten) الأتونية Atenism وغير اسمه إلى أخناتون Akhneten وشاركته في ذلك ملكته نفرتيتي Nefertiti. سهيل زكار: المعجم الموسوعي للديانات والعقائد، ص 36.

(5) أمنحتب الثالث: أمن هتب أو أمنوفين الثالث، من ملوك الأسرة الثامنة عشر الطيبية (1703-462 ق.م) كانت مملكته تمتد من أعالي الفرات إلى الشلال الرابع، وسماه اليونان (ممنون) وفي عصره اشتدت الفتن في الشام فأطفأها بحسن التدبير والسياسة. محمد فريد وجدي: المرجع السابق، ج9، ص 20.

(6) كمال سليمان الصليبي: الإطار الخارجي لجاهلية العرب، ص 319.

(7) الفلستيون: الفلسطينيون قوم هاجروا من بحر إيجة وغرب آسيا الصغرى وجنوب اليونان هربا من زحف القبائل اليونانية القادمة من الشمال، أوائل القرن 12 ق.م وحاولوا الاستقرار في سواحل مصر، لكن رمسيس الثاني صدهم فاتجهوا إلى سواحل كنعان الجنوبية من غزة جنوبا إلى جنوب يافا شمالا. رجا عبد الحميد عرابي: المرجع السابق، ص 193.

(8) عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ص 1810.

هجومات شعوب البحر اقتحمت دولة الحيثيين سياسيا، وهددت مصر التي حاولت صد هجوماتهم في عهد رمسيس الثالث ومنعها من إزالة دولة الآشوريين والتي كانت ما تزال صغيرة[1].

ومن هنا نستنتج أن الفراغ السياسي، الذي شهدته منطقة الشرق الأدنى القديم بسبب تراجع دور القوى العظمى فيها وانشغالها بظروفها وأوضاعها الداخلية، جعل الجو مناسب لظهور دولة العبرانيين التي استغلت الفرصة التي أتيحت لها في ظل هذا الاختلال في موازين القوى الدولية في المنطقة.

وأما المرحلة الثالثة فتبدأ حوالي عام 1100ق.م مع ظهور القوة الآشورية في فترتها الثالثة بعد استرجاع قوتها، وعودة مصر أيضا دورها الإمبراطوري ثم ظهور الدولة الفارسية التي استمرت حتى وصول الإسكندر[2] الذي بسط نفوذه على معظم الشرق الأدنى القديم.

وفي ظل هذه الظروف السياسية والعسكرية والاقتصادية ووسط هذه التشكيلات السياسية والحضارية[3] العظمى والإمبراطوريات الكبرى حاول العبرانيون التكيف مع هذا الوضع، إما بتكوين إمبراطورية صغيرة (كما فعل داود وسليمان) كمحاولة منها لملأ الفراغ الذي ظهر في فترة مؤقتة نتيجة انكماش الإمبراطوريات الكبرى. وإما بالتحالف مع بعض الدويلات الصغيرة في بلاد الشام كالأراميين، وذلك لمواجهة تدخل من طرف القوى العظمى، أو عن طريق الاعتماد على إحدى القوى العظمى كما هو الحال بالنسبة للمملكتين العبرانيين الجنوبية والشمالية التي ظهرت بعد وفاة سليمان[4].

سليمان[4].

ومن هنا نستنتج أن الظروف السياسية العامة والعلاقات الدولية في الشرق الأدنى القديم كانت مواتية وملائمة لظهور دويلات صغيرة في المنطقة مثل دولة العبرانيين، لأن القوى العظمى يومئذ كانت منشغلة بظروفها الداخلية، وهذا ما سمح للشعوب والقبائل الرعوية الصغيرة باستغلال الفرصة وإقامة كيانات سياسية محلية رغم أن نفوذها كان محدودا بحدود الإقليم، حيث عجز العبرانيون على التوسع أو ضم شعوب وإمارات أخرى تحت لواء كيانهم السياسي ولو مؤقتا.

---

(1) كمال سليمان الصليبي: الإطار الخارجي لجاهلية العرب، ص 319.

(2) الإسكندر: ولد عام 356ق.م واعتل عرش مقدونيا في 336ق.م خلفا لوالده فيليب، بدأ حملته على آسيا عام 334ق.م، فتح العراق عام 331ق.م، وتوفي عام 323ق.م وهو في سن الثالثة والثلاثون عاما. أنظر: طه باقر: المرجع السابق، ص440.

(3) فيليب حتى: المرجع السابق، ص 149.

(4) عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ص 1810؛ فيليب حتى: 5000 سنة من تاريخ الشرق الأدنى، المجلد 1، ط1، الدار المتحدة للنشر، بيروت، 1975، ص 129.

خريطة بابل وآشور



غطاس عبد الملك الخشبة: المرجع السابق، ص61.

ثانيا- موسى يقود قومه نحو كنعان: إن هذا العمل القيادي الهام كان يتطلب تنظيما محكما وتحديد للمسؤوليات والمهام لدى كل سبط من الأسباط الأثني عشر.

فلذلك حدد موسى مهام كل سبط ومسؤولياته في رحلة الخروج ما عدا سبط لاوي الذي كانت له الزعامة الدينية على سائر الأسباط.

كما كون مجلسا تشريعيا يضم سبعين رجلا اختارهم بنفسه[1]. وعندما وصل موسى وقومه إلى " فاران " أرسل بعض رجاله إلى أرض كنعان، لاستطلاع أحوال البلاد والعباد هناك ومعرفة مدى قوتهم وقوة تحصيناتهم لاختيار الطرق والسبل المناسبة لمواجهتهم، وهذا حسب ما جاء في التوراة.

---

(1) وهذا ما يدل على ما كان يتصف به موسى عليه السلام من روح ديمقراطية وتطبيق مبدأ الشورى التي أراد تعليمها لقومه، حيث كان يشرك هذا المجلس في قراراته المصيرية.

" **اصعدوا من هنا إلى الجنوب واصعدوا إلى الجبل، وانظروا الأرض ما هي والشعب الساكن فيها أ قوى أم ضعيف قليل أم كثير، وكيف هي الأرض جيدة أو ردية** "[1].

وبعد أربعين يوما عادوا إلى موسى وقدموا له بعض ثمار كنعان مع نتائج استطلاعهم لما وجدوا عليه تحصينات ومدن وطرق كنعان، وأن العمالقة كانوا يسكنون جنوبها والحيثيون واليبوسيون والأموريين يسكنون الجبال، في حين كان الكنعانيون يسكنون ساحل البحر[2].

وبعد معرفة قوم موسى لنتائج الاستطلاع وقوة بأس الكنعانيين وشجاعتهم انتابهم الخوف فانتشرت حركة تذمر وعصيان ضد موسى وأخيه هارون وصعد بعضهم إلى الجبل[3] غاضبين مطالبين بعزل موسى عن قيادتهم والعودة إلى مصر.

وكما جاء في التوراة "**غضب الرب عليهم فنزل العمالقة والكنعانيون الساكنون في ذلك الجبل وضربوهم وكسروهم**"[4].

فاشتد غضب الرب في ذلك اليوم وأقسم قائلا: " **لن يرى الذين صعدوا من مصر من ابن عشرين فصاعدا الأرض التي أقسمت أن أعطيها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب لأنهم لم ينقادوا لي، ماعدا كالب بن يفنا القنري و يشوع بن نون** "[5].

وسكتت التوراة عن الوضع بعد هذه المرحلة، فقد جاءت معلوماتها غامضة غير أننا قد نفهم أن هناك فقرة أشارت إلى أن الرب غضب عليهم فتاهوا في البرية أربعين سنة حتى يفنى الجيل الذي فعل الشر في عين الرب[6].

ونستنتج من تلك الإشارة أن موسى وأتباعه قد انشغلوا بأوضاعهم الداخلية وخلافاتهم ولم يقوموا بأي غزو لأرض كنعان حتى جيل جديد بعد أربعين سنة كان بعيدا عن خطايا ومعاصي آبائهم، مع الملاحظة أنهم قد قضوا هذه الفترة المعروفة بفترة التيه في منطقة " قادش[7] " قرب جبل هود بجانب أرض الأدوميين وكانت أرض التيه في شمال شرق سيناء أو شمال خليج العقبة[8].

---

(1) سفر العدد: 13: 17-18.

(2) سفر العدد: 13: 27-28.

(3) يقصد بذاك الجبل جبل هود. رجا عبد الحميد عرابي: المرجع السابق، ص 168.

(4) سفر العدد: 14: 32-45.

(5) سفر العدد: 32: 10-12.

(6) سفر العدد: 14: 32.

(7) قادش: تقع شمال شرق شبه جزيرة سيناء لها مكانة خاصة عند الإسرائيليين حيث استقروا بها في أغلب فترات بقائهم في الصحراء (فترة التيه). Adolphe Loos: Op.cit, P 200.

(8) عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، دراسة وضبط محمد الإسكندراني، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1425هـ - 2005م، ص 167.

ويبدو من خلال رواية التوراة أن موسى عليه السلام، قد خطط لمهاجمة أرض كنعان من شرق الأردن بعدما رأى صعوبة اختراقها من جهة الغرب، وراجح أن ذلك لم يتم وأن المعارك التي ذكرتها التوراة والهزائم التي مني بها ملوك الأموريين ليس لها سند تاريخي فهي لا تتعدى كونها قصصا أسطورية كان الهدف من كتابتها هو رفع معنويات العبرانيين وهم في بابل خلال القرن السادس قبل الميلاد وإقناعهم بأن الرب سوف يعود لنصرتهم في حالة تركهم عبادة الأصنام[1].

وقد حاول العبرانيون الاستيلاء على جنوب أرض كنعان لكن الملك الكنعاني " عراد " تصدى لهم وهزمهم. مما اضطرهم إلى تغيير اتجاه سيرهم نحو منطقة أدوم عبر بادية بلاد الشام، لكن ملكها رفض السماح لموسى وأتباعه بالمرور عبر أرض مملكته، وكانت تعيش في أدوم عشيرة كبيرة من سلالة عيسو ابن إسحاق الذي تزوج من كنعانيات، وقد استأذن موسى ملك أدوم بالمرور إلى منطقة مؤاب، لكن ملكها رفض طلب موسى أيضا[2]، فتحول موسى وأتباعه إلى جبل هود مرغمين بعد أن استنفذوا كل الطرق والوسائل الممكنة لدخولهم أرض كنعان، وهناك توفي هارون في جبل هود.

وتروي التوراة أن قوم موسى اتجهوا شرقا عبر صحراء مؤاب نحو الأراضي الأمورية الواقعة بشرق نهر الأردن، وهناك دارت معارك ضاربة مع ملك الأموريين (سيحون) انتصر فيها العبرانيون بفضل أعدادهم الضخمة التي كانت تفوق عشرة أضعاف عدد الأموريين واستولوا على المدينة الرئيسية للأموريين " حشبون " وجميع القرى ثم زحفوا شمالا إلى منطقة باشان فقتلوا ملكها " عوج " وجميع عائلته وقومه[3].

وهنا فإنني أعتقد أن ضخامة عدد أتباع موسى مبالغ فيه من قبل كتبة التوراة، لأنهم عند خروجهم من مصر حوالي 1290ق.م كان عددهم يتراوح بين ستة وسبعة آلاف فرد بما فيهم النساء والأطفال والشيوخ[4] وهناك من قدرهم بأقل من ذلك بكثير حيث ذهب الباحث أحمد داود أن عددهم عند الخروج كان يتراوح بين 700 و1400 فرد[5].

بينما تضخم التوراة عددهم إلى حوالي ستمائة آلف رجل عدا النساء والأطفال[6]، وهذا رقم مبالغ فيه، فإذا أحصينا النساء والأطفال سيصل عددهم إلى حوالي مليونين ونصف المليون نسمة.

---

[1] أحمد عثمان: المرجع السابق، ص 89.

[2] مصطفى كمال عبد العليم، سيد فرج راشد: المرجع السابق، ص 63.

[3] سفر العدد: 21: 10-35.

[4] أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، المرجع السابق، ص 602.

[5] رجا عبد الحميد عرابي: المرجع السابق، ص 151.

[6] سفر الخروج: 1: 5، 12: 37.

ونحن نعلم أن خروجهم من مصر كان سرا فكيف يعقل أن يخرج هذا العدد كله سرا؟، دون أن ننسى أن عدد السكان في ذاك الوقت كان قليلا، فنجد المصادر والمراجع تحدد سكان مصر والشام كلها بأقل من ثلاثة ملايين نسمة[1].

وإن ما يؤكد اعتقادنا هذا هو وصف القرآن الكريم لهم على لسان فرعون من أنهم كانوا قلة قال تعالى: ﴿فَأَرسلَ فرعونُ في المدائنِ حاشرين، إن هؤلاءِ لَشرذمةٌ قليلُونَ﴾[2].

إن هذا التناقض والتضخيم للأرقام والأحداث الموجودة في التوراة يستلزم على الباحث توخي الحيطة والحذر وغربلة الحقائق والأحداث التي ترويها التوراة ومقارنتها بما جاء في القرآن الكريم وهو أصدق المصادر كلها.

وقد توفي هارون بعد أربعين سنة من خروجهم من مصر بجبل هود على مدخل أرض أدوم وقيل أن عمره كان مائة وثلاثة وعشرون سنة، دون أن يدخل أرض كنعان التي "**تفيض لبنا وعسلا**" كما تصفها التوراة[3]. وهي أرض الميعاد التي وعد الرب بها إبراهيم الخليل عليه السلام " **لنسلك أعطي هذه الأرض** "[4].

وإذا حللنا هذه العبارة نجد أنها لا تخص بني إسرائيل وحدهم بل كل نسل إبراهيم عليه السلام.

فالعرب العدنانيون هم من نسل "إسماعيل بن إبراهيم"، والعرب المديانيون هم من نسل مديان بن ابراهيم"، والعرب الأدوميون كذلك هم من نسل "أدوم بن إسحاق بن إبراهيم" والعرب السبئيون (الشبائيون) أيضا من نسل "سبأ بن يشباق بن إبراهيم".

ومن هنا اعتقد أن هذا الوعد لا يخص العبرانيين أو بني إسرائيل وحدهم لأن يعقوب أو إسرائيل ليس هو الوحيد من نسل إبراهيم بل هناك أقواما أخرى من ذرية إبراهيم، أكثر عددا من ذرية يعقوب الذين لا يشكلون إلا جزء ضئيلا من ذرية إبراهيم عليه السلام.

ويرى الكاتب رجا عبد الحميد عرابي أننا إذا حللنا ما جاء في التوراة " **نبارك مباركيك** " أن العرب وحدهم هم الذين يباركون إبراهيم عليه السلام في كل صلاة يصلونها وبذلك فهم أحق بهذا الوعد[5].

---

[1] رجا عبد الحميد عرابي: المرجع السابق، ص 151.

[2] سورة الشعراء: الآية 53- 54.

[3] رجا عبد الحميد عرابي: المرجع السابق، ص 173.

[4] سفر التكوين 17: 8.

[5] رجا عبد الحميد عرابي: المرجع نفسه، ص 173.

وتروي التوراة غضب الرب على موسى بسبب أنه عندما كان في سيناء بأحد المواقع المسمى " رفيديم " ضرب الحجر بعصاه فأخرج منه الماء ليشرب بنو إسرائيل " **خاصم الشعب موسى وقالوا أعطونا ماء نشرب... وتذمر الشعب على موسى وقالوا لماذا أصعدتنا من مصر لتمنينا وأولادنا ومواشينا بالعطش فصرخ موسى إلى الرب قائلا ماذا أفعل بهذا الشعب، وبعد قليل يرجمونني، فقال الرب لموسى مر قدام الشعب وخذ معك شيوخ إسرائيل وعصاك التي ضربت بها النهر خذها في يدك واذهب، ها أنا أقف أمامك هناك على الصخرة في حوريب فتضرب الصخرة فيخرج منها ماء ليشرب الشعب[1]، ففعل موسى هكذا أمام عيون شيوخ إسرائيل** "[2]. وكانت نتيجة غضب الرب على موسى هو منعه من دخول أرض كنعان مع قومه[3]. " وكلم الرب موسى في ذلك اليوم قائلا: "**هذه الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب أن لنسلكم أعطيها أريتك إياها بعينيك، لكنك إلى هناك لا تعبر**" فمات هناك موسى عبد الرب في أرض مؤاب بأمر الرب، ودفنه في الوادي في أرض مؤاب تجاه بيت فغور، ولا يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا[4].

وكان موسى عند وفاته ابن مائة وعشرين سنة، ولم يكل بصره ولم تذهب نظرته ولم تنتفخ وجنتاه[5]، ودفن عند سفح جبل نبو.

وقد شاء ا تعالى أن تنتهي حياة موسى وهارون بعد أداء رسالتهما وبعد كفاح طويل، وجهاد متواصل مع فرعون وملئه تارة ومع قومهما تارة أخرى.

وقد أثنى ا على موسى وهارون عليهما السلام، وذكر في كثير من الآيات ما قاما به من جهاد وكفاح[6]، قال تعالى: ﴿ ولَقَد مننا علَى موسى وهارونَ، ونجيناهما وقَومهما من الكَربِ العظيمِ، ونصرناهم فَكَانوا هم الغالِبِين، وآتيناهما الكتاب المستبِين، وهديناهما الصراطَ المستقيم، وتركْنا علَيهما في الآخرِين، سلام علَى موسى وهارونَ، إِنا كَذَلك نجزِي المحسِنِين، إِنهما من عبادنا المؤمنِين﴾[7].

وهكذا كانت حياة موسى مليئة بالعبر والعظات، والصبر على المشاق والأذى، والشجاعة والإخلاص لنشر عبادة التوحيد ومحاربة الشرك والوثنية وهداية قومه إلى طريق الحق، وفي مواجهة

---

(1) لا يتضح من خلال رواية التوراة لهذه القصة أسباب غضب الرب على موسى حيث جاءت هذه الرواية غامضة.

(2) سفر العدد: 20: 1-12.

(3) أحمد عثمان: المرجع السابق، ص 90.

(4) سفر التثنية: 34: 4-8.

(5) ابن العبري: المصدر السابق، ص 19.

(6) محمد الطيب النجار: تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، د.ط، دار الاعتصام، القاهرة، د.ت.

(7) سورة الصافات: الآية 114-122.

تعنت وتكبر قومه، فلم ييأس ولم يقنط من رحمة ا بل واجه كل ذلك بحكمة وتبصر، وكان كل مرة يطلب لهم من ا العفو والمغفرة.

المبحـث الثالث- احتلال أرض كنعـان: قد بدأ التمهيد لغزو كنعان منذ خروج موسى عليه السلام بقومه من مصر، وقد حددت كهدف يجب الوصول إليه لسلامتهم وتنفيذا لأمر الرب[1] طبقا لرواية التوراة الذي حث موسى وقومه على تحطيم أغلالهم وعبوديتهم بدخول أرض الميعاد[2] قال تعالى: ﴿وإِذْ نجيناكُم من آلِ فرعونَ يسومونكُم سوءَ العذَابِ يذَبحونَ أَبناءَكُم ويستحيونَ نِساءَكُم وفي ذَلكُم بلاَءٌ من ربكُم عظيم﴾[3].

أولا- يوشع بن نون يغزو أرض كنعان: وهو يوشع بن نون بن أفرانيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام، وقد أرسله ا نبيا إلى بني إسرائيل بعد وفاة موسى وأمره بالمسير إلى أريحا[4] مدينة الجبارين[5]، وقد ولد بمصر، بينما يرى هارفي بورتر بأنه لم يكن نبيا كسالفه موسى، بل كان قائدا حربيا شجاعا شديد البأس[6]. وقيل أن موسى لما حضرته الموت أمره أمره ا عز وجل، أن يدخل يوشع إلى قبة الزمان فيقدس عليه، ويضع يده على يده فتتحول فيه بركته، ويوصيه أن يقوم بعده في إسرائيل، ففعل ذلك[7].

استوعب يوشع الحكمة وعرف شريعة موسى أكثر من غيره من بني إسرائيل نظرا لمصاحبته لموسى عليه السلام وخدمته له، فكان أهلا لخلافته، وجاء في التوراة[8]: " **يوشع بن نون كان قد امتلأ**

---

(1) Jean Deshayes : Les civilisation de l'orient ancien, Arthand, 1969, P 123.

(2) مصطفى كمال عبد العليم، سيد فرج راشد: المرجع السابق، ص 61.

(3) سورة البقرة: الآية 49.

(4) أريحا: بالفتح ثم الكسر وياء ساكنة والحاء مهملة والقصر، وقد رواه بعضهم بالخاء المعجمة، لغـة عبرانيـة، وهـي مدينـة الجبارين في الغور من أرض الأردن بالشام، وبينها وبين بيت المقدس يوم للفارس في جبال صعبة المسالك، سميت فيما بعد بأريحا بن مالك بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام، وقد حرك جرير الباء منه ومده فقال:

فماذا راب عبد بني نمـير	**فعلي أن أزيدهـم ارتيابا**
أعـد لها مفاوى منضجات	**ويشفى حر تعتلى الجرابا**
شياطين البلاد يخفن زأري	**وحية أريحاء لي استجابا**

أنظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 165.

(5) الطبري: تاريخ الطبري، المصدر السابق، ص 254؛ ابن الجوزي: المصدر السابق، ص 377؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج1، ص 113؛ اليعقوبي: المصدر السابق، ص 46.

(6) هارفي بوركر: المرجع السابق، ص 122.

(7) اليعقوبي: المصدر السابق، ص 48.

(8) رجا عبد الحميد عرابي: المرجع السابق، ص 181.

روح حكمته، إذ وضع موسى عليه يده، فسمع له بني إسرائيل وعملوا كما أوصى الرب "[1]. ورغم أنه كان صغيرا أثناء تواجد بني إسرائيل في سيناء، فقد أصبح " تارمء " و" تلميذ " موسى، بل إنه الوحيد من بين شيوخ بني إسرائيل الذي سمح له بمصاحبة موسى عند صعوده إلى الجبل لتلقي الوصايا[2]، ومع أن موسى وهارون كانا الوحيدين المسموح لهما بدخول خيمة الاجتماع[3] التي أقامها موسى عند سفح الجبل فقد كان يشوع بن نون لا يبرح الخيمة، بل إنه الوحيد بعد موسى الذي نال لقب " عبد الرب " أي " عبد الإله "[4].

وسكتت التوراة عن ذكر يوشع وعائلته غير أنها ذكرته بأنه كان " ابن نون " بالعبرية يعني سمله، وتقول إحدى قصص التفسير اليهودية أن يشوع لم يكن في الأصل ينتمي إلى سلالة إسرائيل، بل كان من سلالة الأممين الذين دخلوا الديانة الموسوية، فقد كانت جدته الكبرى هي " أسينات " المصرية التي تزوجها يوسف وكان بنوا إسرائيل الذين ينسبون الولد لأمه لا يقبلون في جماعتهم من ولد لأم غير إسرائيلية[5].

وهذا ما ينقص من نسبه إلى بني إسرائيل فيتضح من هذه القصة أن العبرانيين ما كانوا ليقبلوا قيادته لهم ولولا أن موسى عليه السلام هو الذي أوصى بذلك.

وكان عند الخروج من مصر في الخامسة والأربعين من عمره، وبعد وفاة موسى عليه السلام كان بنو إسرائيل يعسكرون شرق نهر الأردن في مواجهة مدينة أريحا[6].

ويلاحظ الطابع الأسطوري لرواية الأحداث التي كانت على شكل معجزات في الكتاب المقدس، وعليه فنحن نتعامل مع معلوماتها بمنهج تاريخي دقيق بكل موضوعية وتمحيص، فلا نرفض مادته العلمية بل نستفيد منها قدر المستطاع ونخضعها للفكر والدراسة حتى توفر ما نحتاج إليه من معلومات

---

(1) سفر التثنية: 34: 9.

(2) الوصايا: هي مجموع وصايا ا لشعب العهد القديم وبالأخص الوصايا التي أعلنها موسى على جبل سيناء (مت: 5: 17-18) الكتب التي تضم هذه الوصايا وبخاصة الكتب الخمسة الأولى من كتب العهد القديم واسمها شريعة موسى، مبدأ عمل الخير أو الشر في الإنسان. أنظر: منبع الحياة، الإنجيل Nouveau testament L'Evangile، 1993، ط2، 2001، جمعية الكتاب المقدس، لبنان، ص 714.

(3) خيمة الاجتماع: هي خيمة صنعت في عهد موسى عليه السلام من أفضل الأقمشة تنتقل مع بني إسرائيل وتنصب عند الاستقرار وتقام حولها الصلوات والعبادات ولا يدخلها إلى موسى وهارون، وبعدهما يدخلها الكهان فقط، ويوضع في داخلها تابوت العهد والمائدة والمنارة (وكانت مصنوعة من الذهب الخالص لإنارة الخيمة). أنظر: رجا عبد الحميد عرابي: المرجع السابق، ص 180.

(4) أحمد عثمان: المرجع السابق، ص 96.

(5) أحمد عثمان: المرجع السابق، ص 96.

(6) زكي شنودة: المرجع السابق، ص .

حول موضوع هذه المذكرة، مع العلم أن الكتاب المقدس يعتبر مصدرا أوليا لدراستنا، لذلك فعلينا حسن التعامل والصبر على بعض الأساطير والمبالغات[1].

وانتقلت قيادة بني إسرائيل إلى يوشع بعد وفاة موسى حيث كان من المساعدين المخلصين له غلامه وتابعه، وبعد استلام يوشع القيادة أمره ا بعبور الأردن، واحتلال أريحا، أهم المدن الكنعانية التي احتلها الموسويون، ومن ثم كانت المهمة الملقاة على عاتق يشوع بن نون هي أن يقود العبرانيين في إغارتهم على أرض كنعان أو فلسطين.

وكانت تقيم في أرض كنعان في ذلك الوقت سبعة شعوب هم كما ذكرتها التوراة الحيثيون والأموريون[2] والكنعانيون والفرزيون[3] والجرجاشيون[4] والحوريون[5] واليبوسيون[6].

وقد بدأ يشوع مهمته بإرسال جاسوسين إلى أرض كنعان وبالضبط إلى أريحا (الواقعة غربي الأردن شمال شرقي أورشاليم) لجمع المعلومات. واختفيا في بيت عاهرة (راحاب) ولما علم ملك أريحا بأمرهما أراد الإمساك بهما لكن راحاب خبأتهما، وبعد عودتهما، قرر يوشع تعبئة القوم لاحتلال فلسطين[7]، قائلا لهم: " **هيئوا لأنفسكم زادا لأنكم بعد ثلاث أيام تعبرون الأردن هذا لكي تدخلوا فتمتلكوا الأردن التي يعطيكم الرب إلهكم لتمتلكوها** "[8].

وتقص التوراة الأحداث التي جرت بعد ذلك بتفصايل يشوبها الكثير من الخيال مما جاء فيها، فأمر يوشع بعبور النهر في موكب وثنى خاشع يمد الماء تحت أقدامهم ثم وقف الموكب أمام الأسوار

---

(1) أحمد عثمان: المرجع السابق، ص 97.

(2) الأموريون: شعب سامي عاش في إقليم سوريا هاجروا من شبه الجزيرة العربية مع الكنعانيين، فاستولوا على بابل وأجزاء من سوريا وفلسطين، وكان ملوك الأسرة الأولى التي حاكمت بابل من القرن 19 إلى القرن 16ق.م من الأموريين ومن بينهم حمورابي أشهر ملوكها. أنظر حلمي محروس إسماعيل: المرجع السابق، ص 139؛ زكي شنودة: المرجع السابق، ص 48.

(3) الفرزيون: هم طائفة معدودة من الكنعانيين لكن يبدو أنهم عنصر غير عنصر الكنعانيين أقدم منهم في البلاد، فقد كانوا من القبائل التي تسكن أرض كنعان في عهد إبراهيم وكانوا في عهد يشوع يسكنون المنطقة الجبلية التي كانت فيما بعد من نصيب سبطي أفرائيم ومنسي. أنظر: زكي شنودة: المرجع نفسه، ص 50.

(4) الجرجاشيون: كانوا من جيش الكنعانيين وكان مركزهم في الأردن وامتدت بلادهم إلى الخليل أنظر: أحمد إسماعيل علي: تاريخ بلاد الشام (ماجستير في التاريخ)، ط3، جوهر الشام، 1994، ص 68؛ زكي شنودة: المرجع نفسه، ص 50.

(5) الحويون: كانوا يقطنون سفح جبل لبنان من جبل حرمون إلى مدخل حماء. أنظر: زكي شنودة: المرجع السابق، ص 50.

(6) اليبوسيون: هم بناة مدينة القدس، وكانت على عهدهم تسمى " يبوس " ويعود أصلهم إلى شبه الجزيرة العربية حيث كانوا بطنا من بطون العرب الأوائل، نشأوا في صميم الجزيرة العربية ثم نزحوا مع من نزح من القبائل الكنعانية، واستوطنوا فلسطين، وأغلب الظن أن ذلك حدث منذ 3000 سنة ق.م. أنظر: كمال عبد العليم، سيد فرج راشد: المرجع السابق، ص 70.

(7) زكي شنودة: المرجع السابق، ص 47-48؛ صابر طعيمة: التاريخ اليهودي العام، المرجع السابق، ص 111-112؛ أحمد عثمان: المرجع السابق، ص 97.

(8) سفر يشوع: 6: 26.

المقفلة وطاف حولها بأمر الرب سبعة أيام وفي كل يوم سبعة أطواف وهو يهتف بالرب وينفخ بالأبواق وفي اليوم السابع سقطت الأسوار بمعجزة ربانية، فدخلوا المدينة وقتلوا جميع من فيها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ حتى البقر والغنم والحمير وأحرقوها كما أمر يشوع[1] باستثناء الذهب والفضة والماس خزانة الرب، والبغي وأهلها، ثم دعا يشوع بعد ذلك قائلا: "**ملعون لدى الرب الرجل الذي ينتهض ويبني هذه المدينة**"[2].

وإن ما يبرر الحيرة والشك هو ما صاحب عملية الغزو من قسوة وعنف وهمجية لا مبرر لها، فكيف يعقل أن يحرض يوشع جنوده على القتل العشوائي والإبادة الجماعية دون تمييز بين رجل وامرأة أو طفل وشيخ وحتى الحيوانات لم تسلم من ذلك، وتنتهي العملية بحرق كلي للمدن التي احتلوها؟

وقد ذكر ريشارد لوبو أنه في عام 1922 اكتشفت آثار تعود إلى عصر البرونز من بينها سور عليه أثار حريق مهول، وهذا ما يؤكد ما جاء في الكتاب المقدس من حرق المدينة وكل ما كان موجودا بها[3]، يؤكد الوحشية التي طبقها العبرانيون عند دخول المدينة.

هل يعود ذلك إلى اعتقادهم بأنهم أفضل الناس مثلما يقول الحاخام اليهودي "باربانيل" "الشعب المختار فقط يستحق الحياة، الحياة البدائية، أما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الحمير". ومن تفسيرهم لبعض آيات التوراة " **إذا ضرب أممي إسرائيلي، فالأممي يستحق الموت** ".

أم أن الوحشية المفرطة في حروبهم نابعة من معتقدهم الديني أن الأغيار (أي غير اليهود) هم كالبهائم لا ضير ولا جناح عليهم في قتلهم[4].

وقد ذكر القرآن الكريم دخول اليهود أريحا حيث أمرهم ا تعالى أن يدخلوا باب المدينة سجدا أي خاضعين أذلة الذي مكنهم من دخولها، وأن يقولوا حطة ولكنهم خالفوا أمر ا تعالى، وقالوا قولا غير الذي أمرهم ا أن يقولوه: ﴿وإذْ قُلْنا ادخلُوا هذه القَريةَ فَكلُوا منها حيثُ شئْتم رغَداً وادخلُوا الباب سجداً وقُولُوا حطةٌ نغفر لَكُم خطَاياكُم وسنزيد المحسِنِين، فَبدلَ الذين ظَلَموا قَولاً غَير

(1) سفر يشوع: 6: 19-26؛ صابر طعيمة: المرجع نفسه، ص 117؛ محمد عزة دروزة: المرجع السابق، ص 115؛ أحمد عثمان: المرجع السابق، ص 97؛ رجا عبد الحميد عرابي: المرجع السابق، ص 183؛ زكي شنودة: المرجع السابق، ص 123.

(2) سفر يشوع 6: 26؛ ابن الجوزي: المصدر السابق، ص 377؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ص 114.

(3) Richard Lebeau : Une histoire des hébreux de moise à Jésus, Taillandier, Paris, 1998, P 62.

(4) صابر طعيمة: التاريخ اليهودي العام، المرجع السابق، ص 124-125.

الذي قيلَ لَهم فَأَنزلْنا علَى الذين ظَلَموا رِجزاً من السماءِ بِما كَانوا يفْسقُونَ﴾[1]. ومعنى حطة؛ أي يطلبون من ا أن يحط عنهم ذنوبهم أي يغفرها لهم.

ويقول البيضاوي أن المدينة هي بيت المقدس أو "آريوا" وإن الأرجح أنها أريحا، وليست القدس لأن دخولهم القدس (يبوس)[2] تأخر حتى زمن داود عليه السلام[3].

ومن المدن التي استولى عليها يوشع: بيت إيل[4] وعاي[5] ولخيش عجلون وحبرون ودبير. أما أورشليم فكانت من المدن التي عجز يوشع عن احتلالها وذلك لبنائها الحصين وقوة مقاومة اليبوسيين، ولم يجرؤ يوشع على محاربة الفلسطينيين المتحصنين في مدنهم الساحلية بين غزة ويافا وذلك لتفوقهم الحربي ولامتلاكهم لمعدات حربية مصنوعة من الحديد[6]، ويرى أحمد سوسة أن الظروف السياسية السائدة آنذاك ساعدت يوشع على احتلال بلاد كنعان، فالبلاد كانت منقسمة على نفسها تتصارع فيما بينها، وتتألف من دويلات عديدة يحكمها حكام مستبدون ومتصارعون همهم الوحيد الحفاظ على سيطرتهم[7]، ثم سار بنوا إسرائيل إلى مدينة عامر على بعد كيلومترات عدة غربي أريحا، وفي هذه المرة قسم يشوع جيشه إلى قسمين، فبينما اختبأ أحد القسمين شمال عاي خرج القسم الأول من مخبئه ودخل المدينة المغزوة واستولى عليها عنوة قتال، فلما سمع سكان المنطقة الواقعة غرب أريحا وعامر بما فعله يشوع بالمدن التي استولى عليها ذهبوا إليه وطلبوا منه أن يعطيهم الأمان ففعل ذلك.

وخشيت باقي ممالك كنعان من أن يكون مصيرها على يد يشوع هو نفس مصير أريحا وعامر، فتحالف ملوك خمس مدن في وسط فلسطين، وهم ملوك (القدس والخليل واليرموك والدوير والحصر) وخرجوا لملاقاة يشوع[8] إلا أنهم وقعوا في الأسر وأعدموا " **فقال الرب ليشوع لا تخف منهم فأنا سلمتهم إلى يدك فلا يثبت أحد منهم أمامك"، فهزمهم الرب أمام بني إسرائيل وضربهم ضربة عظيمة، وبينما هم هاربون من أمام إسرائيل، رماهم الرب بحجارة عظيمة من السماء إلى عزيقة فماتوا، والذين**

---

(1) سورة البقرة: الآية 58-59.

(2) يبوس (القدس): ذكرت أول إشارة إلى مدينة القدس في النصوص المصرية السائدة منذ القرنين التاسع عشر والثامن عشر ق.م، وكان اسمها على الأرجح روشاليم Rushalimon ثم ذكرت في رسائل العمارنة (ق 14 ق.م) باسم أوروسليم وسميت يبوس نسبة إلى اليبوسيين وهم فرع من الكنعانيين الذين سكنوا القدس، ويبدو أن اسم يبوس الذي سميت باسمه هو أحد أولاد كنعان. أنظر: مصطفى كمال عبد العليم، سيد فرج راشد: المرجع السابق، ص 75.

(3) عبد الوهاب النجار: المرجع السابق، ص 298-299.

(4) بيت إيل: (بيت ا) تقع على بعد عشرة أميال شمال القدس. أنظر: رجاء عبد الحميد عرابي: المرجع السابق، ص 184.

(5) عاي: وتقع شرق بيت إيل على بعد تسعة أميال من القدس. أنظر: رجاء عبد الحميد عرابي: المرجع نفسه، ص 184.

(6) رجا عبد الحميد عرابي: المرجع السابق، ص 184.

(7) أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، ص 620.

(8) أحمد عثمان: المرجع السابق، ص 98.

ماتوا بحجارة البرد هم أكثر من الذين قتلهم بنوا إسرائيل... فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل بالغروب نحو يوم كامل، ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده لأن الرب حارب عن إسرائيل "[1].

وفي هذه المرة أيضا قال الرب ليشوع " **لا تنفهم لأني غدا في مثل هذا الوقت ادفعهم جميعا قتلى أمام إسرائيل، فتعرقب خيولهم تحرق مركباتهم بالنار**"[2].

ورغم ذلك فقد عجز بنو إسرائيل عن احتلال يبوس (القدس) نفسها لتحصينها المنيع والمقاومة الشديدة لليبوسيون الذين اتحدوا مع ملك حاصور[3] ضد يوشع لكنهم انهزموا فلم يستطع بنو إسرائيل الاستيلاء على قلعة اليبوسيين (حصن صهيون[4] فيما بعد).

وبذلك سقطت في يد يوشع إحدى وثلاثون إمارة للكنعانيين، وقد قسم يوشع قبل وفاته أرض كنعان بين أسباط بني إسرائيل الاثني عشر مع تحديد مكان كل سبط[5] وذلك حسب القرعة وتبعا لتعداد لتعداد أفراد كل سبط " **ثم كلم الرب موسى قائلا: لهؤلاء تقسم الأرض نصيبا على عدد[6] الأسماء فكل له نصيبه، كل واحد حسب المعدودين منه يعطى نصيبه، إنما القرعة تقسم الأرض حسب أسماء أسباط آبائهم يملكون حسب القرعة يقسم نصيبهم بين كثير وقليل** "[7].

وتسرد الرواية كيف أن القرعة تمت بحضور الكاهن (ألعازار) بلباسه الكهنوتي، فوقف أمامه يوشع وجميع الأسباط الاثني عشر، وأمامه قدر به جميع أسماء الأسباط، وفي قدر آخر أسماء الأماكن التي ستوزع، ووقف اثنان من الكهنة الشباب إلى جانب ألعازار يرفع كل واحد منهما أسماء من أحد القدرين، وبنفس الطريقة تمت القرعة بين الأسباط[8].

---

(1) سفر يشوع: 10: 8-14.

(2) سفر يشوع: 10: 13.

(3) حاصور: هي كبرى مدن الجليل الأعلى بشمال فلسطين على مقربة من مرتفعات الجولان السورية، تقع على بعد تسعة أميال شمال بحر الجليل. أنظر أحمد عثمان: المرجع السابق، ص 109.

(4) صهيون: هذه التسمية ليست عبرية بل هي فلسطينية قبل الوجود اليهودي وتأتي كلمة صهيون من الكلمة الكنعانية صية ومعناها قمة وبقي منها في اللغة العربية صياصي الجبال بمعنى قممها. أنظر: مصطفى كمال عبد العليم، سيد فرج راشد: المرجع السابق، ص 76.

(5) مصطفى كمال عبد العليم، سيد فرج راشد: المرجع السابق، ص 65-66؛ أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، ص 203؛ أحمد عثمان: المرجع السابق، ص 95-99؛ صابر طعيمة: التاريخ اليهودي العام، المرجع السابق، ص 118-119.

(6) سفر العدد: 26: 52-56.

(7) سفر يوشع: 6: 21-24.

(8) سفر يوشع: 13: 6.

وقد ذكر في سفر يوشع: " **كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم عظمته، كما كلمت موسى من البرية ولبان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات، جميع أرض الحيثيين وإلى البحر مغرب الشمس يكون تخومكم** "[1].

بذلك استقر سلطانه في نصف شرق الأرض وهي: روبيل وجاد ونصف سبط منسى، وكان رأوبين وجاد قد تقاعسا عن المضي مع بقية الأسباط لعبور نهر الأردن، وكان موسى قد ذكر قبل وفاته غضب الرب عليهما إذا لم يساعدا في دخول كنعان القوية التحصينات، فتعهد بالتقدم مع بقية الأسباط وكان استقرارهما شرق الأردن، وهي أرض مملكة سيتون (الأمورية) وأرض مملكة عوج (باشان).

كما استقر سبط دان على سفوح جبال يهوذا في جزء من السهل الساحلي المجاور وتحت ضغط الفلسطينيين نزحت بعض عشائر قبيلة دان نحو الشمال حيث أقاموا مدينة باسم سبطهم دان، ويبدو أنها كانت في أقصى شمال فلسطين القديمة. بينما أقام سبطا يهوذا وبنيامين حول القدس، وأقبل كل من سبطي أفرايم ومنسى خلال السامرة (شمال القدس)[2].

استقرا سبطا يساكر وزبولون في شمال منطقة منسى بين وادي مرج بن عامر (يزراعيل) الخصب غربا إلى ساحل البحر المتوسط واستقر سبط آشر في الخليل الغربي، في حين أصبح الخليل الشرقي من نصيب نفتالي بما في ذلك بحيرة طبرية[3].

أما سبط لاوي (ليفي) فكانت له أعمال الكهانة على بني إسرائيل وذلك حسبما ورد في الكتاب المقدس " **فكلم الرب موسى "فنجاس بن ألعازار بن هارون الكاهن" قد رد غضبي عن بني إسرائيل حتى لم أفن بني إسرائيل بغيرتي، ولذلك قل له هاأنا ذا أعطيه عهدا وسلاما، فيكون له ولنسله من بعده ميثاق كهنوت أبدي لأجل أنه غار وكفّر عن بني إسرائيل** "[4].

وعليه فلم يكن لسبط اللاويين مكان معد للإقامة مثل بقية الأسباط، لأنه كان يقوم بالكهانة في كل أماكن الأسباط الاثني عشر " **لسبط لاوي لم يعط نصيبا** "[5]. ولما شعر يوشع بقرب أجله دعا إليه

---

(1) سفر يوشع: 1: 3-4.

(2) مصطفى كمال عبد العليم، سيد فرج راشد: المرجع السابق، ص 67.

(3) بحيرة طبرية: هي بحيرة كبيرة يمر بها نهر الأردن في مقاطعة الخليل شمال فلسطين طولها نحو 23 كيلومتر وعرضها 13 كيلومتر، وعمقها بين 20 و45 مترا وهي تنخفض 204م تحت سطح البحر، مياهها عذبة تقوم على شواطئها مدن هامة مثل:= =بيت صيدا شرقا وحفيارت وكفر ناحوم ومجدل وطبرية غربا، لها أسماء أخرى هي: حبنيسارت نسبة إلى سهل حبنسارت الخصب على شاطئها الشمالي الغربي، وبحيرة طبرية نسبة إلى مدينة طبرية. أنظر: منبع الحياة، المصدر السابق، ص 12.

(4) سفر العدد: 25: 10-13.

(5) سفر يوشع: 13: 14.

رؤساء اليهود وشيوخهم وأوصاهم بأن يقضوا على البقية الباقية من الشعوب التي اغتصبوا بلادها، ويحظر عليهم مهادنة هذه الشعوب أو الاختلاط بها أو مصاهرتها أو عبادة آلهتها قائلا: " **أعطيتكم أرضا لم تتعبوا عليها ومدنا لم تبنوها وتسكنون بها، ومن كروم وزيتون لم تغرسوها تأكلون، فالآن... انزعوا الآلهة الذين عبدهم آباؤكم في عبر النهر وفي مصر واعبدوا الرب، وإذا تركتم الرب وعبدتم آلهة غريبة يرجع فيسيء إليكم ويفنيكم** "[1].

وقد توفي يشوع بن نون في مدينته " قمة بارح " التي في جبل أفرائيم ودفن فيها وكان عمره مائة وعشر سنين[2]، وقيل مائة وعشرون سنة، بعد أن تولى قيادة اليهود خمسا وعشرين سنة أي من سنة ألف وأربعمائة وستين إلى سنة ألف وأربعمائة وعشرين قبل الميلاد وقيل سبعا وعشرين سنة[3]. ويرى هارفي بورتر أن فترة قيادته استمرت من سنة ألف وأربعمائة وستين إلى سنة ألف وأربعمائة وعشرين[4].

على الرغم من أن عملية الغزو دامت عدة قرون إلا أنهم لم يتمكنوا من احتلال أربع مقاطعات جبلية في أرض فلسطين غرب نهر الأردن، وقد تعود أسباب عجزهم عن احتلال جميع البلاد إلى:

1- المقاومة الشديدة لسكان السهول.

2- جهلهم بأساليب القتال في النهار.

3- افتقارهم إلى أسلحة معارك السهول كالعربات والخيول.

4- عجزهم عن القيام بعملية الحصار.

5- اعتمادهم على المباغتة التي تسهل ليلا حيث يقل المدافعون.

وقد ركزوا هجوماتهم على المناطق الجبلية لقلة سكانها وبعد القرى عن بعضها البعض، واستحالة التعاون بين سكان قراها بسبب وعورة المسالك، ورغم ذلك فإن سيطرتهم عليها لم تكن كاملة، وكانت مناطقهم الأربعة منفصولة عن بعضها البعض بواسطة القلاع الكنعانية التي لم يتم احتلالها حتى عهد داود[5].

---

(1) سفر يوشع: 24: 13 و14 و20.

(2) زكي شنودة: المرجع السابق، ص 60؛ اليعقوبي: المصدر السابق، ص 47؛ ابن الجوزي: المصدر السابق، ص 377؛ هارفي بورتر: المرجع السابق، ص 124.

(3) ابن الجوزي: المصدر السابق، ص 371.

(4) هارفي بورتر: المرجع السابق، ص 124.

(5) رجا عبد الحميد عرابي: المرجع السابق، ص 185.

من بين ما تذكره التوراة أن قبيلتي أشير ونفتالي كانتا تقيمان بين الكنعانيين[1]، مما يدل على أن بعض القبائل العبرانية كانت خاضعة للكنعانيين، تقطن بينهم.

وهذا ما تؤكده المخطوطات الأثرية في تل العمارنة والتي كانت تشير إلى أن بعض حكام فلسطين كانوا يستخدمون العبرانيين، فيستأجرونهم كجنود مرتزقة، سواء في حروبهم مع جيرانهم أو أعمال أخرى. كما يفهم من بعض روايات سفر القضاة أن العبرانيين فشلوا من تثبيت أقدامهم بالمناطق التي زعموا احتلالها، وكانوا دائما معرضين لخطر الطرد والتهجير منها، ويحاول سفر القضاة تبرير طول أمد الحروب، بأنه كان نزولا عند رغبة العبرانيين، حتى يوفر للأجيال المتعاقبة فرص التمرس على أساليب القتال[2]، وحتى يحول دون تفريغ البلاد من سكانها قبل أن يتكاثر عدد العبرانيين ليملأوا ذلك الفراغ[3].

ومن هنا نستخلص أن الغزو الإسرائيلي لأرض كنعان كان بحثا عن المراعي الخصبة والماء الوفير، بعدما كانت القبائل الإسرائيلية تجوب بوادي سيناء وشمال غرب الجزيرة العربية القاحلة[4].

ثانيا- القضاة يتولون السلطة: بعد وفاة يوشع بن نون كثرت الأزمات وسادت الفوضى بين بني إسرائيل في أرض كنعان (فلسطين)، فابتعدوا عن العقيدة اليهودية بل هناك من ارتد عنها إلى الوثنية، وتأثروا بعادات الكنعانيين وطقوسهم الدينية، وفي خضم هذه الأحداث والاضطرابات ظهر عدد من الزعماء المحليين حاولوا التصدي لحركة الردة ودافعوا عن الكيان الديني والاجتماعي العبراني، وهؤلاء هم القضاة والذين سميت باسمهم فترة هامة من التاريخ اليهودي، هي الفترة الممتدة من غزو كنعان إلى قيام الملكية[5] أي من (1250-1020ق.م)[6]، بينما يحددها البعض من (1420-1095)[7]، أي أن عصرهم شغل تقريبا الربع الأخير من القرن الثاني عشر ق.م وثلاثة أرباع القرن الحادي عشر[8].

وكلمة قاضي بالعبرية تعني شوفيط، وجمعها شوفطيم وهي تحمل في المؤلفات الدينية اليهودية معنيين، معنى عام ومعنى خاص، فالمعنى العام هو القاضي الذي يحكم بين الناس، وعليه يكون موسى

---

(1) سفر القضاة: 17: 8-14.
(2) سفر القضاة: 3: 2.
(3) سفر الخروج: 23: 29-30؛ سفر التثنية: 7: 22.
(4) رجا عبد الحميد عرابي: المرجع السابق، ص 186.
(5) مصطفى كمال عبد العليم، سيد فرج راشد، المرجع السابق، ص 71.
(6) عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ص 1905.
(7) هارفي بوتر: المرجع السابق، ص 124.
(8) طه باقر: المرجع السابق، ص 286.

أول القضاة بالنسبة لهم، ثم خلفه في تولي القضاء رؤساء العشائر وشيوخ المدينة، وكان الملك في التاريخ العبراني القديم يعد من القضاة أيضا، يحكم معه مجموعة من القضاة يكونون مجلسا ثم استشارة الأنبياء والكهنة وقد استمر هذا الوضع حتى السبي البابلي، أما المعنى الخاص فهو خاص بتاريخ العبرانيين القدامى، فكلمة شوفيط تطلق على شيوخ القبائل من الكهنة المحاربين الذين جمعوا بين السلطة الدينية والدنيوية وسيروا أمور القبائل العبرانية بعد وفاة يوشع واستمر حكمهم حتى قيام المملكة العبرانية وأول ملوكها شاؤول ويحددها سفر القضاة بنحو أربعة قرون، لكن ذلك مستبعد إذا اعتبرنا خروج بني إسرائيل عن مصر كان حوالي (1275 ق.م) وتتويج شاؤول كان عام (1020 ق.م). فمعناه أن عصر القضاة لا يزيد على قرنين ونصف من الزمان[1].

بينما يرى هارفى بورتر بأنها كانت حوالي 316 سنة، فإذا علمنا أن بداية بناء هيكل سليمان كان في السنة الرابعة من ملكه وهي سنة 480 من تاريخ الخروج وأن ملك[2] سليمان كان نحو 1015 1015 ق.م فمدة ملك كل من شاؤول وداود 80 سنة وسنوات التيه 40 سنة، وبافتراض أن المدة من غزو كنعان وموت يشوع حوالي 40 سنة فإذا طرحنا مجموع ذلك من سنة 486 نجد الباقي 316 سنة وهي مدة حكم القضاة لكننا إذا جمعنا السنين المذكورة في سفر القضاة بلغت حوالي 456 سنة، لأنها لم تكن متوالية... كما أن الأحداث التي يذكرها سفر القضاة كانت محلية ولم تكن عامة فقد يكون أحد القضاة في مكان وغيره في مكان آخر[3].

والواقع أن البلاد قد فسد حكمها وقل أمنها وعمتها الفوضى، لأن بني إسرائيل دخلوا كنعان بعد 40 سنة من التيه فبقوا رجال حرب فقط يواجهون المعتدين ويتحاربون فيها بينهم، فلم تكن تجمعهم وحدة قومية متماسكة، إنما كانت هناك مجموعة من القبائل المتناحرة فيما بينها كالصراع الذي ظهر بين سكان منطقة جلعاد وقبيلة افرايم، فلم تكن هناك سلطة مركزية لهذه القبائل، لأن الحكم فيها يقوم على أساس الحكم الأبوي والأسري وقد يعود ذلك إلى عاملين هامين: أولهما يكمن في الطبيعة الفردية الاقصائية التي يمتاز بها العبراني أو الإسرائيلي منذ القديم فسفر التكوين يقصي إسماعيل وبقية أبناء إبراهيم من وراثة أبيهم ويحاول أن يعطي كل شيء إلى إسحاق كما يقصي الابن الأكبر لإسحاق عيسو وأبنائه أيضا ويعطي كل شيء إلى يعقوب وأبنائه، كما يقصي سفر يوشع السكان الأصليين لأرض كنعان ويوصي بإبادتهم، أما ثانيهما فتعود إلى الوضع الجديد الذي وجد العبرانيون أنفسهم عليه، فالأمة التامة التكوين لم تظهر بعد، عند العبرانيين لأن عملية الخروج الموحدة كانت ولم يكن نظامهم في ذلك

---

(1) عبد الوهاب الميسري: المرجع السابق، ص 1905.

(2) هارفي بورتر: المرجع السابق، ص 125.

(3) هارفي بورتر: المرجع نفسه، ص 125.

الوقت على أساس بناء دولة موحدة[1]. نتيجة للانقياد والشعور المشترك بالذل والهوان لذلك فقد زالت بزوال تلك الظروف الاستثنائية، ولم تعد تجمع تلك القبائل أية روابط دينية أو سياسية[2] إلا لحظة شعورها بخطر خارجي يهددها كيانها.

وقد كان عهد القضاة عهدا مضطربا تخللته عدة نكبات هددت العبرانيين بالفناء، وتعترف التوراة بقوة الكنعانيين والفلسطينيين الذين أخضعوا العبرانيين في فترات متواصلة قبيل وخلال عهد القضاة، فكان من أخضعهم "كوشاي روشتايم" ملك آرام النهريين[3] ثم هزمهم العمونيون والعمالقة واستولوا على مدينة أريحا مدينة النحل كما تصفها التوراة[4].

وتذكر التوراة أن العبرانيين قد عجزوا عن طرد سكان فلسطين الأصليين من أراضيهم بل سكنوا معهم وشاركوهم في وطنهم و"**سكنوا وسط الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحوريين واليبوسيين واتخذوا لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم** "[5].

" **وأما اليبوسيون الساكنون بأورشليم، فلم يقدر بنو يهود على طردهم فسكن اليبوسيون مع بني يهود[6] في أورشليم إلى هذا اليوم[7]** ".

وأكبر دليل على أن أورشليم (يبوس) بقيت في أيدي سكانها الأصليين هو أن الملك داود عليه السلام لما أراد بناء الهيكل في أورشليم اشترى قطعة الأرض التي اختارها من أصحابها اليبوسيين[8].

غير أن الكتاب اليهود عندما يتطرقون إلى موضوع الكنعانيين يدعون أن اليهود أبادوا الشعب الكنعاني ولم يبق له وجود رغم أن التوراة نفسها تؤكد في كثير من المرات أن اليهود سكنوا إلى جانب الكنعانيين[9].

---

(1) هارفي بورتر: المرجع نفسه، ص 124؛ حلمي محروس إسماعيل: الشرق العربي القديم وحضاراته، ص 174.

(2) موسى معيرش: النظام السياسي في اليهودية والإسلام، ص 118-119؛ فيليب حتى: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، المرجع السابق، ج$_1$، ص195؛ محمد عزة دروزة: المرجع السابق، ص 128؛ مجلة الرابطة: المرجع السابق، ص 22.

(3) آرام النهرين: هي إحدى الممالك الأرامية في بلاد الشام، بينما العمونيون كانت مملكتهم تقع شرق الأردن وقد اشتق منها اسم عاصمة الأردن عمان. أنظر: رجاء عبد الحميد عرابي: المرجع السابق، ص 187.

(4) سفر القضاة: 3: 8-13.

(5) سفر القضاة: 3: 5-6.

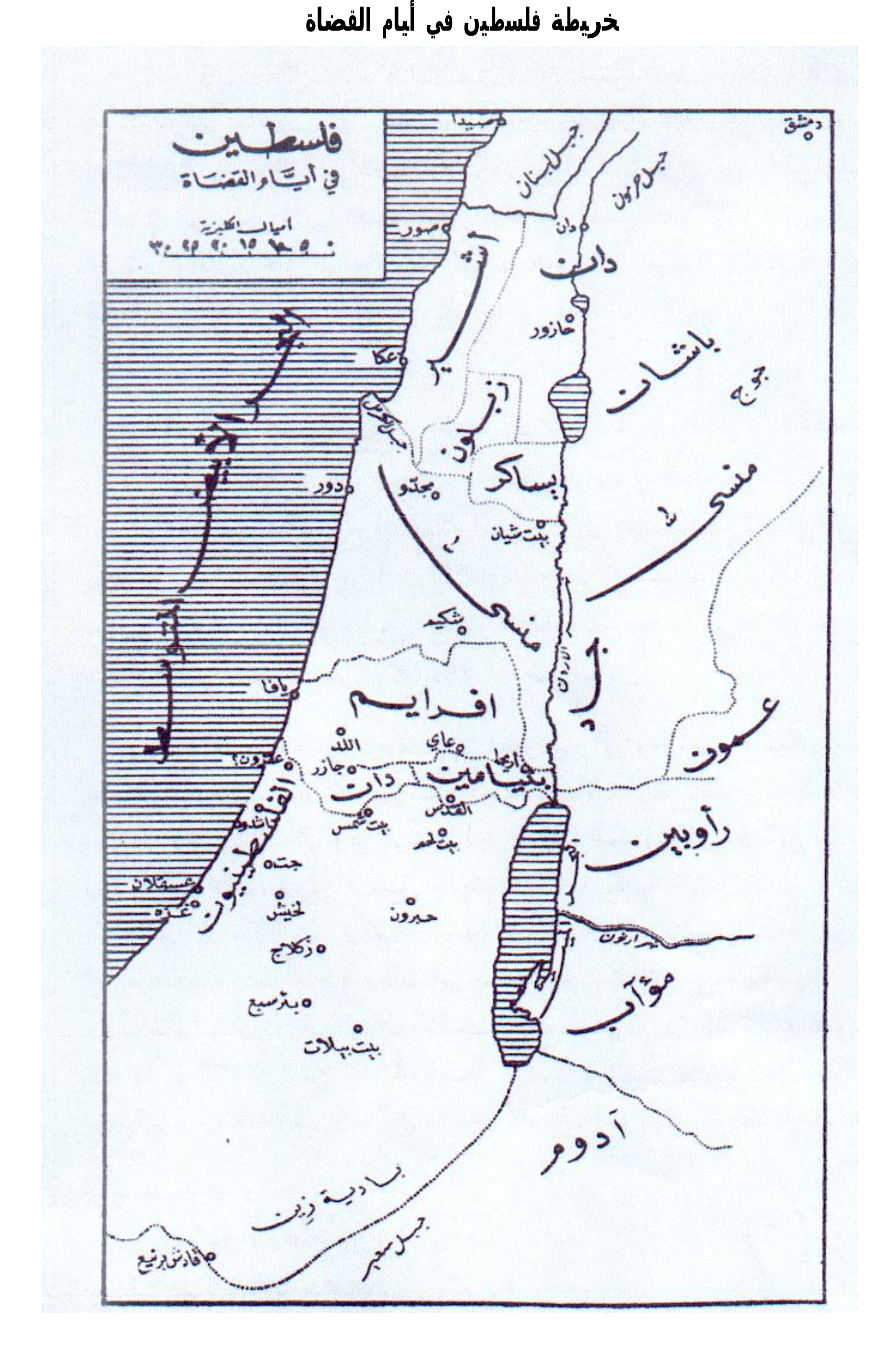
(6) سفر يوشع 15: 2-6.

(7) قد يكون المقصود بهذا اليوم أي ما بعد السبي البابلي لأنه هو الزمن الذي تم فيه تدوين التوراة.

(8) سفر صاموئيل الثاني: 24: 24-25.

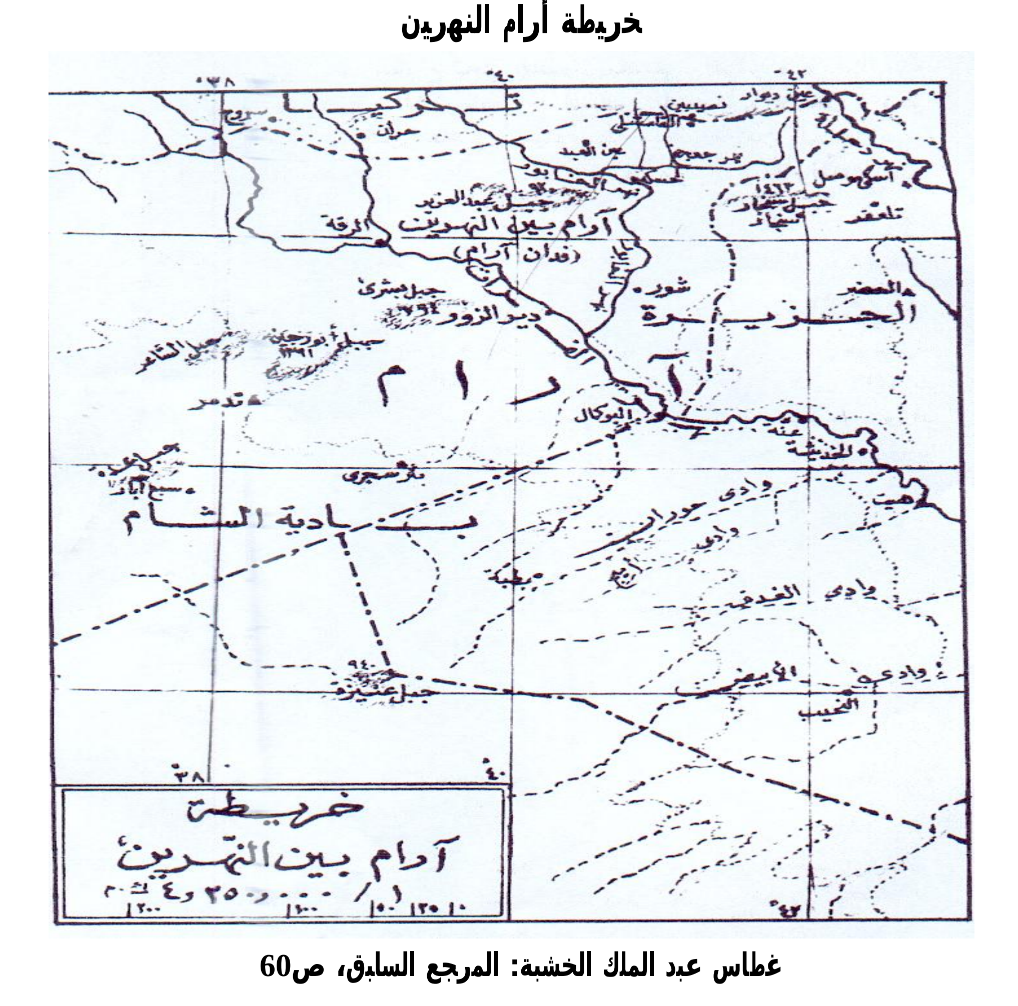
(9) رجاء عبد الحميد عرابي: المرجع السابق، ص 189-190؛ فيليب حتى: ... 500 سنة المرجع السابق، ص 127.

خريطة فلسطين في أيام القضاة



فيليب حتى: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، المرجع السابق، ص199

خريطة أرام النهرين



غطاس عبد الملك الخشبة: المرجع السابق، ص60

ويرى الأستاذ س.ناجي " أنه من مضمون الاعترافات اليهودية يتضح لنا أن سكان فلسطين ثابروا على مقاومة اليهود طيلة عدة قرون، وأذلوهم أكثر من مرة، ولولا تعنت قضاة اليهود وسعيهم الدائم إلى تحريض أبناء قومهم على مواصلة القتال، بغية تحقيق وعود يهوه المزعومة التي كان اليهود يؤمنون بها، ويعتقدون بصحتها لكثرة ما كان زعمائهم وقضاتهم يرددونها على أسماعهم، لكان اليهود ذابوا في الكنعانية منذ القرن الأول لدخولهم إلى فلسطين، لكن مثابرة قضاتهم على حثهم لمتابعة القتال كانت تجدد عزائمهم، وتحيي في نفوسهم أحلام الأسلاف، وتدفعهم إلى متابعة العراك بأبشع الأساليب من غدر وحيلة، وتطبيق شريعة القتل العام ممن ينتصرون عليهم بغية إرهاب من ينوي مناوئتهم من الأعداء "[1].

فالقاضي كان زعيما يتولى قيادتهم ودفع الخطر عنهم، ثم يتولى بعد ذلك رعاية شؤونهم والقضاء بينهم[2].

---

(1) رجاء عبد الحميد عرابي: المرجع السابق، ص 191.

(2) زكي شنودة: المرجع السابق، ص 61.

وكان شيوخ العشائر يجتمعون في مجالس الكبراء، كلما دعت الحاجة لذلك وكان هذا المجلس بمثابة الحكم الفصل في شؤون القبيلة، وهو الذي كان يتعاون مع زعماء القبائل الأخرى، فإذا ما فشل القاضي أمام هؤلاء الزعماء، لجأ المتقاضون إلى القاضي الرئيس، ومع ذلك، لم يكن طابع المجتمع قبليا رعويا محضا، فقد ظهر حكم القضاة مع بداية استقرار العبرانيين بعد تسللهم إلى أرض كنعان واشتغالهم بالزراعة وتحولهم عن الرعي والتنقل.

ويعتبر بعض المؤرخين مرحلة عصر القضاة بأنها هي المرحلة التي تبنى فيها العبرانيون الأشكال الحضارية الكنعانية المختلفة فتحولوا من بدو رحل يستعملون الحمير في تنقلاتهم إلى مزارعين مستقرين، فتعلموا عن الكنعانيين كيفية استخدام الأدوات الزراعية وكيفية تخزين الحبوب، وبناء مأوى للحيوانات، كما أتقنوا بناء المنازل والقرى والمدن والحصون وطرق امتلاك وتأجير الأراضي، وشراء الممتلكات واقتناء العبيد والجواري، ومع ذلك بقي مستواهم الحضاري والاقتصادي بسيطا متواضعا مقارنة بالكنعانيين، ويظهر ذلك بوضوح في التباين الشديد بين الأساسات الجيدة التي بناها الكنعانيون في القرن الثالث عشر ق.م وبين أكوام الحجارة الفجة التي حلت محلها في القرن الثاني عشر ق.م والتي بناها العبرانيون وخصوصا في بيت إيل[1].

وقد ذكرت التوراة أسماء أولئك القضاة مع لمحات من أعمالهم، وهم :عثنيئيل- أهود- شمجر- دبورة- باراق- جدعون- أبيمالك- تولع- يائير- يفتاح- إبصان- إيلون- عبدون- شمشون، وكان آخر القضاة صموئيل. ومن أهم هؤلاء القضاة وأكثرهم شهرة نذكر:

1- القاضية دبورة: هو اسم عبري معناه " نخلة " هو اسم امرأة تعتبر من قضاة العبرانيين وأنبيائهم وقادتهم العسكريين كانت تقيم تحت النخلة سميت باسمها لتقضي بين العبرانيين وتوصف دبورة بأنها أم يسرائيل ويعتبرونها نبية رغم عدم وجود أية نبوءات لها أو أقوال تتعلق بالنبوة، وينسب إليها نشيد دبورة الذي يعد من أقدم نماذج الشعر العبري القديم[2].

2- القاضي جدعون: هو اسم عبري معناه " خاطب " أو " قطع بزة " وهو اسم أحد قضاة العبرنيين من قبيلة منسى ويقال أنه جاء بعد دبورة سنة مائة وخمسين قبل الميلاد، حارب المدنيين عن طريق الهجمات الليلية ونصب الكمائن واستخدم حرب المعارك الخاطفة، وبعد انتصاره على المدنيين أخذ جدعون أقراط الذهب التي غنمها منهم، وصنع منها صنما (إيفودا) جعله في مدينته عفرة، وعبده

---

[1] عبد الوهاب الميسري: المرجع السابق، ص 1905.

[2] عبد الوهاب المسيري: المرجع نفسه، ص 1907.

أعضاء جماعة يسرائيل كافة! وهذه الحادثة تشبه حادثة العجل الذهبي وهذا ما يدل على أن التوحيد لم يكن قد استقر عند العبرانيين، وقد حاول العبرانيون تنصيبهم ملكا عليهم، لكنه رفض[1].

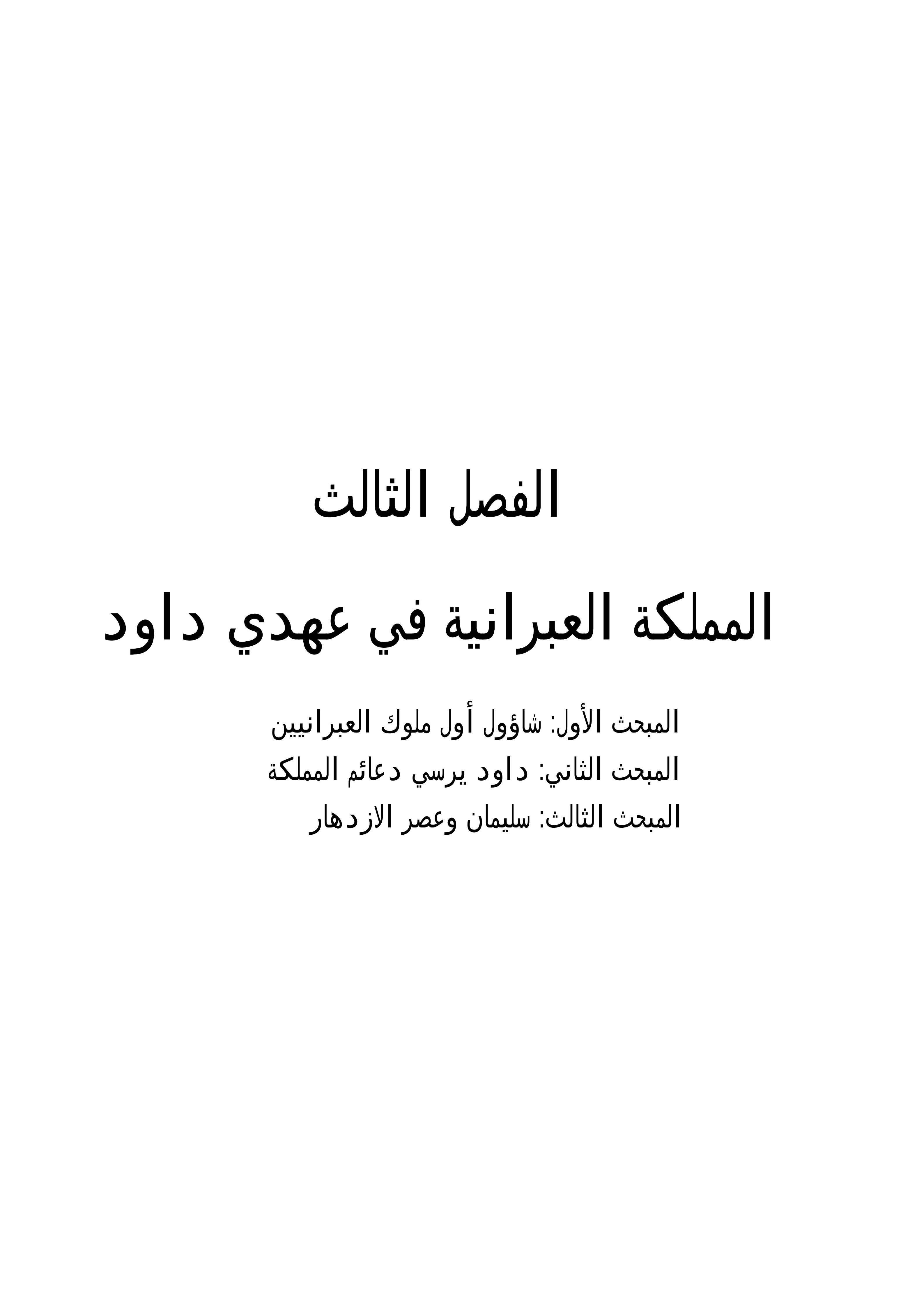
3- القاضي شمشون: هو اسم عبري وهو تصغير لكلمة شمس، وقد كان قاضيا من قبيلة دان مدة عشرين سنة، حيث كانت أمه عاقرا ثم جاءها ملاك الرب ليبشرها بولادته، وأنه سيكرس حياته للعبادة وينذرها للرب فيمتنع عن شرب الخمر أو حلق رأسه أو لمس جلد ميت، كما اشتهر بقوته الجسدية الخارقة، وكان يتميز بغرابته وبإتباعه لهواه[2]، ويشار إليه أحيانا على أنه آخر القضاة رغم أن الكتب الدينية تعتبر صموئيل النبي آخر قضاة بني إسرائيل، وتحمل قصته عناصر خرافية أسطورية تحتاج إلى تمحيص ودراسة منطقية.

ومهما كان فيمكن اعتبار قصة شمشون جزءا من الموروث الشعبي الذي يهدف إلى إرضاء النفوس وتعويضها.

وخلاصة القول أن الظروف الدولية في الشرق الأدنى القديم في تلك الفترة التاريخية كانت من أهم العوامل التي ساعدت العبرانيين على تشكيل كيان سياسي جديد بالمنطقة يعرف بالمملكة العبرانية.

(1) محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، المرجع السابق، ج2، ص 579؛ عبد الوهاب المسيري: المرجع نفسه، ص 1907.

(2) المرجع نفسه، ص 1908.



الفصل الثالث

المملكة العبرانية في عهدي داود

المبحث الأول: شاؤول أول ملوك العبرانيين
المبحث الثاني: داود يرسي دعائم المملكة
المبحث الثالث: سليمان وعصر الازدهار

بعد دراستنا للاستيطان العبراني في أرض كنعان وما ترتب عن ذلك سأتناول هذا الفصل المملكة العبرانية المتحدة بدءا بالملك شاؤول أول ملوكها، ثم أتعرض لعهدي الملكين داود وسليمان مع التركيز على دور كل منهما في دعم ركائز المملكة مع ذكر أهم مآثرهما وأعمالهما وكيف استطاعا توسيع حدود المملكة وفيهما قال تعالى: ﴿اصبِر علَى ما يقُولُونَ واذْكُر عبدنا داوود ذَا الأَيد إِنه أَواب ﴾[1] وقال أيضا: ﴿ولَقَد آتينا داود وسلَيمانَ علْماً وقَالا الحمد لله الذي فَضلَنا علَى كَثيرٍ من عباده المؤمنِين﴾ [2].

المبحث الأول- شاؤول أول ملوك العبرانيين: عجز نظام القضاة على أن يبسط سلطانه على كل العبرانيين، لأن مهمة القضاة كانت تنتهي بانتهاء الظروف التي استدعت وجودهم، وظل العبرانيون محتفظين بنظامهم القبلي وما انجر عنه من اضطرابات داخلية إضافة إلى التهديدات الخارجية المتواصلة التي كانت تهدد وجودهم في أرض كنعان[3].

وفي تلك الظروف كان المديانيون[4] والعمونيون والآراميون يواصلون الإغارة على حدودهم، وكانت الفرقة والاختلافات تمزقهم من الداخل، ومع نهاية الألف الثانية ق.م كانت دولتهم في اضمحلال يكاد يكون تاما، لولا الدعوة إلى الوحدة الوطنية، والتي أدت إلى قيام الملكية[5]، كرد فعل أنقذهم من الاضمحلال.

فقد أقيمت هذه الوحدة السياسية في وقت كان الظرف التاريخي مناسبا، خلافا لما كانت عليه ظروفهم من قبل، فقد كانت مصر تجتاز فترة تأخر واضمحلال، والدولة الأشورية كانت مشغولة بتأمين حدودها وتوطيد أركان دولتها في العراق القديم[6].

غير أن تلك الوحدة لم تقم على أساس ثابت، فالسياسة التي اتبعها ملكها عجزت وفشلت في القضاء نهائيا على عوامل الهدم الداخلية[7].

---

(1) سورة ص: الآية 17.

(2) سورة النمل: الآية 15.

(3) J. Steinmann : David roi d'israel, CERF, Paris, 1984, P 18 ; Adolphe Loods : Op.cit, P 417.

(4) المديانيون: هم أهل مدين ونبيهم هو شعيب عليه السلام. قال تعالى: ﴿ وإِلَى مدين أَخاهم شعيباً قَالَ يا قَومِ اعبدوا الله ما لَكُم من إِلَه غَيره...﴾ سورة الأعراف الآية 85.

(5) سنتينو موسكاتي: الحضارات السامية القديمة، تر: يعقوب بكر، 1957، ص 113. مصطفى كمال: المرجع السابق، ص 72.

(6) مصطفى كمال عبد العليم، سيد فرج راشد: المرجع السابق، ص 72.

(7) سنتينو موسكاتي: المرجع السابق، ص 113.

إن تعنت قضاة العبرانيين وتحريضهم أبناء قومهم على مواصلة القتال لتحقيق وعود يهوه[1] التي يؤمنون بها، ويعتقدون بصحتها لكثرة ما كان زعماؤهم وقضاتهم يرددونها عليهم باستمرار، لولا ذلك لنصهر العبرانيون في البوتقة الكنعانية والعربية من القرن الأول لدخولهم إلى فلسطين، فحثهم على متابعة القتال كان يجدد عزائمهم، ويوقظ فيهم أحلام أسلافهم ويدفعهم إلى إتباع أساليب الغدر والحيلة وتطبيق شريعة القتل العام والإبادة على من ينتصرون عليهم لإرهاب أعدائهم[2].

وكما أشرنا سابقا، فإن النبي صاموئيل (صامويل) كان آخر قضاة بني إسرائيل بعد وفاة موسى بأكثر من ثلاثة قرون[3] وكان له ولدان عينهما للقضاء فلم يعدلا، فخاف بنو إسرائيل أن يفسد عليهم الأمر بعد صامويل[4]، فألحوا عليه أن يقيم عليهم ملكا منهم يأتمرون بأمره، ويقودهم إلى قتال أعدائهم من الفلسطينيين الذين يفوقونهم عددا وعدة ، والذين أذلوهم وساموهم سوء العذاب، لكن صامويل كان عارفا بطبائعهم خبيرا بعقليتهم حيث قالوا لموسى عليه السلام من قبل ﴿فَاذْهب أنت وربك فَقَاتلا إنا هاهنا قَاعدونَ﴾[5].

ومن أجل ذلك توقع منهم عدم الوفاء بما تعهدوا به، فقال لهم: ﴿هلْ عسيتم إن كُتب علَيكُم القتالُ ألا تقَاتلُوا﴾[6] فأجابوه منكرين عليه ما توقعه منهم، ومظهرين له أن الظروف تلزمهم بالقتال وتدفعهم إليه، دفاعا عن كرامتهم ووطنهم، حيث قالوا: ﴿وما لَنا ألا نقَاتلَ في سبِيلِ الله وقَد أُخرجنا من

---

(1) يبدأ سيل الوعود في الثورة من أيام إبراهيم الخليل عليه السلام يوم اجتاز الأرض إلى مسكنهم وكان يقطنها الكنعانيون "وظهر الرب لإبرام وقال لنسلك أعطي هذه الأرض" وقال له أيضا "ارفع عينيك فانظر في الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد واجعل نسلك كتراب الأرض" ثم تكررت الوعود وأصبحت أشمل "لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات"، كما وعد الرب إسحاق وقال: "**لا تنزل إلى مصر واسكن في الأرض التي أقول لك، تغرب في هذه الأرض، فأكون معك وأباركك لأنني لك ولنسلك أعطي هذه البلاد**" التكوين: 16: 2-41، واستمر الوعد إلى يعقوب الذي رأى حلما "**وإذا سلم منصبوه على الأرض رأسها من السماء، وهوذا ملائكة ا صاعدة ونازلة عليها وهوذا الإله واقف عليها فقال: أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق، الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك، ويكون نسلك كتراب الأرض**" التكوين: 28: 12-14، وتوالت الوعود نفسها مع موسى أيضا عليه السلام. أنظر: عبد ا تل: جذور البلاء، ج1، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1408هـ-1988م، ص ص 10-12.

(2) رجا عبد الحميد عرابي: المرجع السابق، ص 191.

(3) وقيل بأنه كان بعد وفاة يوشع بن نون إلى أن بعث ا عز وجل شمويل (صامويل) بن بالي أربعمائة سنة وستون سنة. انظر ابن كثير: البداية والنهاية، ج2، ص 5.

(4) ابن العبري (غريغريوس المالطي): تاريخ مختصر الدول، ط2، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1958، ص 27.

(5) سورة المائدة: الآية 24.

(6) سورة البقرة: الآية 246.

ديارنا وأبنائنا﴾[1]. ولكن الواقع صدق ما توقعه بينهم صامويل وفي ذلك يقول ا تعالى: ﴿فلَمّا كُتب علَيهم القتالُ تولوا إلا قَليلاً منهم والله عليم بالظالمين﴾[2].

وتشير التوراة أن صموئيل صلى إلى الرب، فقال الرب لصموئيل "**اسمع لصوت الشعب في كل ما يقولون لك لأنهم لم يرفضوك أنت بل إياي رفضوا حتى لا أملك عليهم وحسب كل أعمالهم التي عملوا من يوم انتقالهم من مصر إلى هذا اليوم وتركوني وعبدوا آلهة أخرى، هكذا هم عاملون بك أيضا، فالآن اسمع لصوتهم، واشهد عليهم وأخبرهم بقضاء الملك الذي يملك عليهم**"[3].

فكلم صموئيل الشعب الذي طلب منه ملكا بكلام الرب وقال: "**هذا يكون قضاء الملك الذي يملك عليكم، يأخذ بنيكم ويجعلهم لنفسه لمراكبه وفرسانه فيركضون أمام مواكبه، ويجعلهم لنفسه رؤساء ألوف ورؤساء تماسين فيحرثون حراثته، ويحصدون حصاده ويعملون عدة حربه وأدوات مراكبه ويأخذ بناتكم عطارات وطباخات وخبازات، ويأخذ حقولكم وكرومكم وزيتونكم أجوده ويعطيها لعبيده، ويعشر زروعكم وكرومكم ويعطي لخصيانه وعبيده، ويأخذ عبيدكم وجواريكم وشبانكم الحسان وحميركم ويستعملهم لشغله، ويعشر عنكم وأنتم تكونون له عبيدا، فتصرخون في ذلك اليوم من وجه ملككم الذي اخترتموه لأنفسكم، فلا يستجيب لكم الرب في ذلك اليوم" فقالوا له "لا بل يكون علينا ملك، فنكون نحن أيضا مثل سائر الشعوب ويقضي لنا ملكنا ويخرج أمامنا ويحارب حروبنا**"[4].

ثم أخبرهم صامويل بأن ا قد جعل عليهم شاؤول أو طالوت، الذي ذكره ا تعالى في القرآن الكريم ﴿إن الله قَد بعثَ لَكُم طَالُوت ملكاً﴾[5] ولم يكن لهم كما عرفنا قبل ذلك ملكا ويعتبر ملوك بني إسرائيل من الطبقة الثانية بعد ملوك الكنعانيين[6]. وعند العرب يقال له طالوت ملكا، وكان طالوت هذا هذا جميل الخلق حسن الصورة[7]، وهو طالوت بن قيس بن أفيل بن صادق بن تحورت بن أفيح بن أنيس بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل[8]. وقيل بأنه طالوت وهو شاوي بن بشر بن إينال بن طرون بن بدون بن أفيح بن سميداج بن فالج بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

---

[1] سورة البقرة: الآية 246.

[2] سورة البقرة: الآية 246.

[3] صموئيل الأول 8: 7-9.

[4] صموئيل الأول: 8: 11-18.

[5] سورة البقرة: الآية 247.

[6] القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي): صبح الأعشا في صناعة الإنشا، ج4، د.ط، د.ت، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ص 159.

[7] محمد الطيب النجار: تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، دار الاعتصام، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 242.

[8] المسعودي: المصدر السابق، ص 67.

وقيل بأنه كان سقاءا وقال بعضهم أنه كان نجارا[1] والبعض الآخر قال أنه كان من أسرة فقيرة يرعى أبقار والده[2]، ولذلك لم يكن له النفوذ المادي أو الأدبي الذي يؤهله للملك والسلطان[3].

فاعترض بنو إسرائيل على تمليكه عليهم وقالوا: ﴿أنا يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قالَ إن الله اصطَفَاه علَيكُم وزاده بسطَةً في العلمِ والجِسمِ والله يؤتي ملْكه من يشاءُ والله واسع عليم ﴾[4].

وهكذا كان شاؤول ضعيف الإرادة، حاد الطبع، وقد كان من المنتظر أن يكسب شاؤول إعجاب الناس وولائهم، بما كان يتميز به من مميزات طبيعية كالطول الفارع والجسم القوي والشجاعة في ميدان القتال، وقيادته الماهرة، غير أن ذلك لم يحصل إلا في بدايات حكمه[5] لأنه كان يخفي نقاط ضعف خطيرة في شخصيته، فقد متردد في اتخاذ قراراته، كثير الشك والغيرة وهذا ما تسبب في خلافه المستمر مع داود.

أما شاؤول فلم يكترث بذلك، بل صبر وبعد قليل جذب قلوب الناس إليه ببسالته وشجاعته[6] فكسب محبتهم. وقيل بأن تولي شاؤول الملك كان حوالي 1020ق.م واستمر حتى 1004ق.م[7] وقال البعض 1025ق.م[8].

بينما يذكر كل من هارفي بورتر وزكي شنودة أن فترة توليه الملك كانت حوالي 1095ق.م، غير أن التاريخ الأخير مستبعد لأنه هو تاريخ هزائم العبرانيين على يد الفلسطينيين، وأخذ تابوت العهد منهم، وشاؤول لم يتولى الحكم إلا بعد فترة زمنية من ذلك.

واستمر حكم شاؤول حوالي 15 سنة أي من 1025-1010ق.م[9]. ومسحه صامويل بالدهن على رأسه ونصحه بأن يذهب ليتنبأ مع زمرة الأنبياء النازلين من المرتفع فيحل عليه روح الرب،

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج2، ص 6.

(2) أحمد عثمان: المرجع السابق، ص 129.

(3) محمد الطيب النجار: المرجع السابق، ص 242.

(4) سورة البقرة: الآية 247.

(5) محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، ج2، المرجع السابق، ص 625.

(6) هارفي بورتر: المرجع السابق، ص 130.

(7) طه باقر: المرجع السابق، ص 287؛ فيليب حتي: 5000 سنة من تاريخ الشرق الأدنى، ص 128.

(8) صوفي حسن، أبو طالب جمال محمد: المرجع السابق، ص 338؛ هارفي بورتر: المرجع السابق، ص 130؛ زكي شنودة: المرجع السابق، ص 79.

(9) رجا عبد الحميد عرابي: المرجع السابق، ص 196.

ويتنبأ معهم ويتحول إلى رجل آخر[1] ولقد أطاع شاؤول أمر صامويل حتى أن الذين رأوه بين الأنبياء[2] قال كل منهم لصاحبه مندهشا "**ماذا صار لابن قيس، أشاؤول أيضا من الأنبياء**"[3]، وكان تتويج تتويج شاؤول ملكا على العبرانيين بمثابة تحد عسكري لسيطرة الفلسطينيين. غير أن شاؤول الذي كان يسكن في خيمة ويعيش حياة شيخ قبيلة بدوية رغم ما كان يتمتع به من جمال وطول القامة، حيث كان أطولهم "**من كتفه فما فوق كان أطول من كل الشعب**"[4].

وإذا كان هناك من يرى بأن شاؤول أسس قواعد أول دولة للعبرانيين في بعض أجزاء من كنعان[5] فإن الغالبية من المؤرخين يرون بأنه كان شيخ قبيلة أكثر منه ملك، كان ضعيفا لا يتجاوز نفوذه صغار قبيلته بن يامين[6] ولم يكن قوي الإرادة بل كان ميالا للعزلة والتقوقع والكآبة[7].

لذلك يقول الأستاذ ناجي "إن زعم قيام الملكية في عهده، زعم باطل فهو لم يتخذ لنفسه قصرا للحكم ولم تكن له عاصمة ولم يصك النقود ولم يفرض ضرائب ولا إتاوات بل عاش طول حياته في الجبال يقاتل أعداء العبرانيين[8] ثم ينزل في أحسن الأحوال إلى بلدة جبعة"[9].

وقد فشلت الملكية عند العبرانيين في عهد شاؤول فشلا دريعا، لأنها جاءت في المرحلة الانتقالية من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار[10].

وكان مصابا باكتئاب كاد يصل به في بعض الأوقات إلى مستوى الجنون، وكان يستعين بداود في تهدئة نفسه لأنه كان يحب العزف على العود فيذهب عنه الاكتئاب وحالة الفزع التي كانت تصيبه[11]. ولذلك فلا نستغرب نهايته المأساوية حيث أقدم على الانتحار بعد هزيمته.

---

[1] اقتبس صموئيل (صامويل) طقوس المسح بالدهن من المصريين، وكان المصريون القدماء الوحيدين بين الشعوب القديمة الذين يدهنون جسد الملك الجديد بالدهون والعطور في حفل تتويجه، وبذلك ظهرت كلمة مسح، أي الممسوح بالدهن عند بني إسرائيل كما كانت عند المصريين القدماء من ألقاب الملك. أنظر: أحمد عثمان: المرجع السابق، ص 129.

[2] صموئيل الأول: 10: 5-6.

[3] صموئيل الأول: 10: 11، 19: 18-24.

[4] صموئيل الأول: 9: 2.

[5] صوفي حسن، أبو طالب جمال محمد: المرجع السابق، ص 358.

[6] حلمي محروس إسماعيل: المرجع السابق، ص 175.

[7] عبد الوهاب الميسري: المرجع السابق، 1948؛ فيليب حتي: 5000 سنة من تاريخ الشرق الأدنى، ص 128.

[8] رجا عبد الحميد عرابي: المرجع السابق، ص 195-196.

[9] جبعة: هي تل الفول على بعد أربعة أميال شمالي أورشليم. أنظر: فيليب حتي: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص 203.

[10] أبراهام مالمات، جييم تدمور: العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية، تر: رشاد عبد ا الشلي: ط1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2001، ص 200.

[11] محمد عزة دروزة: المرجع السابق، ص 143؛ زكي شنودة: المرجع السابق، ص 83.

وعليه فإن مملكة شاؤول أو سلطته لم تكن فعليا تتجاوز مضارب قبيلته بنيامين، رغم نجاحه في توحيد القبائل العبرانية تحت زعامته ضد الفلسطينيين والعمونيين وتحقيق النصر، إلا أن شخصيته المضطربة المتهورة المتسلطة وافتقاده للروح الدبلوماسية، وفشله في السيطرة على العناصر المتعارضة والمتصارعة داخل مملكته[1]، علاوة على نزاعه مع داود، زوج ابنته وقاتل جالوت بطل الفلسطينيين كانت من أهم عوامل سقوطه خاصة إذا علمنا أنه فقد تأييد طبقة الكهنة القوية ذات النفوذ والسلطة عند العبرانيين[2].

وهكذا ظل حكمه ملكيا قبليا، رغم أنه كان يفتقد لبعض عناصره، فلم يتخذ له قصرا أو بلاطا مترفا ولم يحرص على فرض ضرائب جديدة من أجل جيوشه وكان يعيش من عمله في حقله.

و من أعماله أنه أدخل تطورات على التنظيم العسكري منها إنشاء جيش دائم يتكون من شباب العبرانيين بلغ عددهم مئات وألوف لمواجهة الشعوب المحيطة بهم في أي وقت[3].

وساهم شاؤول إلى حد ما في ظهور طبقة جديدة في المجتمع العبراني وهي طبقة المقربين من الملك، وقد كانت من سبط بنيامين فملكهم ملكيات من الأراضي التي تم الاستيلاء عليها من الفلسطينيين، وهذا ما يثير المعارضين ضده من مختلف الأسباط، وبذلك بدأت مظاهر جديدة في الحكم تتمثل في التعامل بعنف والاستبداد واستغلال الفرد ومصادرة أملاكه[4] "**فتصرخون في ذلك اليوم في وجه ملككم الذي اخترتموه لأنفسكم فلا يستجيب لكم الرب في ذلك اليوم**"[5].

كما تذكر التوراة في نفس الوقت تواضع وتقوى شاؤول في قوله: "**وأنا قد سرت أمامكم منذ صباي إلى هذا اليوم، فأنا هذا فأشهدوا علي قدام الرب وقدام سيده، ثور من أخذت وحمار من أخذت، ومن يد من أخذت فدية لأغض عيني عنه فأرد لكم**"[6].

يتضح لنا من ذلك أن طبقة أقارب الملك الطبقة الجديدة التي ظهرت في المجتمع العبراني كانت ذات نفوذ فاق نفوذ الملك نفسه، الذي عجز عن منعها أو الحد من نفوذها واستغلالها للآخرين وهذا ما زاد في تغذية الصراع الداخلي، وقد كان هذا الصراع وما نتج عنه من ضعف داخل المملكة الفتية، وتفككها أهم العوامل التي ساعدت الفلسطينيين على استرجاع قوتهم واستغلال هذه الظروف

(1) أبراهام ملمات، حييم تدمور: المرجع السابق، ص 201.

(2) مصطفى كمال عبد العليم، سيد فرج راشد: المرجع السابق، ص 73.

(3) أبراهام ملمات، حييم تدمور: المرجع السابق، ص 202.

(4) ريتشارد إليوت فريدمان: المرجع السابق، ص 34.

(5) صموئيل الأول: 8: 12.

(6) صموئيل الأول: 12: 2-3.

المواتية لتوجيه ضربة قاسمة لمملكة شاؤول، فاستغلوا نقطة الضعف فيها ووجهوا جيشهم نحو الأراضي الكنعانية في وادي يزرعئل ووادي بين متا لتقسم المملكة إلى نصفين أو لإجبار الملك على النزول إلى الوادي حيث يعتمدون على جنود المركبات. وانتهت المعركة بهزيمة شاؤول وجيشه وموت أبنائه وانتحاره بعد إصابته الخطيرة، حيث ألقى بنفسه على نصل سيفه فمات[1].

وفرض الفلسطينيون سيطرتهم على جميع تخوم مملكة شاؤول وانشطرت المملكة إلى نصفين، فكان الجزء الخاص بشرق الأردن والجبل (أي الشمال) تحت سيطرة اشبعل بن شاؤول (ايشبوشت) أما الجزء الجنوبي فقد نصب عليه داود ملكا[2].

ورغم كل ما كتب أو قيل عن شاؤول فالمرجح أنه كان أقوى مما كانت تصوره الروايات التوراتية، التي يستشف منها القارئ بعض الانحياز ضد شاؤول لأسباب عديدة أهمها انتماءه لقبيلة بنيامين، ولأسرة متواضعة ثم تحامل الكهنة عليه بعد أن حاول تقليص نفوذهم، وتدخلهم في توجيه السلطة.

المبحث الثاني. داود يرسي دعائم المملكة: وإذا كانت الملكية عند العبرانيين قد بدأت بشاؤول، فإن المؤسس الحقيقي لها هو داود[3] الذي أرسى دعائمها، وقاد الشعب العبراني في أصعب مراحل تاريخه، وحاول تكييف النظام وظروف المجتمع العبري المفكك، الذي كان يعاني من غارات الشعوب المجاورة[4].

أولا- أصله ونسبه: "داود" هو اسم عبري معناه "محبوب"[5] أو "محبوب ا "[6] هو ثاني ملوك ملوك العبرانيين بعد شاؤول، ويذكر بعض المؤرخين أن مولد داود كان بداية عصر الحديد أي حوالي 1050ق.م[7] وقيل القرن الحادي عشر[8].

---

(1) أبراهام مالمات، جييم تدمور: المرجع السابق، ص 203؛ زكي شنودة: المرجع السابق، ص 88.

(2) زكي شنودة: المرجع نفسه، ص 89.

(3) محمد أحمد المراغني: أشعيا نبي بني إسرائيل وأزمة الكيان الصهيوني القديم، ط1، دار العلوم العربية، بيروت، 1412هـ - 1992م، ص 26.

(4) داود اسم أعجمي لا يهمز. أنظر ابن منظور: معجم لسان العرب، طبع المطبعة الأميرية، سنة 1302هـ، ج3، ص 167.

(5) الجعفري الهاشمي (صالح بن الحسين): تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ، تح: عبد الرحمن قدح، ج2، ط1، مكتبة العبيكله، المدينة المنورة، 1419هـ -1999م، ص 94.

(6) Dictionnaire encyclopédique : Op.cit, P 332.

(7) النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد ا): المصدر السابق، ص 4.

(8) ابن كثير: البداية والنهاية، المصدر السابق، ص 9؛ ابن خلدون: تاريخ العلامة ابن خلدون، المصدر السابق، م2، ص 182؛ محمد الطيب النجار: المرجع السابق، ص 245.

وداود هو ابن إيشا بن عوبد بن عابر بن سلمون بن نخشون بن عويناداب بن إرم بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل[1] وهو نبي ا وخليفته في أرض بيت المقدس، قال تعالى: ﴿ يا داوود إنا جعلْناك خليفَةً في الأرض ﴾[2].

وهناك من الكتاب من يفسر قوله تعالى: ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقُوب كُلا هدينا ونوحاً هدينا من قَبلُ ومن ذُريته داوود وسلَيمانَ وأيوب ويوسف وموسى وهارونَ وكَذَلك نجزِي المحسِنِين ﴾[3] بأن أيوب وداود وسليمان هم من ذرية نوح وليس لهم علاقة بآل يعقوب حيث أن آل يعقوب كانوا معروفين بعد موسى، أما القرآن فيذكر أن داود كان نكرة في بني إسرائيل وصار ملكا بشجاعته حيث كان جنديا عند طالوت، لذلك فيجب أن يميز بين بني إسرائيل واليهود فبنو إسرائيل هم من اليهود ابتداء من زمن موسى وليس كل يهودي هو من بني إسرائيل، فهناك عائلات محددة من بني إسرائيل هم من ذرية نوح وليس اليهود أو بنو إسرائيل هم من ذرية نوح[4] [5].

ولم يكن داود عليه السلام في نظر كتاب أسفار العهد القديم إسرائيليا خالصا وكذلك ابنه سليمان، فهو ينحدر من جهة أمه من موآب، ونقاء النسب من جهة الأم قضية بالغة الأهمية في التراث اليهودي القديم[6]، فلا يعتبر يهوديا من كانت أمه غير يهودية وجدة داود (راعوث) كانت مؤابية.

وخلاصة القول أن نسب داود مطعون في حصانته وانتمائه لبني إسرائيل[7] حيث يروى لنا سفر راعوت أن رجلا إسرائيليا من أهل "بيت لحم" ومن سبط يهوذا نزح مع زوجته وولديه إلى "موآب" بسبب المجاعة التي حلت بهم، فتزوج أحد الولدين واسمه "كليون" بامرأة مؤابية اسمها "راعوث" وبعد موته وزوال المجاعة عن أرض كنعان عادت الحماة ومعها كنتها إلى بيت لحم، وهناك تزوجت راعوث برجل من أقارب الحماة اسمه "بوعز" فأنجبت منه عوبيد الذي أنجب بدوره ولدا سمي "يسى" وهو والد النبي داود عليه السلام[8].

---

[1] J. Steinmann : Op.cit, P 9.

[2] سورة ص: الآية 26.

[3] سورة الأنعام: الآية 84.

[4] محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، ط، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1990، ص ص 709-710.

[5] لكن هذا التفسير ضعيف لأن يعقوب نفسه يعود نسبه إلى نوح عليه السلام، وهذا بإجماع أغلب المؤرخين فهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن تارح بن ناحور بن سروح بن تالج بن عامر بن شالح بن أرفخشاد بن سام بن نوح. أنظر: زكي شنودة: المرجع السابق، ص 3.

[6] محمد عبد ا الشرقاوي: مقارنة الأديان بحوث ودراسات، د.ط، د.ت، دار الجيل، بيروت، ص 216.

[7] محمد عزة دروزة: المرجع السابق، ص 141.

[8] صابر طعيمة: التاريخ اليهودي العام، المرجع السابق، ص 189؛ زكي شنودة: المرجع السابق، ص 82.

وحسب ما جاء في سفر راعوث[1] يتضح أن داود يجري في دمه مزيج آخر من دم غير إسرائيلي، دم قبيلة مؤاب العربية[2] وداود هو سابع إخوته البنين وأصغرهم[3].

وقيل أن داود عليه السلام كان قصيرا أزرق العينين قليل الشعر طاهر القلب ونقيه[4].

وقد أوحى الله إلى نبيهم صاموئيل أنه في ولد يسى رجلا يقتل الله به جالوت ومن علامته قرن يضعه على رأسه فيفيض ماء، فلما جاءه عرض عليه كل بنيه، فقال له إن لك ولدا غيرهم، فقال له إن لي ولدا قصيرا استحيت أن يراه الناس فجعلته على الغنم فلما رآه وضع القرن على رأسه ففاض ماءا ومسحه وعرف أنه النبي المنتظر[5].

ورد اسم داود في القرآن الكريم في ستة عشر موضعا[6] حيث ذكر القرآن أنه كان نبيا وملكا في نفس الوقت، بينما لا تعترف التوراة بنبوته وتعتبره ملكا فقط، وتلصق به الكثير من التهم والإدعاءات الكاذبة، ويتهافت واضعو أسفار العهد القديم على تلطيخ شرف داود عليه السلام واتهامه بأنه سليل زنى، وتتحدث عن بيت داود على أنه بيت دعارة وفجور لا بيت نبوة وحكم وملك، فأبناؤه يزنون بأخواتهم ويزنون بنساء أبيهم علانية أمام أعين الجميع، فابنه أمنون يزني بأخته تامار[7] وابنه بشالوم يدخل على نساء أبيه أمام جميع إسرائيل[8].

والتوراة تعطينا صورا متناقضة عن داود عليه السلام فشخصيته تجمع بين نقيضين، فهو الرجل الشجاع قاتل جالوت الجبار فيصبح بذلك عدو الفلسطينيين، لكنه يحارب معهم عدوهم فيما بعد[9].

---

(1) سفر راعوث: الآية 1-4.

(2) من هنا تتضح لنا خرافة دعوى العصر الحديث عن نقاء الجنس اليهودي وعدم اختلاطه بغيره من الأجناس منذ عصر الآباء الأوائل.

(3) وإخوته على الترتيب هم: أليآب، أبيناداب، شمعى (أو شمة)، بثنئيل، ردای، أوصم، داود، وكان له أختان هما صروية وأبيجايل. أنظر: سفر صموئيل الأول: 16: 6، 16: 8.

(4) ابن كثير: البداية والنهاية، ج2، المصدر السابق، ص 9؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ص 125.

(5) الطبري: تاريخ الطبري، المصدر السابق، م1، ص274.

(6) في سورة البقرة، النساء، المائدة، الأنعام، الإسراء، النمل، سبأ.

(7) سفر صموئيل الثاني: 13: 1-22.

(8) سفر صموئيل الثاني: 16: 20-23.

(9) سفر صموئيل الأول: 38: 1-7.

وهو حامل سلاح شاؤول الملك، ثم يصبح محاربا في الجيش الفلسطيني، بدأ حكمه تحت سيادة الفلسطينيين، ثم يقضي على نفوذهم فيما بعد، وهو زوج ابنة شاؤول ميكال وصديق ولده يوناتان، وهو في نفس الوقت عدو شاؤول اللدود[1].

هو فنان مرهف الأحاسيس يجيد العزف على العود والغناء بصوته الرخيم وهو في نفس الوقت الجندي الشجاع والفارس المغوار القاسي على أعدائه والغليظ القلب كما كان الناس في وقته، حيث كان يقتل الأسرى ويأمر بحرق المغلوبين، وسلخ جلودهم وتقطيعهم بالمنشار[2] وقدم لشاؤول رؤوس مائتي رجل من الفلسطينيين كمهر لابنته.

وتسهب التوراة في سرد قصته مع بتشيع زوجة أوريا الحتي ويرسل أوريا إلى الصف الأول في ميدان القتال ليتخلص منه، ويأخذ امرأته بين نسائه بعد أن حملت منه في غير خباء[3]، وكان يأخذ النساء من أزواجهم غصبا مستغلا جاهه وسلطانه، وقيل إن خطيئة داود هي تمنيه أن تكون زوجة أوريا حلالا له، وبينما كان في المحراب يوم عبادته، دخل عليه ملكان فقالا ﴿ لَا تخف خصمان بغى بعضنا عَلَى بعضٍ فَاحكُم بيننا بِالْحق ولَا تشطِطْ واهدنا إِلَى سواءِ الصراط إِن هذَا أَخي لَه تسع وتسعونَ نعجةً ولي نعجةٌ واحدةٌ فَقَالَ أَكْفلْنِيها وعزنِي في الخطَابِ.اصبر عَلَى ما يقُولُونَ واذْكُر عبدنا داوود ذَا الأَيد إِنه أَواب ﴾[4].

إن ما ذهبت إليه التوراة يتنافى مع الصورة النقية التي جاء بها القرآن الكريم للنبي داود عليه السلام المعصوم عن المعاصي فضلا عن هذه الكبائر التي يلصقها به العهد القديم، فهو الأواب الذي يرجع في جميع أموره وشؤونه إلى الله عز وجل[5].

فهذا هو داود الملك كما تصوره التوراة بينما نحن نؤمن بأنه نبي الله الكريم الذي قال فيه القرآن الكريم ﴿وآتاه الله الملْك والْحكْمةَ وعلمه مما يشاءُ ﴾[6] وقال تعالى: ﴿ ولَقَد آتينا داوود منا فَضلاً يا جِبالُ أَوبِي معه والطيـر وأَلَنا لَه الحديد، أَن اعملْ سابِغات وقَدر في السرد واعملُوا صالحا إِنِّي بِما تعملُونَ بصير ﴾[7] أي أن الله تعالى قد وهب داود من الصوت العظيم ما لم يعطه أحدا، بحيث أنه كان إذا ترنم لقراءة كتابه يقف الطير في الهواء يسبح بتسبيحه، كما أن الجبال كانت تحييه وتسبح معه كلما

---

[1] سفر صموئيل الأول: 16: 21-23.

[2] ول وإيريل ديورانت: قصة الحضارة، تح: محي الدين جابر وزكي محمود، ج، دار الجيل، بيروت، 1971، ص 331.

[3] عبد الوهاب النجار: المرجع السابق، ص 310.

[4] سورة ص: الآية 22-23.

[5] غازي محمد فرج: النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة، ط1، دار النفائس، بيروت، 1419هـ-1990م، ص 32.

[6] سورة البقرة: الآية 251.

[7] سورة سبأ: الآية 10-11.

سبح بكرة وعشيا، فقد جمع ا له بين الملك والنبوة بين خير الدنيا والآخرة، وكان الملك في سبط والنبوة في سبط آخر، لكنهما اجتمعا في داود معا[1]، وقد قال تعالى: ﴿ وسخرنا مع داود الجِبالَ يسبحن والطير وكُنا فَاعلين ﴾[2].

وقيل بأن ا قد ألان الحديد لداود حتى كان يفتله بيده لا يحتاج إلى نار ولا إلى كطرقة، فكان أول من عمل الدروع من زرد[3] وإنما كانت قبل ذلك تصنع من صفائح[4] وهي أخف من الدروع الأخرى وأبعد من مضايقة لابسها، فهي تقي لابسها من الأسلحة[5] كما قال تعالى: ﴿ وعلمناه صنعةَ لَبوسٍ لكُم لتحصنكُم من بأسكُم فَهلْ أَنتم شاكرونَ ﴾[6].

ثانيا. أعماله: إن انبهار العبرانيين ببطولة وشجاعة داود منذ أن خلصهم من القائد الفلسطيني الجبار "جالوت" حيث قال تعالى: ﴿ وقَتلَ داود جالُوت وآتاه الله الملْك والْحكْمةَ وعلمه مما يشاءُ﴾[7] إن هذا الانبهار كان سببا رئيسيا في فشل مملكة شاؤول التي أثبتت عجزها عن مواجهة الأخطار الخارجية.

وعليه فإن حكم شاؤول (طالوت) كان تمهيدا لحكم داود عليه السلام ومقدمة للفترة الذهبية في تاريخ العبرانيين والتي تمثل أعلى قمة وصلوا إليها[8].

1- سياسته الداخلية: يختلف داود عن سلفه شاؤول في كونه من أكبر سبط وهو سبط يهوذا خلاف شاؤول الذي كان من سبط بنيامين الصغير الذي لا يشكل أي تهديد للأسباط الأخرى، وهذا ما ساعده على احتلال مكانة مرموقة لدى كل الأسباط، إضافة إلى ما كان يتمتع به من حنكة سياسية ساعدته على تحقيق الوحدة القومية وتقوية المملكة داخليا وخارجيا منذ توليه السلطة.

أ- توليه السلطة: بعد وفاة شاؤول كانت الظروف كلها مهيأة لأن يخلفه داود على رأس المملكة خاصة وأنه في نظر العبرانيين هو ذلك القائد الذي خلصهم من أكبر أعدائهم، وهذا ما يؤكده

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، المصدر السابق، ص 9.

(2) سورة الأنبياء: الآية 79.

(3) زرد: الزرد والزرد، حلق المغفر والدرع، والزردة: حلقة الدرع، والسرد ثقبها، والجمع زرود، والزراد صانعها، والزرد بالتحريك: الدرع المزرودة. أنظر: ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم): لسان العرب، ج3، دار صادر، بيروت، ص 194.

(4) ابن كثير: البداية والنهاية، المصدر السابق، ص 9.

(5) عبد الوهاب النجار: المرجع السابق، ص 310.

(6) سورة الأنبياء: الآية 80.

(7) سورة البقرة: الآية 251.

(8) عمار عزون: ورث سليمان داود، ط، شركة ءزاعياس للطباعة والنشر، الجزائر، 1428هـ-2000م، ص 9.

قوله تعالى: ﴿ ولَمّا برزوا لجالُوت وجنوده قَالُوا ربنا أَفْرِغْ علَينا صبراً وثَبت أَقْدامنا وانصرنا علَى القَومِ الكَافرِين ﴾[1] .

كما أنه كان حامل درع الملك شاؤول وهذا ما يعطيه حق خلافته، دون أن ننسى بأنه في نظر الأغلبية هو القائد المظلوم المضطهد من طرف شاؤول، والهارب من مكان إلى آخر بعيدا عن أعين شاؤول وهذا ما ساعده على كسب ثقة أغلب القبائل فالتفوا حوله[2].

وبعد وفاة شاؤول احتدم الصراع على السلطة بين مختلف القبائل خاصة بين داود وبين "إيشبعل" بن شاؤول، فداود كان يتطلع لخلافة شاؤول خاصة أن النبي صاموئيل كان قد مسحه خليفة لشاؤول، وإيشبعل كان يعتبر نفسه الوريث الشرعي لوالد وكان يسانده في ذلك "أبنير" قائد جيش شاؤول، وقد استغل الفلسطينيون ذلك في السيطرة على البلاد.

وحزن داود لموت شاؤول وولده يوناثان ورثاهما بواحدة من أعظم المراثي، ثم جاء على حبرون، أين جاءه رجال يهوذا ومسحوه ملكا على بيت يهوذا[3]. ورغم هذا الاختيار كان عملا سياسيا سياسيا إلا أن داود استطاع أن يكسب تأييد رجال الدين له ويحصل على ولائهم.

أما في الشمال فقد عادت البلاد تحت السيادة الفلسطينية بعد كارثة جبل جلبوع، وقد نقل أبتير الذي نجا من الكارثة المقر الملكي إلى رمعانيم بشرق الأردن، وهناك عين "إيشبعل" ابن شاؤول ملكا من طرف قبائل الشمال المهزومة والتي كانت تبحث عن منقذ وحامي لها من ضربات الفلسطينيين وأطلق إيشبعل على نفسه لقب "ملك إسرائيل"، وبذلك أصبح للعبرانيين مملكتان إحداهما في الشمال تشمل أكبر القبائل والأخرى في الجنوب وتضم القبائل المتبقية على رأسها داود[4].

والظاهر أن هذا الانقسام كان لصالح الفلسطينيين، بل إنهم باركوا تعيين داود على رأس مملكة الجنوب، لأنه في نظرهم مازال تابعا لهم، كما أن هذا الانقسام سيضعف قوة العبرانيين مما يضمن بقاءهم كقوة في المنطقة لا تنافسها قوة أخرى.

ب- توحيده للمملكة: كان طموح داود أكبر من أن يكتفي بمملكة يهوذا في أقصى الجنوب لذلك بدأ في التخطيط لضم مملكة الشمال إليه، من بين ما قام به لتحقيق أهدافه، تحسين علاقاته مع

---

[1] سورة البقرة: الآية 250.

[2] محمود المراغني: المرجع السابق، ص 27.

[3] سفر صموئيل الثاني: 2: 4.

[4] محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، المرجع السابق، ج2، ص 640.

القبائل الجنوبية فتزوج من ابنة الملك الأرامي "حشور" ليضمن ولاءه كما تحالف مع ملك عمون وبذلك أصبح "إيشبعل" بين فكي كماشة الأراميون من جهة والعمونيون من جهة أخرى[1].

والظاهر أن حنكة داود ودهاءه السياسي جعله يتسلل إلى حاشية إيشبعل بحثا عن موالين له، يحرضهم على خيانة ملكهم عن طريق الإغراء "**والآن فلتشدوا أيديكم وكونوا ذوي بأس، لأنه قد مات سيدكم شاؤول وإياي مسح بيت يهوذا ملكا عليهم**"[2].

ويبدو أن داود قد نجح في اختراق بطانة إيشبعل ووجد أصدقاء مخلصين له، يساعدونه في التخلص من غريمه أيشبعل، وبعدها بدأت المواجهات العسكرية بين المملكتين انتهت بهزيمة الشماليين بقيادة "أبنير" في جبعون، واستغل داود النزاع الذي نشب بين أبنير وسيده فقام بضم هذا الأخير إلى معسكره، لكن مقتل أبنير حال دون إتمام الخطة.

وتحققت أهداف داود بعد مقتل إيشبعل على يد أخوين من رجاله، أمر داود بقتلهما، وبذلك تخلص داود من معارضيه ودانت له جميع الأسباط التي مسحته ملكا عليها ودام ملكه أربعين سنة[3] وأقبل شيوخ إسرائيل إلى داود في حبرون فعاهدهم أمام الرب ومسحوه ملكا على بيت إسرائيل، وكان داود ابن ثلاثين سنة يوم صار ملكا، ملك بحبرون على بيت يهوذا سبع سنين وستة أشهر وملك بأورشليم ثلاثا وثلاثين سنة على جميع إسرائيل ويهوذا[4].

وقد اختلف المؤرخون في تحديد فترة حكمه فمنهم من اعتبرها في الفترة ما بين 1004-960ق.م[5] ومنهم من اعتبرها ما بين 1000-960ق.م[6] وهناك من حددها بـ1004 حتى 969ق.م[7] وهناك من جعلها ما بين 1004-963ق.م[8] وهناك من حددها بين 1000-961ق.م[9]، وهناك من أخر فترة حكمه إلى 1010 واستمرت حتى 971ق.م[10]، والواضح أن أغلب المؤرخين

---

(1) المرجع نفسه، ص 927.

(2) سفر صموئيل الثاني: 2: 8.

(3) القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي): المصدر السابق، ص 159.

(4) سفر صموئيل الثاني: 4: 5.

(5) حلمي محروس إسماعيل: المرجع السابق، ص 175.

(6) محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، المرجع السابق، ج2، ص 629.

(7) عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ص 1949.

(8) فيليب حتي: تاريخ سوريا، المرجع السابق، ص 203.

(9) مصطفى كمال عبد العليم: المرجع السابق، ص 74.

(10) أحمد سوسة: العرب واليهود، المرجع السابق، ص 629.

يتفقون على أن بداية حكمه كانت حوالي 1000ق.م واستمر حكمه أربعين سنة كما جاء في التوراة وبذلك تكون الفترة محصورة ما بين 1000 و960ق.م.

نقل العاصمة إلى أورشليم: لقد استطاع داود توحيد القبائل العبرانية لأول مرة تحت سلطته فيكون بذلك هو المؤسس الفعلي للملكة العبرانية المتحدة. وبعد أن دانت له كل القبائل، واستتبت الأوضاع السياسية والدينية في المملكة، توجه نحو تنفيذ خططه وذلك بالاستيلاء على يبوس أو أورشليم ونقل العاصمة من حبرون إليها[1]. لذلك جهز جيشا قوامه ثلاثون ألف مقاتل لمواجهة سكانها اليبوسيين وسكانها العرب الأصليين[2] حيث واجه مقاومة عنيفة من طرفهم لكنه تمكن من احتلالها بعد بعد قتال عنيف، انتزع منهم خلاله جبل صهيون.

وقد تم احتلال يبوس من خلال استخدام داود لإستراتيجية هامة حيث تسلق محاربوه الحفر العمودية للأنفاق المخصصة لتزويد المدينة بالمياه.

وحتى احتلال داود لها كانت المدينة في أيدي اليبوسيين ولم تنتم إلى أي سبط من أسباط العبرانيين قبل ذلك[3]. وقد كان اختيار داود لها عاصمة لمملكته دليلا واضحا على حنكته السياسية وبعد نظره، لأنها تتمتع بمزايا كثيرة من أهمها أنها ذات موقع إستراتيجي هام حيث تقع على مرتفع وسط أرض كنعان، كما أنها كانت مدينة محايدة لم تنتم لأي سبط وهو بذلك سيمنع تفضيل أحد الأسباط على الآخرين، كما أنه باختياره لها يكون قد خفف الانطباع السائد لدى أغلب الأسباط من أنه ينوي تفضيل سبط يهوذا على بقية الأسباط.

كما أن المدينة تحتل موقعا وسطا بين الشمال والجنوب وهذا ما جعله لا يظهر أمام شعبه بمظهر الملك المستبد الذي يحاول فرض نفوذه عليهم، فلو أنه اختار مدينة من موقع سبط بنيامين أو أفرايم لخاطر بفقدان تأييد ومساندة سبط يهوذا الذي كان يعد الساعد الأيمن له[4].

وكانت الخطوة التالية التي أراد بها تحقيق الوحدة الدينية بعدما تحققت الوحدة السياسية ألا وهي بناؤه معبدا ليهوه أودع فيه تابوت العهد لتصبح بذلك أورشليم وجهة كل العبرانيين[5]، ولم يكتف داود بذلك بل أراد تقوية تمثيل أسباط الشمال والجنوب في مملكته الجديدة فعين كاهنين كبيرين في

---

(1) Adolphe Lods : Op.cit, P 418.

(2) مصطفى كمال عبد العليم: المرجع السابق، ص 76.

(3) ريتشارد إليوت فريدمان: المرجع السابق، ص 35.

(4) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص 385.

(5) عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ص 1950.

عاصمته واحدا من الشمال والثاني من الجنوب، وقد أراد من وراء تعيينه لاثنين من كبار الكهنة تهدئة أجزاء البلاد المنفصلة وتوحيدها[1].

وقد كان الكاهن الأكبر من الشمال وهو "إبياثار" وهو الكاهن الذي نجا من المذبحة التي قام بها "شاؤول" في "شيلو"، وأما الكاهن الأكبر فكان من الجنوب وهو الكاهن "صادوق" الذي جاء من حبرون (الخليل) عاصمة داود السابقة، وقد كان الكاهن صادوق وباقي كهنة حبرون يعتبرون من نسل هارون الكاهن الأكبر والأول عند العبرانيين، أما كهنة سيلو ومنهم الكاهن "إبياثار" فينسبون إلى موسى عليه السلام[2].

إن هذه السياسة الرشيدة والحكيمة التي اتبعها داود لم يستطع بها تحقيق التفاهم بين الشمال والجنوب بل حقق التفاهم أيضا بين عائلتين قديمتين من الكهنة ذات الأهمية السياسية والدينية لدى العبرانيين ألا وهما نسل موسى ونسل هارون عليهما السلام.

غير أن هناك من يرى بأن إدعاء كتبة سفر صموئيل الثاني بأن داود استولى على مدينة أورشليم لا أساس له من الصحة، إنما أرادوا فقط جمع العبرانيين على مدينة يقدسونها، لأن موقع المدينة الحصين ووجود أسوار قوية حولها جعلها أقل عرضة لهجمات الأعداء إلى أن فتحت أبوابها للملك المصري "تحتمس الثالث" خلال القرن الخامس عشر ق.م، حيث أقام المصريون مذبح الصخرة وهذا ينفي ما زعمه سفر الملوك الأول من أن "سليمان بن داود" هو الذي قام ببناء هذا المعبد[3].

وفي ظل غياب مصادر تاريخية أو مادية تغطي تلك الحقبة الزمنية ماعدا أسفار العهد القديم، فلا خيار لنا سوى قبول روايات العهد القديم لكن بعد غربلتها ودراسة مدى مطابقتها لما ورد في القرآن الكريم الذي لم يتعرض إلى تاريخ بني إسرائيل بالتفصيل.

تأسيس جيش متمرس: إن طموحات داود وسياسته الخارجية وأحلامه بتوسيع مملكته كان يتطلب وجود قوة عسكرية متمرسة تستطيع تحقيق الانتصارات التي يتطلبها الوضع السياسي في المنطقة، كما أنه لا يستطيع توطيد دعائم عرشه إلا بوجود جيش قوي وهذا ما باشر عمله داود.

لقد أراد داود تأسيس جيش محترف نظامي على غرار جيوش الدول القوية في ذلك العصر، فكون جيشه من فريقين من المحاربين، الفريق الأول الذي يطلق عليه "صبا" وكان يتألف من الشباب

(1) مصطفى كمال عبد العليم: المرجع السابق، ص 77.

(2) ريتشارد إليوت فريدمان: المرجع السابق، ص 36.

(3) أسامة محمد أبو ندا: حدود مملكة داود بين روايات العهد القديم والدراسات الحديثة

File://c:\vsers\public\documents\داودعليهالسلام\تاريخاليهود.htm

الأقوياء يتم استدعاؤهم حين تمر البلاد بالأزمات وقد كانوا يدربون تدريبا عسكريا على فنون القتال ووسائله المختلفة ويتم استدعاؤهم عن طريق النفير أو الصور(1).

وقد تكون هذه الطريقة في استدعاء الجنود قد أخذها العبرانيون عن المصريين القدماء، أو سكان بلاد الرافدين الذين كانوا يستخدمون النفير أو الصور في استدعاء الجند ويذكر عبد الحميد زايد(2) أن في متحف القاهرة يوجد نفيران أحدهما كان يستخدم في إعلام الحرب واستدعاء الجنود والآخر قيل أنه يستخدم لإنهاء الحرب.

وتم استقدام هؤلاء الجنود الشبان والذين يمكن أن نسميهم احتياطيين بواسطة إشعال النيران ورفع الأعلام إيذانا بقيام الحرب وقد كان هذا الفريق لا يتميز بارتداء زي خاص به(3).

الفريق الثاني هو الجيش النظامي، أو ما يعرف بالقوات الدائمة (الجبوريم) تكونت نواتها الأولى حول داود عندما نفاه "شاؤول" وكان قوامها ستمائة مقاتل، يسمون برجال داود الأقوياء معظمهم من شعوب أجنبية انتماؤهم كان لداود شخصيا وليس للقبائل العبرانية.

وقد حقق بهم داود انتصارات هامة كانتصاره على الفلسطينيين واحتلال "أورشليم" وكان الجيش مقسما إلى عدة فرق وكل فرقة تحت إمرة قائد خاص يتراوح تعداد كل فرقة من ألف إلى مائة أو إلى خمسين جنديا، وكان أهمها الحرس الملكي لداود(4).

لم يكن داود يملك عربة حربية واحدة، فقد كان يظن أن استعمال العجلة الحربية في جيشه ليس ضروريا، رغم أنه كان سلاحا شائعا عند الشعوب المجاورة.

2- حـروبـه: لقد استطاع داود على حد قول التوراة أن يخضع أكثر المدن الفلسطينية، كما تمكن من إخضاع دولات "آدوم" و"عمون" واستولى على مملكة صوبا الأرامية الغنية بمناجم النحاس وأخضع ملكها "هرد عزرين رحوب" وأخذ منها نحاسا كثيرا(5)، وسنتبع كل هذه الأحداث بالتفصيل في حديثنا عن حروبه.

أ- حروبه مع الفلسطينيين: لم يتقبل الفلسطينيون التطورات الجديدة التي عرفها العبرانيون باتحاد جميع قبائلهم تحت إمرة "داود" البطل الجديد في نظر قومه والتابع القديم في نظر الفلسطينيين،

---

(1) Adolphe Lods : Op.cit, P 420.

(2) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص 386.

(3) عبد الحميد زايد: المرجع نفسه، ص 386.

(4) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ج4، ص ص 684-685.

(5) أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، ص 326؛ فيليب حتي: تاريخ سوريا...، المرجع السابق، ص 303.

لذلك كانوا يترقبون الأحداث ببالغ القلق، لأن اتحاد مملكتي إسرائيل ويهوذا يعد قلبا لموازين القوى في المنطقة.

كما أن هذه المملكة الموحدة أصبحت تشكل خطرا على الفلسطينيين ومصالحهم في المنطقة وتذكر التوراة أن الفلسطينيين لما سمعوا بأن داود مسح ملكا على إسرائيل "**فصعد جميع الفلسطينيين ليفتشوا على داود، واحتلوا وادي الرفائيم**"[1]. ويرجح أنه وادي البقاع جنوب غربي أورشليم، وقد تم اختيارها لنزول الفلسطينيين لمحاولة قطع اتصال داود بالأسباط الشمالية، وقد يكون لمنع تجميع جيوش المملكتين.

استعد "داود" لملاقاة الفلسطينيين بفرقة من الجنود المحترفين قادما من حبرون بالجنوب ولما اقترب من سهل رفائيم نجح في ضرب الفلسطينيين بنفس وسائلهم، لأن قائدا من المرتزقة كان يعرف أساليبهم في الحرب، ولم يستخدم كل قواته بل واجههم بفرقة من المرتزقة فقط حققت انتصارا كبيرا على الفلسطينيين الذين حاولوا مرة أخرى لكنهم هزموا للمرة الثانية وتتبعهم داود إلى حدود بلادهم[2].

وهذه الانتصارات الكبرى على أقوى أعداء "داود" وأكثرهم أهمية، أجبرت الفلسطينيين على الاعتراف بسيادته على الجزء الأكبر من البلاد حسب ما جاء في التوراة، ومع ذلك بقي الفلسطينيون في إقليمهم القوة الوحيدة التي لم يستطع داود إخضاعها ويعود ذلك إلى تأييد مصر لهم، رغم أن مصر كانت في تلك الفترة تمر بفترة ضعف وتراجع.

وقد نقل داود التابوت بعد استرداده من الفلسطينيين إلى العاصمة أورشليم وقد صاحبه بالرقص والنشيد والأهازيج.

ب- حروبه مع مؤاب: تحتل مملكة مؤاب مكانة خاصة عند داود، لأنها هي التي احتضنت والدي داود عندما كان فارا من غضب شاؤول، كما أن "راعوث" جدة داود كانت مؤابية، والتوراة لم تقدم أي تفسير لأسباب حربه مع مؤاب، إلا أن مؤاب كانت أول قوة هوجمت وهزمت، بل تعرض أكثر سكانها للذبح ومن تبقى خضع للسبي والإذلال[3] وبذلك أصبحت مؤاب ولاية تابعة لداود "**وصار المؤابيون عبيد ا يؤدون الجزية**"[4].

إن المتمعن في هذه الأحداث التي تذكرها التوراة ليقف حائرا لا يجد تفسيرا لذلك ولأسباب الحرب على مؤاب، فهل هو نكران للجميل؟ أم أنه إرضاء لحبه لسفك الدماء كما كانت تصوره

(1) سفر صموئيل الثاني: 5: 19.

(2) سفر صموئيل الثاني: 5: 23-24.

(3) محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، المرجع السابق، ج2، ص 646.

(4) سفر صموئيل الثاني: 8: 3.

النصوص التوراتية؟ أم أنه حب للتوسع على حساب الدول المجاورة دون مراعاة حتى صلة القرابة التي كانت تربطه بالمؤابيين، وكيف واجه ذلك بالذبح والتقتيل والإذلال والسبي.

إن مثل هذه الأحداث التي تمتلئ بها النصوص التوراتية لتدعونا إلى اتخاذ الحيطة والحذر مع التمحيص والغربلة مقارنة مع ما وصف به داود من صفات حميدة تجعله في منأى عن تلك القسوة والهمجية، وقد قال فيه تعالى: ﴿ وشددنا ملْكه وآتيناه الحكْمةَ وفَصلَ الخطَابِ ﴾[1].

ج- حروبه مع العمونيين والآراميين: يبدو أن العمونيين هم المتسببين في اندلاع هذه الحروب حسب ما جاء في النصوص التوراتية، بل أنهم جروا معهم الآراميين قبل إتمام استعدادهم للمواجهة.

ويعود السبب إلى ما قام به العمونيون من إساءة لرسل داود إليهم فقام ملك عمون "حانون" بحلق نصف لحاهم وقص ثيابهم. وقد توقع العمونيون اندلاع الحرب لذلك طلبوا المساعدة من جيرانهم الآراميين في "آرام بيت رحوب" و"آرام صربة" وفي "معكة وطوب" حيث قادوا حشودهم لمساعدة عاصمة عمون، ونجح قائد جيش داود "يوآب بن صوريه" في هزيمة الآراميين، وفي العام التالي أمر داود قائده بتدمير أرض الآراميين ومحاصرة عاصمتهم "ربة" وحضر داود عند الاستيلاء على قلعة المدينة فأمر بحرق المغلوبين، وسلخ جلودهم ونشرهم بالمنشار بعد وضعهم تحت تورج فؤوس من حديد[2]، ثم جعل نفسه ملكا على عمون.

د- حروبه مع الأدوميين: لم يكن هناك أي سبب واضح لتفسير أسباب الهجوم على أدوم الواقعة جنوب مملكة العبرانيين، فهي لم تقم بأي عمل ضد العبرانيين منذ وطئت أقدامهم أرض كنعان، ثم لا تنسى أنهم أبناء عمومتهم فهم ينحدرون من آدوم وهو عيسو أخ يعقوب وتوأمه.

ومع ذلك فقد أمر داود بمهاجمتها وأقيمت فيها مذبحة مروعة للذكور خاصة "**فإن يؤآب وكل إسرائيل أقاموا في آدوم ستة أشهر حتى أفنوا كل ذكر في آدوم**"[3]. وقتل في هذه المعارك ملك آدوم "حداد الثاني" بينما فر ولده هدهد إلى مصر، وبقي هناك إلى أن مات داود، فبدأ يطالب باسترداد حقه[4].

وبضم داود لآدوم تمكن من الوصول إلى خليج العقبة وبذلك أصبح له منفذا على البحر الأحمر، كما أن آدوم كانت ذات أهمية اقتصادية لغناها بالنحاس والحديد وهذا ما جاء في التوراة "**وهيأ داود حديدا كثيرا للمسامير لمصاريع الأبواب وللوصل ونحاسا كثيرا بلا وزن**"[5].

---

(1) سورة ص: الآية 20.

(2) سفر صموئيل الثاني: 12: 26-31.

(3) سفر الملوك الأول: 11: 15-16.

(4) J. Steinmann : Op.cit, P 107.

(5) سفر أخبار الأيام الأول: 22: 4.

وبذلك فقد كان داود فعلا رجلا حرب قضى فترة حكمه في الحروب والتوسع على حساب الدول المجاورة وذلك تحقيقا لطموحه بإقامة مملكة تمتد من الفرات إلى البحر المتوسط، غير أن هذا فيه الكثير من المبالغة هذا إذا سلمنا بصحة النصوص التوراتية ودقة الأحداث التي تسردها إذ أنها تحدد حدود المملكة "**من دان إلى بئر سبع**"[1] ودان تقع عند سفح جبل حرمون، عند تل القاضي، حيث منابع الأردن، ومن الجنوب "بئر سبع" لكن التوراة لم تذكر حدود المملكة من الشرق والغرب[2].

ويجمع أغلب المؤرخين أن داود ما كان له أن يحقق تلك التوسعات لولا الظروف الدولية المواتية حيث كانت القوى الكبرى في المنطقة في فترة ضعف وتراجع، فمصر كانت في عهده مرتبكة فخففت من سيطرتها على فلسطين والشام لانشغالها بأوضاعها الداخلية، كما كانت أشور هي الأخرى منشغلة بالاضطرابات الداخلية، وهذا ما هيأ لداود مساحة أكبر للحركة والتوسع.

ومهما كان من أمر فإن فترة حكم داود تعد أزهى عصور المملكة التي عرفت أقصى اتساعها كما ازدهر اقتصادها واستقرت أوضاعها السياسية والدينية وقد يكون لداود الدور الرئيسي في ذلك، نظرا لما كان يتمتع به من صفات مكنته من تحقيق تلك الإنجازات.

ثالثا. الاضطرابات الداخلية: يبدو أن الفترة الأخيرة من فترة حكم داود كانت حافلة بالاضطرابات والصراعات التي بدأت تطفو على السطح في بيت داود وبين أبنائه الذين كانوا يتسابقون من أجل الفوز بوراثة العرش، خاصة وأنه لم تكن هناك قاعدة قد وضعت لخلافة العرش في هذه المملكة الفتية.

غير أن هناك اعتبارات كثيرة أصبحت تحدد اختيار أحد الأبناء دون الآخرين وحتى ولو لم يكن الابن البكر، منها مكانة الأم، وتحيز الملك، واختيار الشعب دون أن ننسى موافقة يهوه الصريحة.

وبما أن الابن البكر يكون له نصيب الأسد في ميراث أبيه وذلك طبقا لما قررته التوراة، فكان من الطبيعي أن يخاف داود أكبر أبنائه، غير أن أبناء داود كانوا يعتبرون أنفسهم جميعا خلفاء محتملين للعرش[3]، وقد كان لداود ستة أبناء ولدوا في حبرون "**كان بكره أمنون من أخينوعم اليزرعيلية، والثاني نيلاب من إبيجال أرملة نابال الكرملي والثالث أبشالوم بن معكة بنت تلماي ملك حشور والرابع أدونيا بن حجيت والخامس شنفطيا بن أبيطال والسادس يترعام من عجلة زوجة داود**"[4] وأما أبناؤه الذين ولدوا في

---

(1) سفر القضاة: 20: 1؛ سفر صموئيل الأول: 3: 20.

(2) محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، المرجع السابق، ج2، ص 650.

(3) سفر التثنية: 21: 15-17.

(4) سفر صموئيل الثاني: 3: 2-5.

أورشليم فكانوا "**شموع وشوباب وناثان وسليمان وبيحار واليشوع ونافح ويافيع وأليشمع وإليداع، واليفاط**"[1]. وقد كانت كل واحدة من نسائه تعمل على وصول ولدها إلى العرش.

1- تمرد ابنه أبشالوم: اعتبر أمنون بن داود البكر نفسه ولي العهد وتروي لنا التوراة قصة غريبة تروي حب "أمنون" لـ "تامار" أخته من أبيه وتحايله عليها إلى أن اخذ مبتغاه منها ثم طردها، وتسترسل التوراة في سرد هذه القصة التي انتهت بقتل "أبشالوم" شقيق "تامار" لأخيه أمنون عقابا له على ما فعله بأخته[2].

وقد ظل "أبشالوم" خائفا من عقاب أهل بيته لمدة ثلاث سنوات ثم عاد إلى بيت أبيه واستمر التباعد بينه وبين أبيه، فترك بيت أبيه وذهب إلى مدينة حبرون وهناك أعلن نفسه ملكا متحديا أباه، فهرب الملك وجميع أهله من أورشليم التي دخلها أبشالوم.

وعبر داود ورجاله نهر الأردن إلى الشرق هربا من ابنه أبشالوم الذي أخذ جيشه وسار بحثا عن أبيه ليقتله، والتقى جيش داود وجيش ابنه وانتهت المعركة بانتصار جيش داود ومقتل "أبشالوم" وبذلك عاد داود إلى بيته.

إن هذه القصة لتدعونا إلى الاستغراب كيف تحدث هذه الجرائم في بيت النبوة وبين أولاد نبي اتصف بالحكمة والفضل العظيم، فالاغتصاب والزنى والخيانة وفقدان المروءة كلها مناكر خسيسة اتهم بها كتبة التوراة نبي ا داود الذي وصفه ا بالأيد في قوله تعالى: ﴿ واذْكُر عبدنا داوود ذَا الْأيد إنه أَواب ﴾[3]. والأيد القوة ولاشك أن المراد هو القوة في الدين وهذا دليل على أداء الواجبات واجتناب المحظورات وكان داود من أولي العزم، لأن ا أمر الرسول صلى ا عليه وسلم بالاقتداء بأولي العزم، وإذا وصف بالقوة فأي قوة لمن لم يملك نفسه عن الفجور والقتل[4].

2- ثورة شبع بن بكري: يبدو أن داود حسب مزاعم التوراة لم يكد ينتهي من منازعة ابنه له في الملأ حتى ظهر له منازع من قبيلة بنيامين، وقد يكون لداود دورا في تفجير هذه الثورة حينما طلب من يهوذا أن يعيدوه إلى عرش يهوذا كفرد منها، الأمر الذي أغضب قبائل إسرائيل وأنبوا داود على عدم إشراكهم في ذلك لأنهم يمثلون أغلب القبائل الإسرائيلية[5].

---

(1) سفر صموئيل الثاني: 5: 3-16.

(2) سفر صموئيل الثاني: 13: 1-29؛ أحمد عثمان: المرجع السابق، ص ص 141-142.

(3) سورة ص: الآية 17.

(4) البكري (فخر الدين الرازي): عصمة الأنبياء، ط$_1$، دار الكتب العلمية، بيروت، 1409هـ-1988م، ص ص 97-98.

(5) سفر صموئيل الثاني: 19: 9-43.

فخرج شبع بن بكري البنياميني وضرب بالبوق وقال "**ليس لنا قسم في داود ولا نصيب في ابن يسى كل رجل إلى خيمته يا إسرائيل، فصعد كل رجال إسرائيل من وراء داود، إلى وراء شبع بن بكري**"(1). وبعد عودة داود إلى عاصمته أورشليم، استدعى قواته من المرتزقة ومن حرس يهوذا لإخضاع تمرد إسرائيل بقيادة "يوآب" الذي نجح في إخماد الثورة وقتل شبع بن بكري.

3- **ثورة ابنه أدونيا:** يبدو أن متاعب داود لم تنته بل انفجرت ثورة أخرى في بيته وهو في شيخوخته، هذه الثورة قادها ابنه أدونيا فانقسم رجال بلاطه إلى فريقين، حزب يؤيد أدونيا وآخر يؤيد سليمان الابن العاشر لداود وهذا نزولا عند رغبة زوجته بتشبع المقربة من داود.

وأدونيا أعلن نفسه ملكا على إسرائيل حتى قبل وفاة أبيه بناء على حقه في وراثة العرش بصفته أكبر الأبناء، وهذا بمساندة قائد الجيش "يوآب" وأبياثار كاهن المعبد الملكي، في حين نجح الحزب الآخر والمؤيد لسليمان في الحصول على قرار من الملك المسن لإبعاد أدونيا وتعيين "سليمان" وهذا بتأثير من زوجته الجميلة "بتشبع".

رابعا. وفاتــه: أجمع المؤرخون والكتاب على أن داود كان شخصية نادرة في عصره، جمل بين قوة الجسد والعقل، بين الحكمة ورجاحة العقل، وبين الشدة والعفو، فكان عهده عهد يسر ورخاء وصل فيه العبرانيون إلى رتبة العصر الذهبي، وبلغت فيه الحياة السياسية والتجارية درجة عالية من التقدم واحتفظ فيه الدين إلى حد بعيد ببساطته الأولى ونقائه القديم. وقد كان حجة في الشريعة يقرأ التوراة دائما، ولذا لم يستطع ملاك الموت أن يقبض روحه إلا باللجوء إلى الخديعة.

وفي ذلك قال البخاري عن أبي هريرة رضي ا عنه عن النبي صلى ا عليه وسلم قال: "خفف على داود عليه السلام القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه، ولا يأكل إلا من عمل يده"(2).

ويعتبره بعض رجال الدين القدم الرابعة للمركبة الإلهية حيث يشكل الآباء الثلاثة الأقدام الأخرى(3).

وقد توفي حوالي 1015ق.م(4) ودفن في مدينته "بأورشليم"، بينما كان المنتظر أن يدفن في مقابر أسرته في "بيت لحم" طبقا لعقيدة العبرانيين التي ترى بدفن أفراد الأسرة في مكان واحد ليبقوا على قيد الحياة.

---

(1) سفر صموئيل الثاني: 20: 1-2.

(2) مقبل بن هادي الوادعي: الصحيح المسند من دلائل النبوة، ط1، دار الأرقم للنشر، الكويت، 1405هـ-1985م، ص 289.

(3) عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ص 1950.

(4) زكي شنودة: المرجع السابق، ص 95.

أما عن قصته مع ملك الموت فقيل أنه حين عاد إلى بيته وجد رجلا في وسط الدار فقال له داود: من أنت، فقال: أنا الذي لا أهاب الملوك ولا أمنع من الحجاب، فقال داود: أنت وا إذن ملك الموت، مرحبا بأمر ا ثم مكث حتى قبضت روحه فلما غسل وكفن طلعت عليه الشمس فقال سليمان للطير أظلي على داود فأضللته الطير[1].

وعند وفاته قيل بأن عمره كان مائة عام[2] وقيل سبعون عاما[3] وقبل وفاته أوصى ابنه سليمان وريثه "**اعمل شرائع الرب إلهك واسلك طريقه، تمسك بفرائضه ووصاياه وأحكامه وإرشاداته على ما هو مكتوب في شريعة موسى، لتنجح في كل ما تعمل وحيثما توجهت**"[4].

لقد حاولت من خلال دراستي لشخصية داود عليه السلام وأعماله أن أسلط الضوء على بعض الجوانب في شخصيته والتي مازالت في حاجة إلى دراسة موضوعية علمية دقيقة تعتمد على المنهج العلمي التحليلي والمقارن لبعض ما جاء من روايات أسطورية أو خرافية أطلق فيها كتبة التوراة العنان لخيالهم في نسج بعض الأحداث غير المطابقة للواقع والتي كان التأثر بالأساطير البابلية والمصرية واضحا لا غبار عليه.

المبحث الثالث: سليمان وعصر الازدهار: سنتناول في هذا المبحث فترة حكم النبي والملك سليمان عليه السلام حيث اتفق المؤرخون والكتاب على أن عصره كان العصر الذهبي للعبرانيين نعمت خلاله المملكة بالاستقرار والرخاء والازدهار الذي عم مختلف القطاعات وهذا بفضل ما كان يتمتع به سليمان من صفات وبفضل السياسة الحكيمة التي اتبعها في إدارة شؤون المملكة.

أولا. أصله ونسبه: هو سليمان بن داود بن إيشا بن عوبد بن عابر بن سلمون بن نخشون بن عويناذب بن إرم بن حصرون بن قارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام[5] وقد كان فيما يزعمون أبيضا جسيما وضيئا، كثير الشعر يلبس من الثياب البياض[6].

و"سليمان" اسم عبري معناه "رجل السلام" ويبدو أنه هذا هو الاسم الملكي الذي اتخذه "يديديا" بن داود بعد اعتلائه العرش وكلمة "يديديا" تعني "خليل الرب" وهو ثالث ملوك العبرانيين، وابن داود من زوجته المقربة بتشبع[7].

---

[1] ابن كثير: البداية والنهاية، المصدر السابق، ج$_2$، ص 15.

[2] ابن الأثير: المصدر السابق، ص 128؛ ابن كثير: المصدر نفسه، ج$_2$، ص 15؛ المسعودي: المصدر السابق، ص 55.

[3] زكي شنودة: المرجع السابق، ص 95؛ خليل سركيس: تاريخ القدس، مكتبة الثقافة الدينية، ط$_1$، 1421هـ-2001م، ص 13.

[4] سفر الملوك الأول: 2: 5.

[5] ابن كثير: البداية والنهاية، المصدر السابق، ج$_1$، ص 16.

[6] الطبري: المصدر السابق، ص 279.

[7] عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ص 1951.

وقيل أنه عند وفاة أبيه وتوليه العرش كان ابن ثلاث عشرة سنة[1] وقال بعضهم أنه كان في العشرين من عمره وكان ذلك في الغالب حوالي 1015ق.م[2]، بينما يؤخر بعضهم تاريخ اعتلائه العرش إلى عام 965ق.م[3] وهناك فريق ثالث يرى أنها كانت عام 961ق.م[4] أو عام 960ق.م[5]، وكل هذه التواريخ قد حصرت ما بين 1015و960ق.م أي الفرق الزمني بين كل هذه التواريخ هو 25 سنة وأظن أن هذا الاختلاف في تحديد التاريخ بدقة يعود إلى أن التوراة لم تذكر التاريخ وهي المصدر الوحيد للتاريخ العبراني.

ونلاحظ أن كتبة التوراة غيروا أسلوب كتابة التاريخ في عهد سليمان، عما كان عليه في عهد والده داود فأصبحوا يعتمدون التسلسل الزمني في سرد الأحداث مع استخلاص الدوافع التاريخية برؤية مختلفة عما كانت عليه سابقا[6].

وقد ورث سليمان أباه في النبوة والملك، قال تعالى: ﴿ ووَرِثَ سُلَيمانُ داود وقَالَ يا أيها الناس علمنا منطق الطيرِ وأُوتينا من كُلِ شيءٍ إِن هذَا لَهو الفَضلُ المبِين ﴾[7] وليس المراد بأنه ورثه في المال لأن داود كان له أبناء غيره وما كان ليخصه بالمال دونهم، وقد قال رسول ا صلى ا عليه وسلم: "لو نورث ما تركنا فهو صدقة" وقال أيضا عليه الصلاة والسلام: "نحن معاشر الأنبياء لا نورث"[8] ومعنى ذلك أن الأنبياء لا تورث أموالهم بل تكون صدقة من بعدهم على الفقراء[9].

وسأل سليمان ربه أن يؤتيه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، فاستجاب ا له وأعطاه ذلك[10]، عن عبد ا بن عمر عن رسول ا صلى ا عليه وسلم: "أن سليمان بن داود عليه السلام، لما بنى بيت المقدس سأل ا عز وجل خلالا ثلاثة، سأل ا عز وجل حكما يصادف حكمه فأوتيه، وسأل ا عز وجل ملكا لا

(1) ابن الأثير: المصدر السابق، ص 128.

(2) محمد شامة: لا سند تاريخي ديني لادعاءات اليهود في أرض فلسطين، مجلة الرابطة، العدد 443، رمضان 1422هـ - ديسمبر 2001، ص 20.

(3) عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ص 1951؛ أبراهام مالمات: المرجع السابق، ص 216.

(4) مصطفى كمال عبد العليم: المرجع السابق، ص 79.

(5) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ج2، ص 673.

(6) أبراهام مالمات: المرجع السابق، ص 216.

(7) سورة ص: الآية 17.

(8) سورة النمل: الآية 16.

(9) النيسابوري (مسلم أبو الحسين بن الحجاج القشيري): صحيح مسلم، دار ابن الهيثم، القاهرة، 1422هـ-2001م، (1758)، ص 458.

(10) ابن كثير: تفسير القرآن، المصدر السابق، ج2، ص 16.

ينبغي لأحد من بعده فأوتيه، وسأل ا عز وجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه احد لا يريد إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولادته أمه"[1].

وترى التوراة أن الاستقرار السياسي والرخاء الاقتصادي في عصره لم يكن إلا ثمرة حكمته، حيث ابتع القواعد المتفق عليها بين الحكماء، وقد كان "أحكم من أي إنسان"[2] كما تصفه التوراة، والتي والتي الفضل في ثراء سليمان وعظمته السياسية والأبنية التي شيدها وخاصة الهيكل إلى "**حكمة الرب التي غرسها في قلبه" والتي وهبتها له السماء عند توليه الحكم، بل وصفته بأنه كان "أبو الحكمة في إسرائيل"**[3] و"**فاقت حكمته حكمة جميع بني المشرق وكل حكمة مصر، وكان أحكم من جميع الناس... وكان صيته في جميع الأمم حواليه، وتكلم بثلاثة آلاف مثل، وكانت لبشائره ألفا وخمسين... وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان...**"[4].

ويعتقد أغلب الكتاب أن المملكة المتحدة في عهده أصبحت مملكة ضخمة ثرية انتشر تأثيرها في المنطقة وحظيت بمكانة هامة كدولة وسيطة بين مصر وآسيا الصغرى.

وقد سخر ا له الإنس والجن[5] والشياطين والطير والريح، فكان إذا خرج من بيته إلى محله عكفت عليه الطير، وقام له الإنس والجن حتى يجلس، قال تعالى: ﴿ وحشر لسلَيمانَ جنوده من الجِن والإِنسِ والطيرِ فَهم يوزعونَ ﴾[6] وقال أيضا: ﴿ ولسلَيمانَ الريح عاصفَةً ﴾[7] أي سخرنا لسليمان الريح عاصفة ﴿ تجري بِأَمرِه إِلَى الأَرضِ الَّتي باركْنا فيها وكُنا بِكُلِّ شيءٍ عالمين، ومن الشياطينِ من يغوصونَ لَه ويعملُونَ عملاً دونَ ذَلك وكُنا لَهم حافظين﴾[8]، وقال تعالى أيضا: ﴿فَسخرنا لَه الريح تجري بِأَمرِه رخاءً

---

[1] الطرطوسي المالكي (أبو بكر محمد بن الوليد الفهري): الكتاب المسبوك في نصائح الملوك، ط1، المطبعة الحرية، مصر، 1306هـ، ص 35.

[2] مقبل بن هادي الوادعي: المصدر السابق، ص ص 292-293.

[3] سفر الأمثال: 1: 2-7.

[4] سفر الأمثال: 4: 2.

[5] وقد ذكر النابغة الذبياني تسخير الجن لسليمان في شعره الذي يعتذر به إلى النعمان إذ يقول:

ولا أري فاعلا في الناس يشبهه ولا أحاشي من الأقوام من أحد

إلا سليمان إذ قال لإله له قم في البرية فاحددها عن الفند

وقيس إلى إني قد أذنت لهم يبنون تدمرنا بالصفاح والعمد

وقيل أن الكتابات الماثلة اليوم على مباني تدمر تدل على أنها هياكل لعبادة الكواكب، والكتابة رومانية، غير أنه لا مانع من أن تكون المدينة بنيت في عهد سليمان، فلما جاء الرومان حولوا بعض مبانيها إلى هياكل وكتبوا عليها ما كتبوا. أنظر: الطبري: المصدر السابق، ج1، ص 275؛ عبد الوهاب النجار: المرجع السابق، ص ص 332-333.

[6] سورة النمل: الآية 17.

[7] سورة الأنبياء: الآية 81.

[8] سورة الأنبياء: الآية 81-82.

رخاءً حيثُ أصاب، والشياطين كُل بناءٍ وغَواصٍ، وآخرين مقَرنِين في الأَصفَاد، هذَا عطَاؤنا فَامنن أَو أَمسِك بِغير حسابٍ، وإِن لَه عندنا لَزلْفَى وحسن مآبٍ ﴾[1].

توضح لنا هذه الآيات ما وهبه ا لسليمان من ملك لم يهبه لغيره سخر له إلى جانب الجن والشياطين الريح التي هي أسرع وأقوى وأعظم ولا كلفة عليه لها، تجري بأمره حيث ما أراد وفي أي مكان، وكان له بساط مركب من أعشاب بحيث يسع جميع ما يحتاج إليه من الدور المبنية والقصور والخيام والأمتعة والخيول والجمال والأثقال والرجال من الإنس والجان والحيوانات والطيور، فإذا أراد سفرا أو حربا حمل هذه الأمور على البساط ثم أمر الريح فدخلت تحته فرفعته فإذا استقل في السماء والأرض أمر الرخاء فسارت به وإذا أراد أسرع من ذلك أمر العاصفة فتحمله ثم تضعه في أي مكان يشاء[2]، قال تعالى: ﴿ ولسلَيمانَ الرِّيح غُدوها شهر ورواحها شهر وأَسلْنا لَه عين القطْرِ ومن الجِنِّ من يعملُ بين يديه بِإِذْن ربِّه ومن يزِغْ منهم عن أَمرِنا نذقْه من عذَابِ السعيرِ، يعملُونَ لَه ما يشاءُ من محارِيب وتماثيلَ وجِفَان كَالْجوابِ وقُدورٍ راسيات اعملُوا آلَ داوود شكْرا وقَليلٌ من عبادي الشكُور ﴾[3].

وقد قيل أنه كان يغدو من دمشق فينزل باصطفر[4] فيتغذى بها ثم يبيت بكابل، وقد كانت المسافة بين دمشق واصطفر مسيرة شهر، وبين اصطفر وكابل مسيرة شهر آخر، لكنه كان يقطعها في يوم فقط.

وأما القطر فقيل أنه النحاس الذي يحتاجه للبناء وغيره، وكان العمال الذين يعملون له ما يشاء من الجن ومن يخرج منهم عن طاعته يعذبه وينكل به، وكان من الشياطين من سخره في البناء، ومنهم من يأمره بالغوص في الماء لاستخراج الجواهر واللآلئ والعاصون منهم يقيدون[5]. إن هذه الآيات تحدثنا عما وهبه ا لسليمان وما سخر له من أشياء هي من تمام الملك الذي لم يكن لأحد لا من قبله ولا من بعده.

ثانيا. أعماله: عرف سليمان كحاكم لمملكة قوية ومزدهرة اعتمد في تسييرها وفي تحقيق إنجازاته الضخمة على موهبته السياسية والاقتصادية وحكمته التي عرف بها ولم يعتمد فقط على القوة

---

(1) سورة ص: الآية 36-40.

(2) ابن كثير: البداية والنهاية، المصدر السابق، ج2، ص 23.

(3) سورة سبأ: الآية 12-13.

(4) اصطفر: قيل أنها مدينة بناها الجن لسليمان. أنظر: ابن كثير: المرجع السابق، ص 23.

(5) ابن كثير: المصدر السابق، ص 24.

العسكرية في تدعيم ركائز مملكته كوالده داود، وهذا ما سأحاول إبرازه من خلال استعراض أهم أعماله ومنجزاته.

1- سياسته الداخلية: بدأ سليمان عهده بالقضاء على كل منافسيه والتخلص من مؤامراتهم ودسائسهم، ويبدو أن يهوه طبقا لما جاء في التوراة لم يغضب مما فعله، بل أحبه ووهبه حكمة لم يهبها لأحد من قبله ولا من بعده[1].

وقد بدأ حياته السياسية بقتل أخيه "أدونيا" صاحب الحق الشرعي في العرش، رغم أنه أمنه على نفسه من قبل[2] وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل كيف أن سليمان بحكمته وحنكته يعطي الأمان لأخيه ثم يتخلص منه بهذه البساطة دون أن تشير التوراة إلى محاولة عصيان وتمرد قام بها "أدونيا".

وتروي التوراة أن أدونيا كان قد لجأ إلى أم سليمان "بتشبع" لتشفع له عند ولدها سليمان لكي يهب له بسرية أبيه "أبيشنع" الشونمية ليتزوجها، لكن رد سليمان كان عنيفا وثارت ثائرته وأرسل إليه بناياهو لقتله[3].

وإن المتمعن في هذه الرواية لا يجد تفسيرا لتصرف سليمان تجاه أخيه، سوى تخوفه من أطماع أخيه وأن هذا ليس إلا خطوة أولى، قد تعقبها خطوات تصل إلى حد المطالبة بالعرش، خاصة وأن العادة في ذلك الوقت أن ينتقل حريم الملك إلى خليفته.

ثم اتجه إلى رجال البلاط في عهد والده وذلك تنفيذا لنصائح أبيه، فبدأ بقائد جيش داود "يوآب" لأنه أراق دماء كثيرة، فكان لابد عليه أن يجد وسيلة يتخلص بها من خادم البيت الملكي، وبعد مقتل يوآب توجه نحو "أبيثار" الكاهن، وقد يكون التخلص من الكاهن "أبيثار" خوفا من وقوفه في وجهه إذا أراد أن يخالف شريعة يهوه، وقد عين على رأس الجيش قائد الجنود "بنياهو" ونصب صادوق الكاهن في مكان أبيثار، وقد كان آخر رجال داود الذين يخشى بأسهم "شمعى بن جبرا"[4] فحدد له إقامته ثم اتهمه بترك مكان إقامته بدون إذن فأرسل إليه "بنياهو" وبذلك يكون سليمان قد نفذ وصية والده، كما أنه ثبت الملك ومتطلباته بيده بعد تخلصه من كل الذين كانوا من الممكن أن يسببوا المتاعب للملك.

ولكن هل كان كل ذلك من وصايا النبي الأواب حقا، وهل أن سليمان قد أراق حقا هذه الدماء، أم أنها من نسج خيال كتبة التوراة؟

---

(1) ول وايريل ديورانت: المرجع السابق، ص 332.

(2) سفر الملوك الأول: 1: 42-52.

(3) سفر الملوك الأول: 2: 3-29.

(4) محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، المرجع السابق، ج2، ص 675.

وبعد استتباب الأمور والتخلص من العاصين اتجه سليمان إلى تدعيم عرشه من الداخل، وقام بتقوية دعائم الحكومة، وتجميل العاصمة، وإقامة الحصون وترميم القديم منها، كما وضع حاميات في المواقع ذات الأهمية الإستراتيجية ليرهب بها الثائرين والغارين[1].

لقد استفاد سليمان من الحوادث والأخطاء التي عرفها داود خاصة في أواخر أيامه، لذلك حاول القضاء على طموح العشائر والقبائل التي كانت تبحث عن الحكم الديمقراطي الذي يضمن للشعب إبداء رأيه فيما يتخذه الملك من قرارات. وقد أدرك سليمان أن ذلك كان من المشاكل التي سببت لوالده المتاعب، لذلك أراد سد الطريق من بداية حكمه أمام هذه الرغبة التي تتعارض كثيرا مع رغبته في الحكم المطلق[2].

ويبدو أن سليمان حسب ما تذكره التوراة يكون قد طبق (سياسة فرق تسد) بين القبائل منعا لقيام أي تحالف بينها قد يشكل خطرا على مملكته، فلذلك فقد أراد أن يلهيها عن الانتباه إلى ما كان يرتكبه من أعمال قد تكون مخالفة للشريعة في نظر العبرانيين.

لذلك قسم المملكة إلى اثني عشرة محافظة جعل على رأس كل منها محافظا يقوم بجمع الضرائب، وكل محافظة تقوم بإعالة الملك وحاشيته وجيشه وخيله[3] لمدة شهر لأنه كان في حاجة إلى تزويد الجنود والخيول بالمؤن والعلف، إضافة إلى متطلبات القصر التي تزايدت أكثر بكثير عما كانت عليه في عهد شاؤول.

وقد أراد سليمان من وراء هذا التقسيم الإقليمي الجديد لحدود القبائل إضعاف النزعة الانفصالية بين القبائل وأن يؤلف منهم شعبا واحدا، لكنه أفلس في هذا وأفلست معه البلاد[4].

ووضع سليمان على كل منطقة من المناطق الجديدة "مشرفا" أو "وكيلا" يقوم بتوزيع المسؤولية الخاصة بالمؤونة بين الملاك المختلفين ويراقب وصولها في الوقت المحدد ويجمعها ثم يسلمها في

---

[1] محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، المرجع السابق، ج2، ص 672.

[2] نصر شمالي: المرجع السابق، ص 51.

[3] يقال أن سليمان قد ورث عن والده خيلا كثيرة، وقد دعا يوما إلى عرضها أمامه ليعرفها بأسمائها وأنسابها... تأخذ في عرضها حين صلى الظهر، فمر به وقت العصر وهو يعرضها... فشغلته عن الصلاة حتى غابت الشمس وتوارت بالحجاب ثم أنتبه وذكر ا واستغفر وقال لا خير في مال يشغل عن الصلاة... وقد عرضت منها تسعمائة وبقيت مائة... فقال هذه المائة أحب إلى من التسعمائة التي فتنتني عن ذكر ربي. أنظر: ابن الكلبي (هشام بن محمد السائب): أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخباره، تح: أحمد زكي: الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1384هـ-1965م، ص ص 12-13.

[4] ول وايريل ديورانت: المرجع السابق، ص 334.

أورشليم في الشهر المعين، وكان على رأس هذا النظام موظفا أعلى كان يسمى "رئيس الوكلاء" ظهرت وظيفته لأول مرة في عهد سليمان[1].

ويعتقد أن المدن الكنعانية التي كانت قد احتفظت باستقلالها حتى ذلك الوقت مثل "دور ومجدو وتعناك وبيت شان" ضمت إلى مملكة إسرائيل، وأعفى سليمان قبيلة يهوذا الملكية من الواجبات المفروضة على غيرها، وهذا ما يفسر الكراهية المتنامية لدى قبائل الشمال ضد سليمان، والتي اندلعت في شكل تمرد عندما فرضت السخرة على رجال إسرائيل لتحصين العاصمة لكن سليمان استطاع إخماد هذا التمرد وأجبر زعيمه "يربعام" على الهروب إلى مصر[2].

فمن المستبعد أن يقبل سليمان على عمل كهذا وهو ترك قبيلة يهوذا دون أي التزام مالي خلاف القبائل الأخرى خاصة وأن سليمان كان معروفا بحكمته وحنكته وبعد نظره، فإن مثل هذا التصرف كان سيثير عليه باقي القبائل الأخرى.

2- **سياسته الخارجية:** يختلف سليمان عن والده داود في ميله إلى السلم فلم يكن رجل حرب كوالده، ولذلك كان يحاول دوما الابتعاد عن الحروب التي لم تكن له الخبرة الكافية بها، ولا بحياة المعسكرات، فكان بحق رجل سلم يميل إلى حل المشاكل التي تصادفه بالطرق الدبلوماسية بدلا من استخدام القوة والعنف[3].

ومع ذلك فقد كان مؤمنا بأن بقاء مملكته وفرض وجودها والمحافظة على الأراضي التي ورثها عن والده بحدودها الممتدة من آدوم إلى مؤاب وعمون، وأرام دمشق بل إلى حماة، فكل ذلك كان يحتم عليه تكوين جيش قوي متطور يكون قادرا على فرض النظام والاستقرار داخليا، وحماية المملكة من الأطماع والأخطار الخارجية[4].

قد أدرك سليمان استحالة تحقيق ذلك إلا بتحسين علاقاته مع الممالك المجاورة، فمملكته الصغيرة لا يمكنها أن تعيش بأمان في المنطقة إلا في ظل التفاهم والعلاقات الحسنة مع جيرانها، ولا أدل على ذلك من علاقة الصداقة التي كانت تربط والده مع "حيرام" الملك الفينيقي والتي تعمقت في

---

(1) سفر الملوك الأول: 4: 7-8.

(2) محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، المرجع السابق، ج2، ص 678.

(3) Mireille Hadas- Lebel : Salomon, roi de légende, Edition du seuil, 1998, P 7.

(4) ومما يذكر لسليمان على بعد نظره وسعة عقله ما جاء في التوراة عن المرأتين اللتين تخاصمتا في ولد صغير حيث تدعي كل واحدة منهما أنه ولدهما، فقال سليمان ائتوني بسيف، ثم قال: اشطروا الولد شطرين وأعطوا لكل امرأة شطره، فصرخت إحداهما وقال: لا يا سيدي أعطوها الولد ولا تشطروه بينما وافقت الأخرى على ذلك، وأمر بإعطاء الولد إلى المرأة التي صرخت بعدم شطره فهي أمه الحقيقية. أنظر: سفر الملوك الأول: 3: 16-28.

عهده أكثر، فأصبح من أقرب المقربين إليه، وقد أثمرت هذه العلاقة الطيبة الكثير من المساعدات التي قدمها "حيرام" لسليمان في الميادين التي لم يكن للعبرانيين خبرة بها كالعمران والتجارة والأسطول البحري[1].

وبشكل عام فقد أقام سليمان تحالفات مع الدول المجاورة من بينها الحلف الذي عقده أبوه مع الفينيقيين والذي تعمق أكثر في عهده بالإضافة إلى التحالفات التي عقدها هو مع الدويلات المجاورة.

ويبدو أن حالة الاستقرار والسلام الذي نعمت به مملكته لا تعود فقط إلى تحالفاته بل إلى حالة الفراغ السياسي الذي عاشته المنطقة في تلك الفترة التاريخية أيضا نتيجة انكماش القوى العظمى في المنطقة أو غيابها لسبب أو لآخر[2].

لذلك ينبغي أن ندرك أن عظمة مملكته واتساعها حسب ما ورد في التوراة أمر مبالغ فيه ءفهي تذكر أن مملكته امتدت "**من الفرات إلى أرض الفلسطينيين وحدود مصر، وكان ملوك هذه المناطق يحملون إليه الهدايا خاضعين له كل أيام حياته**"[3].

وهناك من المؤرخين من يشكك في ذلك أمثال المؤرخ نصر شمالي الذي يرى "أن مملكة سليمان بقيت مجرد مملكة عابرة تفتقر إلى معظم إن لم نقل جميع شروط الاستقرار والثبات والديمومة"[4]، بل كم من مرة ضيق المنفذ على المملكة فلم تجد لها مخرجا إلا بالانضمام إلى أحد الطرفين في الصراع الدائر بين الإمبراطوريات الكبرى في المنطقة مصر وآشور[5].

والمتفق عليه أن المملكة التي ورثها سليمان عن أبيه كانت أكبر بكثير من المملكة التي أورثها سليمان لأبنائه، رغم محاولات التفاهم مع جيرانه ومحاولات كسب ودهم عن طريق المصاهرة مما يدل على أنه فقد الكثير من الأراضي، وقد تزوج بنات أمراء العمونيين والمؤابيين والآراميين والكنعانيين والحيثيين[6].

---

[1] سفر الملوك الأول: 5: 15-16.

[2] عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ص 1951.

[3] سفر الملوك الأول: 5: 1.

[4] المرجع السابق، ص 92.

[5] أشور: من ممالك آسيا القديمة كانت محصورة بين أرمينيا شمالا وجزيرة ابن عمرو غربا ومملكة ميديا شرقا ومملكة بابل جنوبا، ومحلها الآن بلاد الكرد أو الأكراد، كان أكبر أنهارها نهر دجلة ءوأشهر مدنها "نينوي". أنظر: محمد فريد وجدي، المرجع السابق، ج$_1$، ص 381.

[6] سفر الملوك الأول: 11: 1-2.

وقد تكون الظروف التي كانت تمر بها مصر قد ساعدت سليمان على مصاهرة فرعونها فتذكر التوراة أنه تزوج ابنته لتنضم إلى باقي زوجاته اللائي بلغن حوالي سبعمائة زوجة وثلاثمائة سرية، بل أن فرعون مصر "**قد صعد وأخذ جازر[1] وأحرقها بالنار وقتل الكنعانيين الساكنين في المدينة وأعطاها مهرا لابنته امرأة سليمان**"[2].

ويشكك أغلب المؤرخين وهذا هو الأرجح فيما ذهبت إليه التوراة لأن ذلك يعتبر عملا منافيا لما عرف عن الفراعنة من رفضهم لتزويج بناتهم خارج حدود بلادهم[3] ويبقى الأمر الأكثر إثارة للجدل بين الباحثين هو من هو الفرعون المقصود والمعاصر لعهد سليمان؟ فهناك من يقترح أن الملك "سترامون"[4] وهناك من ذهب إلى أن الفرعون المقصود هو "بسوسنس الثاني"[5] آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين (1087-945ق.م) وفريق ثالث رأى أن صهر سليمان إنما كان "شيشنق الأول" (945-730ق.م) مؤسس الأسرة الثانية والعشرين[6].

وفي أيام عظمة أمنحوتب الثالث كما تشهد بذلك رسائل تل العمارنة، كان من الجائز أن يتنازل فرعون فيقبل في حريمه أميرة بابلية، لكنه كان لا يقبل بتاتا السماح لأميرة مصرية ولما لها من قداسة أن تصبح زوجة لعاهل بابلي، فكيف يقبل بعد مضي ثلاثة قرون، أن يتزوج ملكا صغيرا كسليمان من أميرة مصرية، وهذا ما يرجح أن مصر كانت في حالة انحطاط إذا كان هذا الأمر قد حدث أصلا[7].

وذهب بعض المؤرخين إلى أن سليمان هو الذي أعطى الملك الفرعوني حصن جازر الكنعاني كمهر لابنة فرعون وليس كما تذكر التوراة[8]، وهذا هو الأقرب إلى الواقع وإلى ما كان مألوفا في مجتمعات الشرق الأدنى القديم من أن الزوج هو الذي يقدم المهر لعروسه وليس العكس.

---

(1) جازر: ويطلق عليها أيضا جيزر وهي مدينة قريبة من القدس، وقد كانت قلعة كنعانية قديمة ومن أهم المراكز التجارية في الشرق الأدنى القديم. أنظر: محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، المرجع السابق، ج2، ص 680.

(2) سفر الملوك الأول: 9: 16.

(3) أبراهام مالمات: المرجع السابق، ص 217.

(4) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص 389.

(5) محمد أبو المحاسن عصفور: المرجع السابق، ص 105.

(6) شيشنق الأول: من الليبيين الذين استقروا بمصر في عهد الدولة الحديثة، استولى على العرش بعد وفاة آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين وانقراض ذريته، والمرجح أنه زوج ولده من ابنة هذا الملك فاكتسب بذلك شيئا من الحق في اعتلاء العرش بعد وفاة صهره. أنظر: محمد أبو المحاسن عصفور: المرجع السابق، ص ص 205-206.

(7) هـ.ج. ولز: المرجع السابق، ص 293.

(8) حلمي محروس إسماعيل: المرجع السابق، ص 176.

وتفسر التوراة إكثار سليمان الزواج أنه كان لأسباب تتصل بالدولة وأبهة الملك، وقد كان يرفه عن زوجاته الكثيرات بتقديم الضحايا لآلهتهم القومية، فهو يقدم القربان لربة صيدا "عشتارت" و"كموش" الإله المؤابي "ومولك" وغيرهم[1].

ومن أمثلة ذلك القصة التي ذكرها ابن الأثير[2] والتي تتلخص في أن سليمان سمع بوجود ملك عظيم في أحد جزر البحر فقرر محاربته، وحملت الرياح سليمان وجنده إلى الجزيرة ثم قتل ملكها وغنم بنت الملك الفائقة الجمال التي أسلمت، لكنها كانت دائمة الحزن والبكاء على أبيها ، فاقترحت عليه أن يكلف أحد شياطينه ليصور لها صورة أبيها لتراه بكرة وعشية، وبالفعل صنع لها تمثالا لا يختلف عن صورة أبيها، كانت تذهب إليه بصحبة جواريها ليسجدن للصنم كل يوم ولمدة أربعين يوما دون علم سليمان، الذي غضب وكسر الصنم بعد علمه وعاقب زوجته وجواريها، ولكي يغتسل من أثر الذنب أمر بثياب الطهارة فلبسها وخرج إلى الصحراء وفرش الرماد وبكى واستغفر ربه كثيرا حتى تلقى المغفرة.

ويبدو أن هذه القصة ما هي إلا تحريف لأصل القصة التوراتية والتي تذهب إلى أن سليمان في أواخر حياته قد مال قلبه بسبب الخسارة إلى آلهة أخر غير "يهوه" الذي غضب عليه وتراءى له في المنام مرتين، لكن سليمان لم يكف عن ذلك فقرر الرب أن سلط اللعنة على مملكة سليمان فيدمرها بعد مماته إلى مملكتين[3].

ويذهب البعض الآخر إلى أن هناك تشابها بين قصة سليمان وحياة الفرعون المصري "أمنحوتب الثالث"[4] من ناحية تعدد الزيجات وتعدد الاعتقادات وأعمال البناء بسبب السلام الذي ساد عصره، فشيد المعابد والقصور والمدن المحصنة وكان لوجود عدد كبير من أسرى الحرب آنذاك أثر فعال في زيادة القوى العاملة[5].

والراجح أن المؤرخ التوراتي الذي اختار القرن العاشر قبل الميلاد إطارا زمنيا لسليمان لم يع أن هذا القرن قد شهد تدفقا للمد الآشوري العسكري باتجاه بلاد الشام لدرجة أن الممالك الآرامية القوية

---

(1) هـ.ج. ولز: المرجع السابق، ص 293.

(2) هـ.ج. ولز: المصدر نفسه، ص ص 133-134.

(3) خالد السيد: البحث عن مملكة سليمان.
http://www.annaqed.com/ar/centent/show.aspx?aid=15603.

(4) أمنحوتب الثالث: كان تاسع ملوك الأسرة الثامنة عشر والذي حكم نحو 39 عاما عند بداية القرن 14ق.م. أنظر: محمد أبو المحاسن عصفور: المرجع السابق، ص ص 173-174.

(5) أسامة محمد أبو نحل: فترة حكم سليمان عليه السلام
File://c:\vsers\public\documents\تاريخاليهود\داودعليهالسلام.htm

لم تستطع الصمود أمام العاصفة الأشورية كما أن السجلات الأشورية التاريخية أعطت معلومات تفصيلية لكل الممالك والدول المجاورة دون أن تشير ولو بالتلميح لوجود مملكة سليمان[1]، بل إن الوثائق المصرية نفسها ذات الصلة بالقرن العاشر ق.م لا تورد هي الأخرى أي معلومات تذكر حول المملكة العبرانية.

كما أن هذا الطرح تؤيده بعض المؤلفات الأخيرة من بينها كتاب "الكشف عن الكتاب المقدس" وما جاء به باحثين يهوديين هما نيل آشر سلبرمان وإسرائيل فنكليستاين في مقارنة بين داود في القصص التوراتي من أحداث وبين ما عثر عليه رجال الآثار من أدلة خلال القرن الماضي حيث توصلا إلى حقيقة إنكار وجود مملكة داود وسليمان التوراتية[2].

ومهما يكن من اختلاف الآراء فإن الحقيقة المؤكدة التي لا يمكن إنكارها هو وجود هذه المملكة التي عرفت أقصى تطورها وازدهارها في عهد كل من داود وسليمان وقد ذكر القرآن الكريم وهو أصدق المصادر عظمة مملكة سليمان في الكثير من الآيات، منها قوله تعالى: ﴿ حتى إِذَا أتوا علَى واد النمل قَالَت نملَةٌ يا أَيها النملُ ادخلُوا مساكنكُم لاَ يحطمنكُم سلَيمانُ وجنوده وهم لاَ يشعرونَ، فَتبسم ضاحكاً من قَولها وقَالَ رب أَوزِعنِي أَنْ أَشكُر نِعمتك الَّتي أَنعمت علَي وعلَى والدي وأَنْ أَعملَ صالحاً ترضاه وأَدخلْنِي بِرحمتك في عبادك الصالحين ﴾[3].

وهذا ما يدل على قوة وعظمة سليمان وجنده وكثرة خيله فخافت النمل أن تحطها الخيول بحوافرها، وقد خصه ا بنعم كثيرة فسخر له الجن والإنس والطير[4] ﴿ وحشر لسلَيمانَ جنوده من الجِن والإِنسِ والطيرِ فَهم يوزعونَ ﴾[5].

ثالثا. النشاط التجاري: علم سليمان شعبه الكثير من القيم، وكما علمهم فضل القانون والنظام، أقنعهم بنبذ الشقاق والحرب والالتفات إلى الصناعة والتجارة باعتبارهما من أهم ركائز التطور في ظل السلم والأمان الذي عم المملكة[6]، فلذلك أولى سليمان التجارة كل اهتماماته، وحاول تنشيطها بمختلف الوسائل والطرق حتى أنه كان يلقب "بالملك التاجر".

---

(1) أسامة محمد أبو نحل: المرجع السابق.

(2) أحمد عثمان: علماء الآثار الإسرائيليون ينكرون مملكة داود وسليمان التوراتية http://www.aawsat.com/details.asp?section=20&articles=99315&issue=8545.

(3) سورة النمل: الآية 18-19.

(4) ابن كثير: تفسير القرآن، المرجع السابق، ج3، ص ص 476-477.

(5) سورة النمل: الآية 17.

(6) ول وايريل ديورانت: المرجع السابق، ص 332.

وقد يعود اهتمامه البالغ بالتجارة إلى ظروف المملكة السياسية والاقتصادية إضافة إلى الموقع الوسط الذي كانت تحتله بين الممالك المجاورة حيث كانت تعد همزة وصل بين مصر وبلاد الرافدين وبين الفينيقيين وجزيرة العرب، كما أن حداثة تكوينها ونقص خبرتها وقلة مواردها الطبيعية في ميدان الصناعة جعلها تبحث عن مورد آخر غير الزراعة يضمن لها استمرار تدفق الأموال لتغطية النفقات المتزايدة للمملكة في ظل حياة البذخ التي كان يعيشها سليمان وحاشيته.

وقد أدرك سليمان بحكمته أن نجاح نشاطه التجاري يتطلب السيطرة على الطرق التجارية في كل من سوريا وأرض كنعان فلذلك احتكر الطرق التي كانت تمر عبر أراضي "أرامي دمشق" وأراضي الأدوميين[1]، ولم يكتف بذلك بل توسعت سيطرته لتشمل الطرق التجارية الرئيسية التي كانت تربط أرام النهرين وسوريا مع مصر، وبذلك استطاع الحصول على امتيازات سياسية وتجارية كثيرة[2].

والواضح أن طموح سليمان لم يتوقف عند هذا الحد بل أراد التوسع جنوبا لتشمل سيطرته طرق القوافل العربية التي كانت تحتل الصدارة في تجارة البخور والعطارة المتعددة الاستعمال والتي كانت تعد آنذاك من أهم وسائل الرفاهية، كما أن هذا التوسع التجاري الهام كان يتطلب وجود مراكز تجارية تتحكم في هذه الطرق التي كانت تمر عبر مملكة سليمان، فكان لابد أن يفكر سليمان في إقامة مراكز تجارية تنتشر عبر تلك الطرق فكما كان لزاما عليه العمل على تحصينها لضمان أمنها وسلامتها.

وقد استغل سليمان علاقاته الطيبة مع الدول المجاورة من ناحية ومهارته السياسية من ناحية أخرى في ضمان أمن حدود مملكته، وقد كانت حدوده الجنوبية آمنة بفضل علاقاته الطيبة مع مصر، كما أن "حيرام" ملك صور وأقوى الأمراء الفينيقيين[3] لعب دورا هاما في حماية مواصلات سليمان التجارية مع المدن الفينيقية الأخرى، فكانت القوافل التجارية تجوب باستمرار أراضي الرافدين حتى مصر ومن فينيقيا إلى الجزيرة العربية في أمان وسلام، وبذلك يكون سليمان قد وفق في احتكار مصدر آخر للثروة ساهم في ازدهار مملكته[4].

وقد تنبه سليمان إلى أن إمكانيات مملكته التجارية محدودة حيث لم يكن التاجر العبراني يملك سلعا أو إنتاجا متنوعا يخصص للتصدير يمكن أن تقوم عليها تجارة ناجحة، لكن موقع مملكته بمكنها

---

(1) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ج2، ص 684.

(2) أبراهام مالمات: المرجع السابق، ص 217.

(3) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ج2، ص 684.

(4) محمد بيومي مهران: المرجع نفسه، ص 685.

من التصرف كوسيط تجاري ناجح في المنطقة ودور الوساطة كان يتطلب توفر وسائل وإمكانيات تعمل على تنشيطها، فلذلك سخر سليمان العربات العسكرية وجعلها في خدمة التجارة في حالة عدم استخدامها في الدفاع عن حدود المملكة، أو في أوقات السلم التي كانت الغالبة في عهد سليمان[1].

وحسب ما جاء في التوراة فإن مصر كانت هي المصدر الرئيسي لتمويل سليمان بالمركبات والخيل التي كان مولعا بها[2]، وكان صناع المركبات المصريين على درجة عالية من المهارة في صناعة المركبات الخاصة بالصيد والحرب وقد ورد في التوراة ما يؤكد ذلك "**وكان تجار سليمان يستوردون الخيل من كيليكتية[3] والمركبات من مصر ويصدرونها لملوك الحثيين والآراميين وكانت المركبة بستمائة قطعة من الفضة والفرس بمئة وخمسين**"[4].

ومن خلال هذا النص يتضح لنا أن سليمان كان يستبقي بعض المركبات والخيل لنفسه بدليل ما كان يملكه من الخيل ثم يبيع الباقي إلى ملوك الحثيين والآراميين.

وكان سليمان من أشد المولعين بتربية الخيول، التي ترجح أغلب المصادر حصوله عليها من مصر حيث كان ملوكها أيضا مولعين بها لاسيما في عهد الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة[5] وكانوا حريصين على المحافظة على سلالة خيلهم وبذلك فإن ثمن الفرس يزداد كلما كان التحقق من أصلها أكثر[6].

ونظرا لعلاقات سليمان الطيبة والودية مع مصر، فالراجح أنها كانت هي مصدر حصوله على الخيل، التي أقام حضائر لتربيتها في مناطق مختلفة من مملكته إشباعا لهوايته في الاهتمام بالخيول وولعه الشديد بها حسب ما اتفقت عليه أغلب المصادر.

---

(1) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ج2، ص 684.

(2) G. Maspero : Histoire ancienne des peuples de l’orient, troisième éditions : Hachette, Paris, 1921, P 392.

(3) لقد ورد ذكر مصدر آخر للخيول هو "Koo" وهو اسم لدولة في "شيليسيا" التي كانت تقع بين جبال طوروس والبحر المتوسط، وكانت تشتهر بتربية الخيول. أنظر: محمد بيومي مهران: المرجع نفسه، ص 684.

(4) سفر الملوك الأول: 10: 82-89.

(5) تأسست الدولة الثامنة عشرة حوالي 1700ق.م وقد حكمت البلاد بعد طرد الهكوس منها وقد بلغت البلاد أيامها درجة من القوة والمجد لم تبلغها من قبل وأهم ملوكها تقدمس الثالث، وأما الأسرة التاسعة عشرة فقد تولت الحكم حوالي 1350ق.م بلغت هي الأخرى في عهدها أعلى ازدهارها وأول ملوكها رمسيس الأول. أنظر: هارفي بورتر: المرجع السابق، ص ص 22-23؛ ول وايريل ديورانت: المرجع السابق، ص 16.

(6) يوسف الدبس: تاريخ الشعوب المشرقية في الدين والسياسة والاجتماع، ج2، ط1، دار نظير عبود، 2000، ص 322.

وقد عثرت البعثة الأمريكية في "مجدو"[1] على أجزاء من إسطبلات الخيول، وكانت تلك الإسطبلات تنتظم حول فناء دائري من الحجر الجيري ووسط كل إسطبل ممر عرضه عشرة أقدام مرصوف بصخور خشبية حتى تحول دون انزلاق الخيل، ومازال أغلب هذه الإسطبلات يحتفظ بمعالف طعام الخيل، وأجزاء من معدات السقي، وكان كل إسطبل يتسع لحوالي أربعمائة وخمسين حصانا وبكل حظيرة مائة وخمسون عربة[2] وقد اكتشفت نظائر لهذه الإسطبلات في بيت شان وحاصور[3]، والملفت للنظر هو عدم اتفاق الباحثين على تحديد التاريخ الذي تعود إليه تلك الإسطبلات لكن أغلبهم يرجعها إلى الفترة الممتدة من (960-922ق.م) وهي الفترة المعاصرة لحكم سليمان[4].

وما يؤكد ذلك هو اتفاق الكتب السماوية في سرد روايات حول ولع سليمان بتربية الخيول، واهتمامه بها مما يرجح ربط تلك الإسطبلات بفترة سليمان، وخاصة وكما عرفنا أن فترته كانت فترة سلم وأمن واستقرار وهذا الذي لم ينعم به من جاء من بعده لما عرفته المملكة من انقسام وتفرقة، لكن الشيء المثير للشك حسب رأيي هو المبالغة الكبيرة في عدد تلك الخيول التي بالغت التوراة في عدها وليس هذا بالجديد فقد عودنا الكاتب التوراتي على المبالغة الشديدة.

وبعد النجاح الذي حققته التجارة البرية بدأ سليمان يتجه بنشاطه التجاري نحو البحر، لكن العبرانيين لم تكن لديهم الخبرة الكافية بركوب البحار والملاحة فيها، ولا ببناء السفن، لذلك استغل تحالفه مع "حيرام" ملك صور وعلاقة الصداقة التي كانت تربطهما، في الاستعانة بالخبرة الفينيقية في بناء السفن وفي خوض أعماق البحار، وللفينيقيين في ذلك باع طويل[5].

وقد ساعده حيرام في بناء ميناء "عصيون جابر"[6]، واستفاد حيرام من ذلك حيث أصبح يستخدم كل مملكة سليمان طريقا عاما يسلكه لينفذ بوساطته إلى البحر الأحمر، ولهذا أصبح ميناء عصيون جابر منفذا لكلا المملكتين إلى البحر الأحمر مملكة سليمان ومملكة حيرام[7].

---

(1) مجدو: هي تل المتسلم الحالية وتقع غرب بحيرة طبرة على بعد حوالي عشرين ميلا جنوبي شرق حيفا وفي الطرف الجنوبي من سلسلة الجبال يجبل الكرمل في الشمال. أنظر: محمد مهران بيومي: المرجع السابق، ج2، ص 688.

(2) أسامة محمد أبو نحل: المرجع السابق، ص 3؛ عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص 388.

(3) حاصور: مدينة تقع على بعد حوالي خمسة عشر كيلومتر جنوب غربي بحيرة الحولة وتسمى الآن "تل قرح". أنظر: محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ج2، ص 726.

(4) يوسف الدبس: المرجع السابق، ص 323.

(5) هـ.ج. ولز: المرجع السابق، ص 292؛ أحمد سوسة: العرب واليهود، المرجع السابق، ص 627.

(6) عصيون جابر: هي الآن مدينة إيلات على خليج العقبة. أنظر: أندريه : تاريخ الحضارات العام (الشرق واليونان القديمة)، تر: فريد م.داغر فؤاد، أبو ريحان، مج1، 1964، ص 217.

(7) هـ.ج. ولز: المرجع السابق، ص 292.

وقد ورد في التوراة ما يؤكد ذلك "**وبنى الملك سليمان سفنا في عصيون جابر التي بجانب أيلة عند شاطئ البحر الأحمر في أرض أدوم، فأرسل حيرام ملاحين عارفين بشؤون البحر ليعملوا في السفن مع رجال سليمان فجاءوا إلى أوفير وأخذوا من هناك أربعة وستين قنطارا من الذهب ورجعوا بها إلى الملك سليمان**"[(1)].

ومن هذا النص نستنتج الدور الكبير الذي لعبته الخبرة الفينيقية في إنشاء أسطول سليمان البحري، وذلك بفضل الملاحين الذين أرسلهم حيرام لهذا الغرض، وقد اكتشفت في "تل الخليفة" أدوات أغلب الظن أنها كانت تستخدم في بناء السفن كالمسامير المصنوعة من الحديد أو النحاس الممزوج بالحديد وقطع من حبال غليظة وكذلك الصمغ، ويعتقد أن الخشب الضروري الذي كان يستعمل لإتمام العملية كان يقتطع من غابات البلوط الموجودة في أدوم[(2)].

فتذكر التوراة أيضا أن أسطول حيرام كان يبحر مع أسطول سليمان إلى "أوفير"[(3)] للحصول على الذهب والأخشاب النادرة والأحجار النفيسة وكل ما هو نادر وغريب.

وكان سليمان يستورد الذهب وخشب الصند والحجارة الكريمة من بلاد العرب، بل من الجزء الجنوبي الغربي منها، ويعتقد أن ذلك قد حدث بعد اتصال سليمان بملكة سبأ حيث كانت تحتكر طريق التجارة عبر الصحراء بما كانت تفرضه من أجور ومكوس على القوافل التجارية المارة بالمنطقة، كما كان يستورد أيضا الفضة والعاج والقرود والطواويس، والمرجح أن هذه السلع كانت تستورد إما من إفريقيا الغربية أو الهند[(4)]، حيث كانت تنتشر بكثرة.

وهناك من شكك في أن بلاد العرب وحدها لم يكن باستطاعتها أن تفي بالكميات المطلوبة من الذهب التي كانت تصل إلى سليمان حيث كان يحتاج للكثير منه لأنه كان يستخدمه في تزيين الهيكل والقصر، وهذا ما يفتح الباب أمام احتمالات أخرى بوجود مصادر أخرى للذهب زيادة على بلاد العرب.

وعليه فإنني أرى أن انتعاش التجارة وازدهارها في عهد سليمان يعود إلى عدة عوامل من بينها الموقع الإستراتيجي الذي كانت تحتله أرض كنعان الذي سهل عليها لعب دور الوسيط بين الشرق

---

(1) سفر الملوك الأول: 9: 26-28.

(2) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ج$_2$، ص 704.

(3) أوفير: اختلف في تحديد مكانها فذهب بعضهم إلى أنها كانت تقع في بلاد العرب، وقال غيرهم بأنها كانت بإفريقيا الشرقية بينما ذهب فريق ثالث إلى أنها كانت بجزيرة سيلان أو أنها من الهند وغيرها. أنظر: يوسف الدبس: المرجع السابق، ص 119.

(4) سفر الملوك الأول: 10: 11-12.

والغرب وبين الشمال والجنوب، إضافة إلى شخصية سليمان وحكمته وحنكته السياسية وطموحه الذي أوصل العبرانيين لعرض البحار، إضافة إلى حالة السلم والاستقرار التي كان يعيشها العبرانيون في تلك المرحلة من تاريخهم.

رابعا. العمران في عهد سليمان: تجمع الكتب السماوية على أن سليمان كان يتميز بجملة من الخصائص والمعجزات التي تميزه عن غيره وحتى عن والده داود، بفضل ذكائه، وبعد نظره وسعة عقله استطاع أن ينشر السلم والأمان والاستقرار في مملكته واستغل ذلك في نشر التقدم والازدهار الذي شمل مختلف المجالات، فإلى جانب اهتمامه بالصناعة والتجارة، اهتم أيضا بالعمران وأولاه عناية كبيرة، فكان من أكبر البنائين المشهورين في عصره.

ونسبت إليه الروايات التي وصلتنا الكثير من المباني في منطقة الشرق الأدنى القديم، حتى أن بعض تلك المباني كانت بعيدة عن منطقة نفوذه، وقد اتفقت أغلب المصادر العربية واليهودية في ذلك إلى درجة أن الناس إذا رأوا بناء عجيبا جهلوا بانيه أضافوه إلى سليمان وإلى جن سليمان[1].

وقد سخر ا الجن لسليمان عليه السلام لتعمل بين يديه بإذن ربه، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وحشر لسليمانَ جنوده من الجِن والإِنسِ والطيرِ فَهم يوزعونَ ﴾[2] أي أن الجن كانت مسخرة لسليمان تعمل له البناء الحسن من مساجد وقصور للأنبياء والعلماء، كانت تصور في المساجد ليراها الناس فيزدادون عبادة واجتهادا، إضافة إلى القصاع أو الجفان التي يوضع فيها الطعام والجوابي والقدور العظيمة الراسيات فقيل بأنها كانت قدورا ضخمة من النحاس، كانت ثابتة لا تحمل وقيل أنها كانت تنحت من الجبال[3].

إذن فسليمان[4] الذي سخرت له كل هذه الإمكانيات فليس غريبا أن يترك وراءه مباني عظيمة ومدنا كثيرة ذات اختصاصات مختلفة، فمنها "مدن المركبات" و"مدن الفرسان" وقد يكون المقصود بها الثكنات العسكرية المخصصة للمركبات الحربية، كما أقام "مدن المخازن" التي كانت على ما يبدو مخصصة للمؤن والعلف التي تحتاج إليها المعسكرات والمحطات التي بناها على الطرق التجارية[5].

---

(1) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج$_2$، ص 19.

(2) سورة سبأ: الآية 12-13.

(3) ابن كثير: تفسير القرآن، المصدر السابق، ج، ص ص 697-698؛ محمد الطيب النجار: المرجع السابق، ص ص 256-257.

(4) سفر أخبار الأيام الثاني: 8: 4.

(5) قال رسول ا صلى ا عليه وسلم "كان نقش خاتم سليمان بن داود لا إله إلا ا محمد رسول ا " وقال أيضا: "كان فص سليمان بن داود سمويا فألقى إليه فوضعه في خاتمه أنا لا إله إلا ا محمد عبدي ورسولي". أنظر: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة صلى ا عليه وسلم، تح: محمد السعيد بن بسيوني زغلول: ط$_1$، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ-1985م، ص 51.

وقد دلت الآثار المكتشفة في العصر الحديث على حركة العمران النشطة التي ميزت عصر سليمان بطراز جديد استخدمت فيه الأحجار المنحوتة والتيجان لتزيين المباني في المدن، كما تم تحصين تلك المدن بإقامة أسوار تحيط بها ولها بوابة ذات طراز مميز وهذا أسلوب معماري فريد، وهذا ما تم الكشف عنه في مدن مجدو، جازر، حاصور[1].

وقد تم الكشف عن بعض بقايا مباني سليمان في مدينة "حاصور"[2] وفي "عصيون جابر"، وتذكر التوراة في هذا الصدد أن سليمان قد بنى "**جازر وبيت حورن السفلى وبعلة وتدمر في البرية في الأرض**"[3]، وعليه فإن المدن التي بناها سليمان حسب ما جاء في التوراة كثيرة غير أن مدينة تدمر هي التي أثارت الشك عند أغلب الكتاب لكونها بعيدة عن منطقة نفوذ سليمان، مما يرجح أنها أقحمت من طرف كتاب التوراة لبيان قدرات سليمان ومعجزاته أو لبيان أن العبرانيين فضل في بناء هذه المدينة العريقة.

1- الهيكل: هي كلمة يقابلها في العبرية "بيت همقداش" أي "بيت المقدس" أو "هيخال" وهي كلمة تعني "البيت الكبير" في كثير من اللغات السامية، والبيت الكبير كان يعبر عن مسكن الإله، وكان يعرف أيضا عند العبرانيين "ببيت يهوه" وبذلك فهو مسكن للإله، وهو مبنى ومركز العبادة القربانية المركزية، فكان يحج إليه العبرانيون في أعياد الحج الثلاثة: عيد الفصح، وعيد الأسابيع، وعيد المظال[4].

وكان الهيكل يحتل مكانة خاصة في الوجدان العبراني فقد كانوا يسمونه "لبنان" لأنه يطهرهم من الخطأ.

ويعتقد العبرانيون أنه يقع في مركز العالم فقد بني في وسط القدس التي تقع في وسط الدنيا، فقدس الأقداس هو سرة العالم لأنه يقع وسط الهيكل، وحجر الأساس يوجد أمامه ويعتقد أنه النقطة التي خلق الإله العالم عندها[5]. والهيكل كنز الإله وهو عنده أثمن من السماوات بل من الأرض التي خلقها بيد واحدة، بينما خلق الهيكل بكلتا يديه، وقد قرر بناء الهيكل حتى قبل خلق الكون نفسه.

---

(1) أبراهام مالمات: المرجع السابق، ص 219.

(2) حاصور: تقع على بعد خمسة كيلومترات جنوب غربي بحيرة الحولة وتسمى الآن "تل قدح". أنظر: محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ج2، ص 726.

(3) سفر الملوك الأول: 9: 15-17.

(4) عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ص 1925.

(5) عبد الوهاب المسيري: المرجع نفسه، ص 1929.

وكما عرفنا سابقا فإن داود كان قد اشترى قطعة من الأرض من أرويا اليبوسي ليبني عليها هيكلا للرب وبدأ في تجهيز المواد اللازمة للبناء، لكن الرب منعه من ذلك، وذلك بسبب قتله لأرويا وقصته مع بتشبع المعروفة، لذلك أوكلت هذه المهمة إلى ابنه سليمان، وكان يسمى "هيكل سليمان" أو "الهيكل الأول"[1].

وحسب ما جاء في التوراة فقد كان هذا الموقع على جبل "الموريا" وقد ذهب البعض إلى أن مكان البناء كان الهضبة الضخمة التي تتوج جبل "موريا"، ويبدو أن "أرويا" اليبوسي قد عرض على داود أن يأخذ المكان دون مقابل، لكن داود رفض واشتراه منه – وكذا البقر – بخمسين شاقلا[2].

كان العبرانيون ما يزالون على بداوتهم لذلك كان الاعتماد على الفينيقيين هو الحل الوحيد[3]، وقد جاءت التوراة بما يؤكد ذلك "**هاأنذا في مذلتي هيأت لبيت الرب، ذهبا مئة ألف وزنة، وفضة ألف ألف وزنة، ونحاسا وحديدا بلا وزن لأنه كثير**"[4]. وقد حشد لذلك عددا كبيرا من العمال منهم نحاسين وبنائين، وكل من كانت له خبرة في صناعة الذهب والفضة والنحاس والحديد[5].

وقد بلغ عدد العمال مائة وثلاثة وخمسين ألفا وستمائة فجعل منهم سبعين ألف حمال، وثمانين ألف قطاع على الجبل، وثلاثة آلاف وستمائة وكلاء لتشغيل الشعب[6]، وعليه نلاحظ هذا العدد الضخم من العمال المخصصين لبناء المعبد مما يجعلنا أمام احتمالين، الاحتمال الأول أن يكون هذا العدد فيه الكثير من المبالغة التي عودنا عليها كتاب التوراة، والثاني هو أن العدد الضخم لم يكن كله مخصص لبناء المعبد وحده، فقد يكون قد شارك في مباني أخرى إلى جانب المعبد كالقصر الملكي، وقصر زوجته ابنة فرعون، وغيرها من الأبنية التي ازدهرت في عهده.

ومما تذكره التوراة في سفر الملوك الأول والأخبار الثاني يستشف الدارس منه تأثير مصر وبلاد الرافدين في الطابع العام للمعبد رغم أنه اعتمد في تشييده على المساعدة والخبرة الفينيقية من بنائين ومعماريين فينيقيين حيث يبرز النظام الفينيقي بكل وضوح وبذلك فإن معبد سليمان كان فينيقي الطراز، وقد بني على نمط المعابد الكنعانية وقيل بأن حتى تسمية "هيكل" مأخوذة من كلمة "هيكل

---

[1] عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ص 1925.

[2] سفر صموئيل الثاني: 24: 16-34.

[3] Eugène Cavaignal : Histoire générale de l'antiquité les belles lettre, Paris, vI, 1946, P 129 ; Hugues Vincent : Canaan, Victor le coffre, Paris, 1907, P 466.

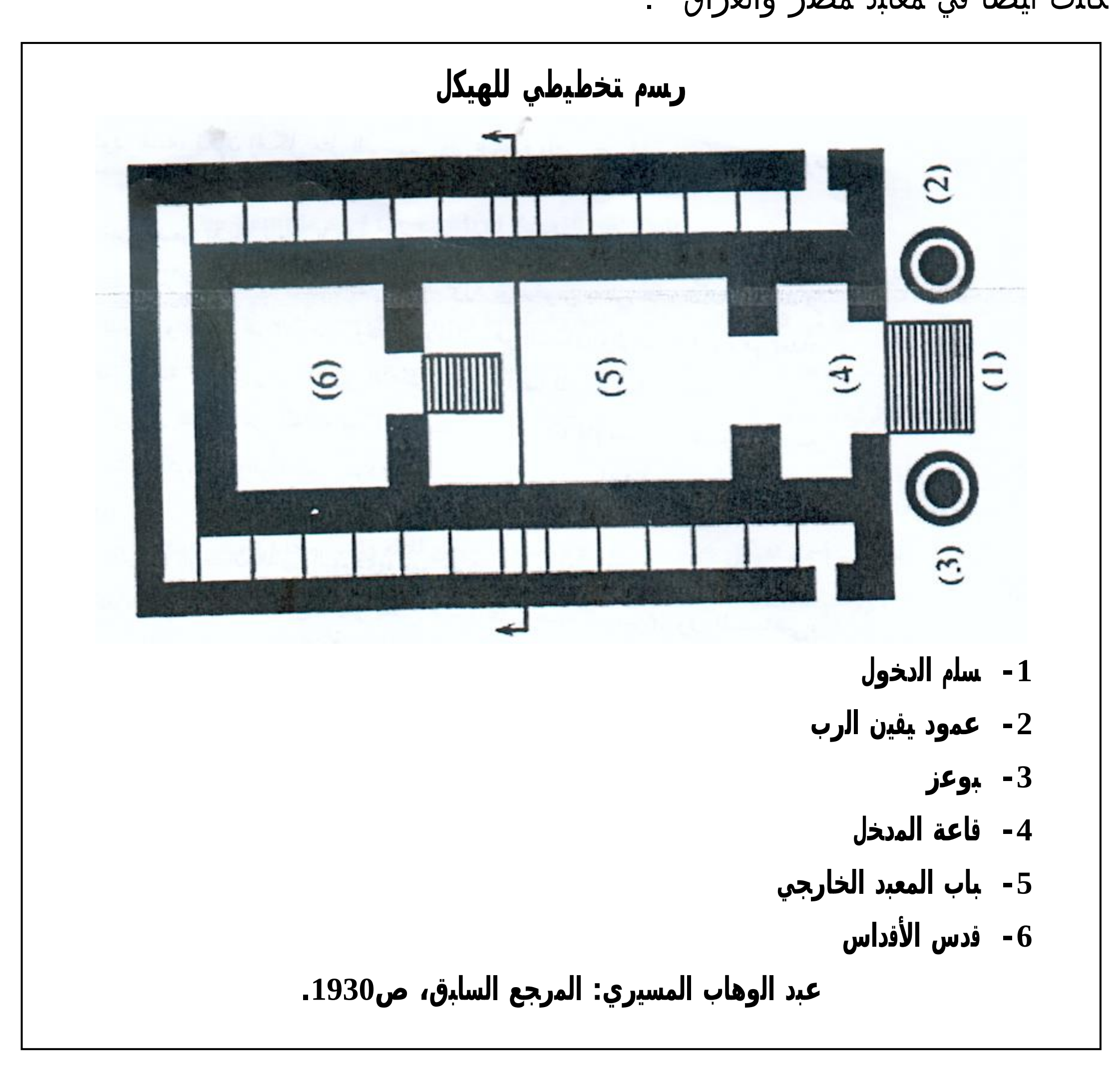
[4] سفر أخبار الأيام الأول: 22: 14-15.

[5] سفر أخبار الأيام الأول: 22: 15-16.

[6] سفر أخبار الأيام الثاني: 2: 17-18.

الكنعانية" Hekallu [1] وقد تمت زخرفته أيضا على أسس كنعانية[2]، فالتصميم العام لمعبد سليمان يكاد يماثل تصميم المعبد الكنعاني مع اختلافات جوهرية، أهمها أن قدس الأقداس كان في نهاية المعبد، والدليل على ذلك المعبد الكنعاني الذي اكتشف في بيت شان والذي يعود تاريخه إلى عام 1300ق.م والذي كان نقطة تحول في تصميم المعبد الكنعاني، حيث كان يتكون من غرفة خاصة مربعة الشكل تقع في نهاية الغرفة الرئيسية للمعبد، والوصول إلى الغرفة العليا كان يتم بواسطة بعض الدرجات، حيث يوضع تمثال الإله، وكانت تمثل قدس الأقداس والذي أصبح فيما بعد صفة مميزة لمعبد سليمان، كما كانت أيضا في معابد مصر والعراق[3].

رسم تخطيطي للهيكل



1- سلم الدخول
2- عمود يفين الرب
3- بوعز
4- قاعة المدخل
5- باب المعبد الخارجي
6- قدس الأقداس

عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ص1930.

---

(1) عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ص 1930.

(2) أحمد سوسة: العرب واليهود، المرجع السابق، ص 628.

(3) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص 388.

وهيكل سليمان هو جزء من مركب معماري ملكي يضم الكثير من المرافق من بينها قصر الملك ومباني أخرى، كالبناء المخصص للصناع وبناء كبير للحريم وبيت لابنة فرعون زوجة سليمان وقاعة للاجتماعات، وبهو للعرش، وبهو للمحكمة العليا[1].

إلى جانب ذلك كان هناك ملحق المذبح الصغير الذي يضم تابوت العهد وكانت هذه المباني محاطة بفناء واسع، وهذا النوع من البناء هو الأكثر انتشارا في الشرق الأدنى القديم، وكان العبرانيون يجتمعون في هذا الفناء في مواسم الحج والمناسبات الأخرى، ويتم الدخول إلى الفناء عبر عدة بوابات منها: البوابة العليا، وبوابة الملك، والبوابة الجديدة، وبوابة المجلس، وبوابة السجن.

وتشير التوراة إلى أن الهيكل قد استغرق بناؤه سبع سنوات وكان الشروع في بنائه في السنة الرابعة من حكم سليمان وتعد هي العام الأربعمائة والثمانين لخروج العبرانيين من مصر.

وفيما بدأ سليمان في تشييده، واستجاب المهندسين والبنائين من صيدا وصور وساعده صديقه جيرام في صنع أواني الهيكل، وذلك لأن العبرانيين كانوا يجهلون فنون الهندسة والعمارة لعدم وجود تقاليد حضارية ثابتة لديهم، وقد سخر سليمان لأعمال البناء التي تحتاج إلى كثير من المهارة حوالي مائة وثمانون ألف عامل (180 ألف) كان منهم ثلاثون ألف عبراني (30 ألف) ومائة وخمسون ألف كنعاني (150 ألف)[2]، كانوا موزعين كالتالي:

1- 30000 عامل لقطع الأخشاب كان سليمان يرسلهم بالتناوب إلى لبنان بمعدل عشرة آلاف عامل كل شهر، ثم يستريحون في منازلهم لمدة شهرين.

2- 70000 حمال لحمل المواد المختلفة.

3- 80000 حجار يقومون بقطع الحجارة من الجبل.

4- 3300 من الملاحظين.

5- 550 بناء من صور وجبيل مكلفين بعملية البناء[3].

وقد كان طول الهيكل حوالي ستون ذراعا (31.5 متر) وعرضه عشرون ذراعا (10.5 متر) وهو مقسم إلى ثلاثة أقسام، ويبلغ ارتفاعه ثلاثون ذراعا (10 أمتار)[4].

---

[1] مصطفى عبد العليم: المرجع السابق، ص ص 80-81.

[2] عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ص 1931.

[3] مصطفى كمال عبد العليم: المرجع السابق، ص 82.

[4] سفر الملوك الأول: 6: 2-3.

ويقع قدس الأقداس أو المحراب داخل الهيكل وكان على شكل غرفة مكعبة طولها وعرضها عشرون ذراعا قسمت إلى جزأين، الجزء الداخلي مخصص لتابوت العهد، وهو مصنوع من خشب السنط طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف، ويغطى التابوت بتمثالين لكروبين[1] من خشب الزيتون المطعم بالذهب ارتفاع كل منهما عشرة أذرع[2].

ويحتوي الجزء الثاني على مذبح القرابين، وإلى اليسار منه منضدة تحمل الشمعدان السباعي الذي يستخدم في الإضاءة أثناء الطقوس، وتوجد على الجانب الأيمن منضدة مصنوعة من الذهب تخصص لخمر التقدمة، ولا يسمح بدخول قدس الأقداس إلا للكاهن الأعظم ولا يكون ذلك إلا مرة واحدة في السنة[3].

وكان هناك باب يفصل قدس الأقداس عن القاعة الوسطى وهو مكان اجتماع الناس للعبادة وإقامة الشعائر. والطابق العلوي فيه غرفة للكاهن، وعلى جانبي باب الهيكل عمودان من النحاس، وكانت هناك أحواض لغسل الذبائح على جانبي الفناء الخارجي أمام باب الهيكل[4]. والأواني القربانية الموجودة خارج الهيكل مصنوعة من البرونز أو النحاس، والتي كانت داخله كانت مصنوعة من الذهب، وقد يعد ذلك رمزا لتزايد درجات القداسة[5].

2- **القصر:** لقد شيد سليمان في أورشليم قصورا عديدة كان أشهرها القصر الملكي المعروف بغابة لبنان وذلك لكثرة ما استخدم فيه من أخشاب أرز لبنان[6]، وكان هذا القصر بجوار الهيكل استمر استمر بناؤه ثلاثة عشر عاما[7].

وكان القصر يحتوي عددا من الأبنية سيجت بنفس السور الذي كان يحيط بالهيكل، فكانت مباني القصر الرئيسية من الجنوب إلى الشمال هي: بيت وعر لبنان أو غابة لبنان، كان مخصصا للحرس الملكي والسعاة الراكبين وكانت به خزائن ومستودع السلاح، كان طوله مائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا وارتفاعه ثلاثون ذراعا، وقد صنع من خشب الأرز المحلى بالذهب.

---

(1) كروبين: كلمة كروب ليست عبرية خالصة، والشائع أنها مشتقة من كلمة Gryps (جروبس) اليونانية، وهي اسم لكائن خرافي له جسم أسد ورأس طائر يكون النسر عادة، والسائد الآن أن كلمة كروب أكادية الأصل وهي مشتقة من Karibu كارب ومعناها صلى وبارك. أنظر: مصطفى كمال عبد العليم: المرجع السابق، ص 82.

(2) سفر الملوك الأول: 6: 20-24.

(3) يوسف الدبس: المرجع السابق، ص 309.

(4) سفر الملوك الأول: 7: 15-20.

(5) عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ص 1931.

(6) يوسف الدبس: المرجع السابق، ص 312.

(7) سفر الملوك الأول: 7: 2.

وكان يحتوي أيضا على خمس وأربعين غرفة مقسمة على أربعة صفوف من الأعمدة، وأقيمت صالة للاجتماعات الكبرى والاحتفالات الرسمية وهناك أيضا رواق للأعمدة طوله خمسون ذراعا وعرضه ثلاثون ذراعا[1].

وإلى جانبها قاعة تعرف بقاعة الكرسي أو رواق القضاة، وقد أقيم بيت الملك داخل رواق القضاة، يتصدره عرش البرج العاجي للملك المصنوع من الذهب والعاج بدرجاته الست، وأن كثرة استخدام الذهب في عرش سليمان شبيه بما كان موجود بكرسي الفرعون "توت عنغ آمون" (1347-1339ق.م) وهو أيضا شبيه بنماذج العروش السورية والفلسطينية المصورة على تابوت الملك الصوري أحيرام، مما يؤكد التأثير الفينيقي الواضح في المناظر المصورة على عرش سليمان، رؤوس الثيران من الخلف والأسود التي نقشت تحت الأذرع وبجانب الدرجات، وهو في نفس الوقت المقر الملكي، وقد كان هناك طريق مباشر بين مدخل القصر الملكي ومدخل المعبد يستخدمه الملك، وقد أقيمت هذه المباني من حجارة كريمة ومن خشب الأرز[2] وغيرها من مظاهر الأبهة والترف.

ورغم محاولات التقليل من أهمية الهيكل المعمارية، إلا أن المؤكد أن سليمان ببنائه هذا المعبد يكون قد نفذ الإرادة الإلهية ليس فقط في بناء بيت يعبد فيه ا ، بل أنه خطط لبناء مدينة تضم معبدا مركزيا وقصرا ملكيا فاخرا، وما تطلبه ذلك من جهد كبير بذله سليمان ليجعل عاصمة مملكته على غرار عواصم الممالك الأخرى في الشرق الأدنى القديم.

ولا يعارض القرآن الكريم ما جاءت به التوراة من وصف لعظمة ملك سليمان الذي تتهمه بعض الأطراف بالإسراف وكثرة النفقات، مما أرهق كاهل الشعب من الضرائب المفروضة عليه لتغطية كل تلك النفقات.

---

(1) مصطفى كمال عبد العليم: المرجع السابق، ص 84.

(2) سفر الملوك الأول: 7: 1-10.

صورة خلفية مستعادة للقصر والمعبد



http ://www.jodensavane.sr.org/article/foto4.jpg.

خامسا. سليمان وملكة سبأ: لقد أسهبت التوراة في ذكر غنى سليمان وقوة مملكته وعظمته على جميع ملوك الأرض، فكانوا يأتونه من كل صوب وحدب محملين بالهدايا المتنوعة من أواني الفضة والذهب والنحاس والسلاح والخيول وغيرها، والكل كان يلتمس سماع الحكمة التي أودعها ا في قلبه.

وكان من بينهم ملكة سبأ التي سمعت بخبر سليمان فجاءت من أقاصي الأرض لتسمع حكمته[1]، وقد تحدثت عنها الكتب السماوية الثلاثة لكنها لم تذكر اسم هذه الملكة، ولا حتى الأرض التي كانت تقيم عليها مملكتها، وإن جاءت قصتها في القرآن الكريم مختلفة تماما عما ورد في التوراة التي يرجح بعضهم أنها الملكة بلقيس[2].

---

(1) يوسف الدبس: المرجع السابق، ص ص 325-326.

(2) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ج2، ص 688.

اختلف المؤرخون في تحديد نسب الملكة بلقيس فقيل أنها بلقيس[1] ابنة الهدهاد بن شرح بن شرحيل بن ذي سحر من المثامنة من ملوك حمير[2]، وقيل بأنها بلقمة بنت انيشرح بن الحرث بن قيس بن صيفى بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وقد ذكر بعض الرواة أن أمها جنية ابنة ملك الجن اسمها رواحة بنت السكر[3]، لكن هذه الرواية بعيدة عن المنطق والعقل فكيف يستطيع إنسان أن يتزوج جنية؟ وما طبيعة العلاقة بينهما؟ وكيف يكون الأولاد، هل هم من الإنس أم من الجن؟ أم أنهم خليط بين الاثنين، فعليه فكيف تزوج نبي ا سليمان من امرأة نصفها من الجن؟ وحين تولت بلقيس الملك، رفض قومها أن تتولى أمرهم امرأة[4].

وجاءت قصتها كما ورد في القرآن الكريم مرتبطة بغياب الهدهد فقرر سليمان معاقبته أو ذبحه أو ليأتينه بسلطان مبين، قال تعالى: ﴿وتفَقد الطير فقَالَ ما لي لا أرى الهدهد أم كَانَ من الغائبين، لأعذبنه عذَاباً شديداً أو لأذْبحنه أو ليأتيني بِسلْطَان مبِينٍ﴾[5] ولكن الوقت لم يطل ويأتي الهدهد ﴿فَمكَثَ غَير بعيد فقَالَ أحطت بِما لَم تحطْ بِه وجِئْتك من سبأ بِنبأ يقينٍ﴾[6] فسبحان ا الهدهد يحيط بما لم يحط به سليمان.

ونقل الهدهد إلى سليمان خبر هذه الملكة وقومها الصابئين ﴿إني وجدت امرأَةً تملكُهم وأوتيت من كُل شيءٍ ولَها عرش عظيم ﴾[7] وكيف أنها وقومها كانوا يسجدون للشمس من دون ا ﴿وجدتها وقَومها يسجدونَ للشمسِ من دون الله وزين لَهم الشيطَانُ أعمالَهم فَصدهم عنِ السبِيلِ فَهم لا يهتدونَ ﴾[8].

﴾[8].

---

[1] نشوان بن سعيد الحميري: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ج1، تح: ياسين بن عبد ا العمري، دار الفكر المعاصر، 1420هـ-1999م، ص 621؛ الأصفهاني: تاريخ ملوك الأرض والأنبياء، ط2، منشورات دار الحياة، بيروت، 1961، ص 107.

[2] قال فيها أسعد تقع:

ولدتني من الملوك ملوك	كـل قيـل متـوج صنديـد
وسناء متـوجات لبلقيـ	س وشمس ومن لميس جدوى

أنظر الحميري: المصدر السابق، ص 621.

[3] ابن الأثير: المصدر السابق، ج1، ص 129.

[4] وهب بن منبه: المصدر السابق، ص 138.

[5] سورة النمل: الآية 20-21.

[6] سورة النمل: الآية 22.

[7] سورة النمل: الآية 23.

[8] سورة النمل: الآية 24.

وتشير الآيات الكريمة كيف أن سليمان أرسل كتابا مع هذا الهدهد إلى هذه الملكة يطلب منها الإسلام والاستسلام، ثم تتحدث الآيات عن موقف تلك الملكة من ذلك حيث جمعت قومها وقرأت عليهم كتاب سليمان الذي وصفته بأنه كتاب كريم ومبدية في نفس الوقت تخوفها منه ﴿ قَالَت إِن المُلوك إِذَا دخلُوا قَريةً أَفْسدوها وجعلُوا أَعزةَ أَهلها أَذلةً وكَذَلك يفْعلُونَ ﴾[1].

وقد حاولت إغراءه بإرسال هدية عظيمة لكن أعوانها ورسلها فوجئوا بما أذهلهم من ملك سليمان العظيم، وتضاءلت هداياهم أمام ما رأوه من الجاه والسلطان والحضارة والتقدم، وخاصة حين استطاع أن ينقل لها عرشها إلى بلاده، وحينما أدركت جلال الحق وروعته استسلمت خاضعة خاشعة وقالت: ﴿ رب إِني ظَلَمت نفْسِي وأَسلَمت مع سلَيمانَ لله رب العالَمين ﴾[2].

وتبقى الإشكالية الأكثر إثارة للجدل هي موقع مملكة سبأ، فذهب فريق منهم إلى أنها الدولة الواقعة جنوب غرب الجزيرة العربية، بينما رأى فريق آخر أن السبئيين المقصودين كانوا يقطنون شمال بلاد العرب، لأن دولتهم الحقيقية لم تبدأ في بلاد العرب الجنوبية إلا عام 800ق.م، ولأنهم في الأصل شعب بدوي كان ينتقل بين شمال جزيرة العرب وجنوبها[3].

وبناء على ذلك فقد ذهب بعضهم إلى أن الملكة التي زارت سليمان لم تكن ملكة سبأ الشهيرة في اليمن، بل كانت ملكة على مملكة صغيرة شمال شبه الجزيرة العربية، ويستدلون على ذلك بمجموعة من الأدلة منها، تعجب تلك الملكة من بلاط سليمان الذي لا يكون شيئا مقارنة ببلاط ملوك سبأ مما يرجح كونها ملكة على مملكة صغيرة غير بعيدة عن مملكة سليمان[4]، بينما ذهب فريق آخر من الباحثين إلى أنه لا يمكن أن تكون هناك أي مقارنة بين بلاط سليمان وبلاط ملوك سبأ، لأن الأول هو معجزة نبي سخر له ا الجن والشياطين وجعلهم في خدمته[5].

وهناك فريق آخر يرى بأنه من غير المعقول أن نبي ا سليمان وهو المشهور بالحكمة والعلم لا يعرف شيئا عن مملكة سبأ المشهورة في اليمن خاصة وكما عرفنا سابقا كانت تربطه بهذه المملكة علاقات تجارية هامة، وهذا ما دفع فريقا ثالثا إلى التفكير في أن ملكة سبأ هذه هي ملكة إثيوبية لأن

---

(1) سورة النمل: الآية 34.

(2) سورة النمل: الآية 44.

(3) السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 108.

(4) لطفي عبد الوهاب يحي: العرب في العصور القديمة، د.ط، دار النهضة العربية، 1979، ص 405.

(5) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ج2، ص 691.

"سبأ" Saba كما يرى هي عاصمة الأحباش وأن اسم هذه الملكة هو Maukalis وبذلك تكون ملكة سبأ حبشية وليست عربية[1].

وقد يعود هذا الاختلاف في تحديد مملكة سبأ إلى اضطراب التوراة في تحديد أصل السبئيين، فهم حسب رأيها من الساميين[2]، ومرة أخرى من الحاميين[3]، وهذا ما دفع البعض إلى التفكير في احتمال وجود السبئيين في آسيا (اليمن) وفي إفريقيا أيضا (الحبشة).

وتشير بعض النصوص إلى أن ملكة سبأ كانت تحاول إقامة علاقات ودية مع سليمان، مما يدفعنا إلى التفكير في وجود توتر أو تأزم بين المملكتين، وكان هناك مصالح متعارضة لكلا المملكتين، لكن هذا التعارض لا يكون مفهوما إذا كانت مملكة سبأ المقصودة هي تلك الموجودة في جنوب شبه الجزيرة العربية لأنه في هذه الحال لا وجود لحدود مشتركة أو مصالح أو ضغوط سياسية، بينما يختلف الأمر إذا كان بين المملكتين نوع من التجاور يجعل توتر العلاقات أمرا واردا، كما يحدث في الغالب بين أي دولتين متجاورتين[4].

إن ما قامت به ملكة سبأ من محاولات لكسب ود سليمان عن طريق الهدايا يفسرها بعض الباحثين على أنها محاولة لإقامة علاقات حسن الجوار تستطيع من خلالها هذه الملكة الطموحة الوصول إلى اتفاق يحفظ مصالح مملكتها التجارية[5].

ومهما تعددت آراء المهتمين والباحثين حول تحديد مكان ودور هذه المملكة، فالراجح حسب رأيي أنها مملكة عربية كانت هي الأخرى على قدر من التطور والتقدم، تحكمها ملكة عربية تتصف بالحكمة وبعد النظر، وهذا ما يستخلص من موقفها مع سليمان حيث أنها جنبت قومها الدخول في حرب غير مضمونة وغير متكافئة، ففضلت الحل الدبلوماسي للتأكد من حقيقة سليمان وحقيقة الدين الذي يدعوها إليه.

بينما تحديد موقع المملكة هل هي في شمال جزيرة العرب أم في جنوبها أم أنها في الحبشة وهذا أمر مستبعد حسب رأيي وذلك لعدة اعتبارات فيبقى المجال فيه واسعا أمام الباحثين لكشف الحقائق عن طريق الحفريات والآثار والشواهد المادية مع دراسة متأنية لمختلف النصوص التاريخية ومقارنتها بما ورد في الكتب السماوية وخاصة القرآن الكريم.

---

(1) عبد الوهاب النجار: المرجع السابق، ص 330.

(2) سفر التكوين: 10: 28.

(3) سفر التكوين: 10: 7؛ سفر أخبار الأيام الأول: 1: 9.

(4) لطفي عبد الوهاب يحي: المرجع السابق، ص 405.

(5) المرجع نفسه، ص 405.

ويبدو أن اختلاف الباحثين حول مملكة سبأ لم يتوقف عند تحديد مكانها بل تعداه إلى ملكتها وتحديد علاقتها بسليمان، بل إن الروايات نفسها تضاربت حول اسمها، فبينما ذهبت الروايات العربية إلى أنها كانت تسمى "بلقيس" أو كما يقول أهل الأنساب بلقمة أو يلقمة، غير أن هذا الاسم لم يرد في الأسماء السبئية مما جعل احتمال نقله عن العبرية وارد، وهي بدورها نقلته عن اليونانية ومعناه "أمة" أو "جارية"[1].

بل وهناك من يرى أن اسم "بلقيس" هو عبارة عن صفة كانت تنطق في العبرية وفي الآشورية "بلجاش" أو "قلجاش" وتعني العشيقة أو المرأة غير الشرعية وقد أطلقها عليها العبرانيون لرفضهم لعلاقتها بسليمان لكونها من النساء الأجنبيات[2].

وأيا كان اسم هذه الملكة التي زارت سليمان فإن التوراة تذكر أن السبب من وراء هذه الزيارة هو البحث عن الحكمة وامتحان سليمان، لأنها بعدما تأكدت من ذلك قدست إله إسرائيل، وأسلمت كما جاء في القرآن الكريم، غير أن بعض الباحثين يرى أن تلك الزيارة كانت بهدف توثيق العلاقات التجارية وتسهيل التبادل التجاري بينهما، وأن الملك سليمان هو الذي دعا ملكة سبأ لزيارته والإقامة معه[3].

واعتمادا على نصوص القرآن الكريم وهذا هو الأرجح حسب رأيي فإن هذه الزيارة لم تكن إلا بهدف الدعوة ومحاربة الشرك ونشر التوحيد والإسلام من طرف النبي سليمان عليه السلام واقتناع ملكة سبأ بأنها أمام واحد من المصطفين الأخيار الذي كان يدعوها وقومها إلى الهداية ولم يكن ملكا مغرورا بقوته أراد أن يجعلها ومملكتها جزءا من مملكته.

ويذكر أهل التفسير أن سليمان تزوج من ملكة سبأ وأقرها على مملكة اليمن وردها إليه وكان يزورها في كل شهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام[4] وقال بعضهم سبعة أيام[5]، وأنجب منها ولدا، ويزعم ويزعم بعض ملوك الحبشة أنهم أبناء سليمان من زوجته بلقيس[6]، بينما يذكر بعضهم أن سليمان لم يتزوجها بل زوجها ذا تبع ملك همدان ثم ردها إلى اليمن[7].

---

(1) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ج2، ص 696.

(2) المرجع نفسه، ص 696.

(3) Adolphe Lods : Histoire de la littérature hédraique et Juve, Payot, Paris, 1950, P 169.

(4) ابن كثير: تفسير القرآن، المصدر السابق، ج2، ص 31.

(5) وهب بن منبه: المصدر السابق، ص 162.

(6) عبد الوهاب النجار: المرجع السابق، ص 336.

(7) الطبري: المصدر السابق، ج1، ص 384.

وقد سكت القرآن الكريم عن ذكر هذه التفاصيل من قصة سليمان وملكة سبأ، وهذا ما يجعل المجال مفتوحا للبحث في ذلك.

سادسا. وفـاتـه: عاش سليمان وسط مجد دانت له الأرض، ثم قدر ا تعالى عليه الموت فمات، ومثلما كانت حياة سليمان قمة في المجد الذي يمتلئ بالعجائب والخوارق، كان موته أيضا أية من آيات ا تمتلئ بالمعجزات والخوارق، وهكذا جاء موته منسجما مع حياته، متسقا مع مجده، جاء نهاية فريدة لحياة شخصية فريدة تمثلت فيها النبوة والملك والقوة والعظمة في نفس الوقت.

ذكرت التوراة موت سليمان بشكل مقتضب لم تقدم فيه أي تفاصيل ولا تحديد لتاريخ وفاته أو سنه عند الوفاة "**وملك سليمان في أورشليم على كل إسرائيل أربعين سنة، وتوفي ودف مع آبائه في مدينة داود أبيه، وملك رحبعام ابنه مكانه**"[1]. وقد اختلف الباحثون في تحديد سنة الوفاة فمنهم من يردها إلى عام 975ق.م[2] بينما ذهب البعض الآخر إلى أن وفاته كانت حوالي 923ق.م[3].

وسرد القرآن الكريم قصة وفاته في قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا قَضَينا عَلَيه الموت ما دلهم عَلَى موته إِلا دابةُ الأَرضِ تأْكُلُ منسأَته فَلَما خر تبينت الجِن أَن لو كَانوا يعلَمونَ الغيب ما لَبِثُوا في العذَابِ المهين﴾[4]، وعن ابن عباس عن النبي صلى ا عليه وسلم قال: "كان سليمان نبي ا عليه السلام إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك فتقول كذا فيقول لأي شيء أنت، فإن كانت لغرس غرست وإن كانت لدواء أنبتت فبينما هو يصلي ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه فقال ما اسمك قالت الخروب قال لأي شيء أنت قالت لخراب هذا البيت (يعني بيت المقدس) فقال سليمان: ما كان ا ليخربه وأنا حي، أنت التي على وجهك هلاكي وخراب البيت، ثم قال سليمان: اللهم أعم عن الجن موتي حتى تعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب وكان سليمان يتجرد للعبادة في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين[5]، ثم دخل المحراب فقام يصلي متكئا على عصاه فمات ولم تعلم به الشياطين ولا الجن وهم في ذلك يعملون خوفا منه فأكلة الأرضة عصاه، فانكسرت فسقط، فعلموا أنه قد مات، وعلم الناس أن الجن لا يعلمون الغيب ولو علموا الغيب ﴿ما لَبِثُوا في العذَابِ المهين﴾[6] وممارسة الأعمال الشاقة[7].

---

(1) سفر الملوك الأول: 11: 42-43.

(2) هارفي بورتر: المرجع السابق، ص 135؛ زكي شنودة: المرجع السابق، ص 101.

(3) فيليب حتي: تاريخ سوريا، المرجع السابق، ص 208.

(4) سورة سبأ: الآية 14.

(5) ابن كثير: البداية والنهاية، المصدر السابق، ج2، ص 26؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ص 136.

(6) سورة سبأ: الآية 14.

(7) ابن كثير: البداية والنهاية، المصدر السابق، ج2، ص 27؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ص 136.

ولما سمع بنو إسرائيل بوفاة سليمان أرادوا معرفة مدة وفاته فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوا أنه قد مات منذ سنة[1] وظل الإسرائيليون يبكونه لمدة سنة.

وإنني أرى أن هذا الكلام مخالف للمنطق ولا يقبله العقل، فكيف يبقى ميتا لمدة سنة كاملة بعيدا عن تصريف شؤون مملكته وبعيدا عن زوجاته وأهله دون أن يسأل عنه أو يتفقده أحد، وكيف كانت تسير شؤون المملكة طوال هذه الفترة؟ وهذا ما يضعف هذا القول.

وقد اختلف الباحثون أيضا في تحديد سنه عند الوفاة، فقال البعض أنه توفي وهو في الستين من عمره[2] وقال بعضهم أنه عاش اثنين وخمسين سنة أو نيفا وخمسين سنة وكان ملكه أربعين عاما[3].

والراجح أنه عاش ستين سنة على اعتبار أن سنه عند توليه الملك كان حوالي عشرون سنة وقد مكث في الحكم أربعين سنة فيكون بذلك سنه عند الوفاة حوالي ستون سنة، فلا يعقل أن يتولى الحكم وهو ابن اثني عشر سنة.

ومجمل القول أن سلطان سليمان لم يتجاوز أرض كنعان، وخلافا لعهد أبيه كان عهده أكثر استقرارا وهدوء وأقل اضطرابا من عهد أبيه وإن لم يخل هو الآخر من بعض الاضطرابات والصراعات الداخلية والخارجية، وظل الفلسطينيون والشعوب الأخرى في أرض كنعان وما جاورها، ظلوا محتفظين بكيانهم واستقلالهم، إذ لم يشكل سليمان عليهم أي خطر، كما أن تراجع دور كل من مصر وآشور ساعده على الاستمتاع بحرية النشاط والسيادة، وبناء سليمان للهيكل جعل عهده رمز استقرار وثروة ولو أن ذلك كان من صنع غير العبرانيين، ومع ذلك فقد كان عهد سليمان عهد رخاء وازدهار لم يعرفه العبرانيون من قبله ولا من بعده.

---

(1) عبد الوهاب النجار: المرجع السابق، ص 345.

(2) زكي شنودة: المرجع السابق، ص 101؛ يوسف الدبس: المرجع السابق، ص 331.

(3) ابن كثير: البداية والنهاية، المصدر السابق، ج2، ص 27.



الفصـل الرابع

الأوضاع العامة في المملكة العبرانية

المبحث الأول: الأوضاع السياسية والعسكرية

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية

يبدو أن فكرة الملكية عند العبرانيين لم تأت من مصادر خارجية فحسب وإنما الملكية في حد ذاتها وحتى في نظامها السياسي والاقتصادي والاجتماعي تشكلت تدريجيا على أسس مقتبسة في أغلبها من الدول المجاورة، وهذا ما سنحاول معرفته في هذا الفصل من خلال دراستنا للأوضاع العامة في المملكة العبرانية.

المبحث الأول- الأوضاع السياسية والعسكرية: عرف العبرانيون في ظل النظام الملكي الجديد تغيرات سياسية وإدارية وعسكرية اقتضتها الظروف التاريخية الجديدة التي أقبل عليها الشعب العبراني وهذا ما سأحاول إبرازه في هذا المبحث.

أولا. الأوضاع السياسية: عند وصول العبرانيين إلى أرض كنعان انخرطوا في قبائل وعشائر وأسر مثلهم مثل باقي الشعوب السامية التي كانت موجودة بالمنطقة، وقد وصل عددها اثنا عشر سبطا وهم أبناء يعقوب الاثني عشر[1].

لكن عدد أعضاء العشيرة بدأ يتكاثر إلى أن وصل إلى ثلاثمائة شخص، وبذلك أصبحوا في حاجة إلى تنظيم يحدد الحقوق والواجبات وينظم المهام، وخاصة وأن أعضاء العشيرة يعتقدون أنهم إخوة من دم واحد، وكانت كل عشيرة تتكون من أحرار وعبيد، والعبيد هم أسرى الحرب ثم الجيران (الجيران الذين يستجيرون بأحد أعضاء العشيرة فيصبحون تحت حمايته)[2].

وكل قبيلة كانت تعيش وفق هواها في حرية تامة، وليس هناك سلطة تعلو على سلطة القبيلة قد تساعد على تماسك القبائل المستقلة، ويقوم فيها النظام على أساس الحكم الأبوي في الأسرة[3] ويجتمع شيوخ العشائر في مجلس الكبراء (الزكانيم) الذي يمثل السلطة العليا في القبيلة، والذي يتخذ قراراته حسب الظروف والمستجدات التي تطرأ عليها، وقد يتعاون مع زعماء القبائل الأخرى إذا اضطرته الظروف لذلك.

1- النظام السياسي في عهد القضاة: يبدو أن العبرانيين لم يعرفوا أي تنظيم سياسي إلا في عهد موسى في تنفيذ خطته التي وضعها للخروج من مصر عندما استعان بمجلس السبعين لتسيير شؤون قومه، و كان ذلك نتيجة نصيحة من النبي شعيب[4].

---

(1) هناك من يرى أن العدد اثنا عشر كان أمرا نظريا أكثر منه حقيقة تاريخية، فالتوراة تذكر قبيلة لاوي، ومن ثم يذكر "بيت يوسف " كسبط واحد فقط ومرة لا يذكر "لاوي"، ويقسم بيت يوسف إلى سبطين (أفزيم ومنى). أنظر: محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، المرجع السابق، ج4، ص 641.

(2) محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، المرجع نفسه، ج4، ص 641.

(3) ول وايريل ديورانت: المرجع السابق، ص 329.

(4) شعيب كان ضعيف البصر بعثه ا نبيا إلى أهل مدين، وكانوا أهل كفر وبخس للناس في المكاييل والموازين وإفساد لأموالهم، وكان ا عز وجل قد وسع عليهم في الرزق، ولما كال غيهم وضلالهم أهلكهم ا بالرياح والحر الشديدين وقد تزوج موسى=

وهكذا يكون النبي شعيب قد تقدم موسى في عقيدته الإلهية، وحنكته السياسية في تنظيم شؤون الحكم والقضاء وتسيير أمور قومه، وقد اختار موسى هؤلاء المساعدين السبعين من شيوخ القبائل ليساعدوه في تنظيم شؤون الدولة دون أن يضع قانونا لذلك[1].

وقد أكد ابن الأثير[2] على اختيار موسى لمجلس الأعيان وأخذه لأعضائه معه إلى جبل سيناء لسماع كلام الرب ورؤيته بناء على رغبة من هؤلاء، غير أن نظام موسى السياسي انهار بعد وفاة يوشع بن نون. ويرى ابن خلدون[3] أن سبب الانهيار يعود إلى أن العبرانيين قد أهملوا بعد موسى ويوشع أمور السياسة واهتموا بأمور الدين فقط "**وكان الكوهن الذي يعتبرونه خليفة موسى يقيم لهم أمر الصلاة والقرابين، بينما الإقامة السياسية اختاروا لها سبعين شيخا كانوا يتولون تسيير أمورهم العامة، ويبقى الكوهن أعظم منهم رتبة في الدين ويظل بعيدا عن أمور الشعب العامة**"[4].

وقد يكون ذلك من بين أسباب انهزامهم أمام أعدائهم، فتشتتهم وضعفهم، بل أن التشتت طال القبيلة في حد ذاتها كقبيلة "شمعون ولاوي" وهناك قبائل أخرى تضاءلت وانخفض عدد أفرادها مثل قبيلة "راؤبين" واختفت قبائل أخرى وتحولت إلى بطون بل مجرد عشيرة (مشباحاة: Mishpahath) كقبائل عاكي وجلعاد[5].

ويبدو أن بعض قبائل أخرى استفادت من الوضع الجديد فازدادت أهميتها وكثر عددها كما هو الحال مع قبيلة يهودا بسبب انضمام عناصر كنعانية إليها كالقينيين[6] والقنزيين[7] واليرحمئيين[8] وأصبح هذه القبائل في كتب الأنساب تصور على أنها من قبيلة يهوذا، كما انقسمت قبيلة "بيت يوسف" بعدما تضاعف عدد أفرادها إلى قبائل أفرانيم ومنسي "وبنيامين".

=من إحدى ابنتيه، وعمل راعيا لديه. أنظر الطبري: المصدر السابق، ج1، ص 191؛ صابر طعيمة: التاريخ اليهودي العام، ج1، ص 91.

(1) محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، المرجع نفسه، ج4، ص 642.

(2) ابن الأثير: المصدر السابق، ج1، ص 108.

(3) المقدمة: المصدر السابق، ص 409.

(4) سفر القضاة 5: 14-17.

(5) محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، المرجع السابق، ص 530.

(6) القينيون: اسم سامي معناه "حداد" والقين باللغة العربية معناه الحداد، وهم قبيلة عربية تنحدر من المديانيين، كانوا عمالا مهرة في التعدين وخاصة الحديد. محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص ص 524-525.

(7) القنزيون: هو قبيلة سامية كانت تعيش في كنعان من عهد إبراهيم الخليل، ينسبون إلى الفينيقيين، كانوا عمالا مهرة في التعدين. محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ج2، ص ص 527-528.

(8) اليرحمئيون:" ذكرت مدنهم في التوراة بجانب مدن الفينيقيين ويكاد يكون من المستحيل تحديد منطقتهم بدقة، ولكن يبدو أنهم ينتمون إلى قبيلة القنزيين. أنظر: Dictionnaire de la bible : Op.cit, P 1354.

وأمام هذا الوضع، فقد كان البحث عن حكام قادرين يقودون قبائلهم في الحروب أصبح ضرورة ملحة فرضت نفسها على العبرانيين مما أدى إلى ظهور نظام القضاة وفي هذا السياق يقدم الكتاب المقدس تفسيرا دينيا لظهور القضاة فيرى أن بني إسرائيل تخلوا عن عبادة الرب وعبدوا العجل والعشتاروث وآلهة أخرى بدلا منه، فوقعوا تحت سيطرة أعدائهم وغضب الرب على إسرائيل فأسلمهم إلى أيديهم فنهبوهم وباعوهم إلى أيدي أعدائهم الذين حولهم[1].

ويرى بعض المؤرخين أن فترة القضاة هي فترة رضا رباني على العبرانيين[2]، وقد كان القاضي يتمتع بحق مقدس بمنحه إياه "يهوه" رب إسرائيل غير أنه لم يستطع أي واحد من القضاء أن يبسط سلطانه على جميع العبرانيين، فكل واحد منهم كان يتسلم قيادة زمرة واحدة، عندما تهدد هذه الزمرة تهديدا مباشرا، وإذا ما كتب له النصر لم يحتفظ حتى بقيادة تلك الزمرة[3].

وعليه فإن سلطة القضاة لم تتعد قيادة القبائل وقت الخطر أو الحروب ثم تعود كل قبيلة إلى استقلاليتها وتصريف شؤونها كما كانت سابقا.

فتصريف الأمور في دولة العبرانيين لم يكن من اختصاص شخص واحد أو مجلس واحد، فالبعض منها كان من اختصاص سبط ما والبعض الآخر من اختصاص بقية الأسباط ولجميع الأسباط نفس الحقوق.

النظام السياسي في العهد الملكي: عرفنا أن نظام موسى السياسي انهار بعد وفاة يوشع بن نون، كما أن نظام القضاة قد تعرض لأزمات عديدة وخطيرة ساهمت في إسقاطه، وتذكر التوراة أن فساده في فترته الأخيرة يعود إلى انحراف بعض القضاة كما هو الحال بالنسبة لوادي صامويل[4].

غير أن عجز نظام القضاة في الدفاع عن القبائل العبرانيين خاصة بعدما انتصر الفلسطينيون عليهم، رغم قلة عددهم، أفقدهم تابوت العهد رمز الإله العبراني، وحرمهم الفلسطينون من الحدادين ومن أسلحتهم وفرضوا عليهم ضرائب، بل إنهم حرموهم من التسلح حيث فرضوا عليهم شحذ أدواتهم عند الحدادين الفلسطينيين دون غيرهم[5]، حتى يتمكنوا من مراقبتهم ومنعهم من صناعة الأسلحة.

فهذه الظروف وغيرها، جعلت العبرانيين يفكرون في ضرورة الوحدة والاتفاق حول شخصية واحدة، وإلا ذهبت ريحهم أدراج الرياح، وطردوا من فلسطين، حيث كان الفلسطينيون من جهة

---

(1) سفر القضاة: 2: 15.

(2) سبتينو موسكاتي: المرجع السابق، ص 141.

(3) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ج4، ص 642.

(4) صموئيل الثاني 8: 3.

(5) موسى معيرش: النظام السياسي في اليهودية والإسلام بين النظرية والتطبيق، المرجع السابق، ص 133.

والكنعانيين من جهة أخرى يشكلون فكي كماشة على العبرانيين بالإضافة إلى الغارات المستعمرة على حدودهم من قبل المديانيين المؤابيين والعمونيين والأراميين، دون أن ننسى حالة التشتت والتفكك التي كانوا عليها زيادة عن التهديد الفلسطيني المستمر، فقد يكون كل ذلك هو السبب في قيام المملكة[1].

من هنا يبدو لي أن ظهور الملكية عند العبرانيين، كان ضرورة ملحة اقتضتها الظروف التي أحيطت بهم والتي أرى أنها عوامل خارجية بالإضافة إلى الظروف والعوامل الداخلية التي مزقت كيانهم وأضعفت قوتهم ومنعتهم من مجاراة التطور الذي حدث في ذلك.

ونحن نقف على المادة الخبرية نجد أن العبرانيين قد انقسموا في نظرتهم إلى الملكية إلى اتجاهين، الأول كانت تمثله التقاليد العبرية القديمة فكانت ترى فيه خيرا وبركة بينما الاتجاه الثاني المتمثل في التقاليد المتأخرة كان يرى فيها لعنة حلت بالمجتمع العبراني فباعدت بينه وبين ا فتقاسمته المصائب والنكبات[2]. ويمثل هذا الرأي الكهنة ورجال الدين، الذين رأوا أن العبرانيين لم يكونوا في حاجة إلى النظام الملكي، فكل حاجتهم كانت إلى النظام والأمن الذي كان متوفرا قبل ظهور الملكية، لأن يهوه كان على رأس دولتهم فقد كان يحكمها من خلال رجال الكهنوت وبالأحرى كبير الكهنة[3]، يعتبرون اختيار العبرانيين للنظام الملكي كأنه رفض لسلطان يهوه وتقليد الشعوب المجاورة الوثنية، وهذا ما يفسر لنا تردد النبي صموئيل في الرد على شيوخ القبائل، حينما طلبوا منه تعيين ملك "**أقم علينا ملكا يقضي بيننا كما هي الحال في جميع الأمم**"[4]، هذا في الجانب الديني.

أما فيما يخص المسائل الدنيوية فقد كان يقوم عليها القاضي (شوفط) والذي كان يشغل هذا المنصب طيلة حياته، لكن وظيفته هذه لم تكن وراثية وبذلك فإن نظرية رجال الدين، كانت رافضة للملكية، بينما يرى الرأي الثاني المؤيد للملكية أن ا هو الذي يختار الملك ويمده بالسلطة والعدالة، وهو يحكم بفضل ا ، والملك هو ممثل ا على الأرض وهو صورته، لأن العبرانيين كانوا يعتقدون أن ا ما هو إلا ملك الملوك[5].

وبذلك نستخلص الصراع الكامن بين الملكية ورجال الدين والذي بدأ مع ظهور الملكية وقد يعود ذلك الصراع حسب رأيي إلى الملك الذي استأثر بوظائف جديدة سياسية ودينية في نفس الوقت سحبت البساط من تحت أرجل الكهنة ورجال الدين الذين كانت سلطتهم في ظل نظام القضاة أعلى من القاضي نفسه.

---

(1) سبتينو موسكاتي: المرجع السابق، ص 141؛ ول ديورانت: المرجع السابق، ج2، ص 307.

(2) محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، المرجع السابق، ج4، ص 649.

(3) المرجع نفسه، ج4، ص 649.

(4) سفر صموئيل أول: 8: 6.

(5) فؤاد حسنين علي: إسرائيل عبر التاريخ، دار النهضة العربية، مصر، د.ط، د.ت، ص 171.

وبعدما تعرضنا إلى تأسيس الملكية لدى العبرانيين نحاول دراسة وظائف بعض مؤسسات النظام عندهم فيما يلي:

وظائف الملك: تعددت وظائف الملك في ظل النظام الجديد خلاف ما كان عليه نظام القضاة السابق، فانحصرت في يد الملك السلطات الملكية ومنها:

1- كبير الكهنة: يبدو أن العبرانيين قد تولدت لديهم عقيدة تقديس الملك، تأثرا بجيرانهم وبالشعوب الأخرى التي عاشوا بينهم مثل: بابل ومصر على وجه الخصوص، وبذلك اكتسب الملك صبغة كبير الكهنة، وعلى هذا الأساس كان داود وسليمان يقدمان القرابين[1] بطقوس كهنوتية كان داود يرتدي الثوب الكهنوتي، وكان كل منهما يبارك الشعب بصفته كاهن[2] وكان كل منهما قد مسح عند جلوسه على العرش فاكتسب بذلك صفة الكهنوتية.

ومن ثمة أصبحت الكهنوتية عملا رسميا له، ولإدارته وموظفيه وقد أثر هذا التطور في الديانة العبرانية بمرور الزمن.

2- قائد الجيش في الحروب: كان الملك يتولى قيادة الجيش في الحروب بعد إنشاء الجيش الذي كان يدين له وللعرش بالولاء، والملاحظ أن الملك قد حرص على إسناد المناصب الرئيسية في الجيش إلى أقاربه والمخلصين له ولبيته، وحتى أن شيوخ القبائل لا ينالون منزلتهم تلك إلا عن طريق النفوذ الملكي ودرجة إخلاصهم للعرش[3].

3- وظيفة القاضي الأول: عند ظهور الملكية لدى العبرانيين ظهرت عندهم حكومة مستقرة تولت السهر على مصالح الشعب، فعم الأمن والاستقرار ومن أهم دعائم ذلك توفر العدالة التي أشرف على تطبيقها الملك الذي أصبح هو القاضي الأول في المملكة وتصدر الأحكام باسمه حتى أصبح لفظ (شوفط) أو قاضي مرادفا للفظ "الملك"[4].

وهكذا فقد رؤساء الأسباط والكهنة هذه الوظيفة التي كانوا يباشرونها قبل هذه المرحلة من تاريخ العبرانيين، فتضاءل نفوذهم وقلت سلطتهم، والحقيقة أنه بتعدد وظائف الملك كثرت طبقة الموظفين الملكيين، الذين أصبح لهم الحق في إصدار الأحكام باسم الملك[5].

وقد أصبح الملك في النظام الجديد يتولى الإشراف على مهام عديدة من بينها.

---

(1) سفر صموئيل أول: 14: 33.

(2) سفر الملوك الأول: 8: 14.

(3) فؤاد حسنين علي: المرجع السابق، ص 173.

(4) سفر أشعيا 16:5، سفر الملوك الثاني 15:5.

(5) فؤاد حسنين علي: المرجع السابق، ص 173.

1- جمع الضرائب: كان داود مضطرا للحصول على مصادر مالية لإطعام جنده ورفع أجورهم، ولتغطية مصاريف البلاد، وبخاصة نفقات أبناء الملك الذين كانوا يعيشون في ترف ورفاهية، وكان داود يحصل على ذلك من الحروب الناجحة التي كانت تنتهي بالسلب والنهب، بالإضافة إلى فرض الجزية على المقهورين، وكان الموظف المسؤول عن جمع الجزية هو (أدورام).

ومع ذلك لم يظهر أي أثر لتذمر العبرانيين من دفع الضرائب في عهد داود ولا حتى في زمن الاضطرابات التي صاحبت أواخر أيام حكمه لأن الضرائب كانت في نظر البدو فريضة لا تطاق[1].

وفي عهد سليمان تغير فالوضع، فالإسراف ازداد والنفقات كثرت نتيجة لحياة البذخ والترف التي عاشها سليمان وبلاطه مما اضطره إلى فرض نظام ضرائب متنوع أرهق الشعب فكان عبئا ثقيلا عليه انتهى بالتذمر والتمرد بعده مباشرة، وكانت هذه الضرائب تؤخذ عينا أي يؤخذ قسم من الغلال المنتجين.

وقد عمل سليمان على تفتيت أي تحالف بين القبائل، فمزق الحدود القديمة التي كانت تفصل بين قبيلة وأخرى، ثم قسمها إلى اثني عشر محافظة تختلف حدودها عن الحدود القديمة، وجعل على رأس كل منها محافظ أو حاكم، وذلك لتسهيل جباية الضرائب من رعاياه وتجهيز الإمدادات الخاصة بالبلاط الملكي شهرا كل سنة بينما أعفى الحاشية الملكية من دفع الضرائب ويبدو من خلال اطلاعنا على المصادر والمراجع أن قبيلة يهوذا كانت تحكم إداريا بسم الملك بواسطة نائبه[2].

2- التقسيم الإداري في عهد سليمان: وقد كان فرض سليمان تقسيما إداريا جديدا وزع من خلاله الأقاليم على القبائل على النحو التالي:

1. الإقليم الأول: جبل أفرايم، ويشمل الأرض الواقعة بين جبل يهوذا ووادي مرج عامر بما فيها مدينتي شكيم والسامرة.
2. الإقليم الثاني: يتكون من ماقص وتل شعلبيم وبيت شمش، وإيلون وبيت حانان.
3. الإقليم الثالث: يتكون من أربوت في جبل منسى ومنطقة سوكوه وكل أرض حافر.
4. الإقليم الرابع: يضم مرتفعات دور جنوب جبل الكرمل.
5. الإقليم الخامس: يتكون من تعنك ومجيدو وكل بيت شان.
6. الإقليم السادس: يشمل كل من راموت جلعاد.

---

[1] فؤاد حسنين علي: المرجع السابق، ج4، ص 279.

[2] مصطفى كمال عبد العليم: المرجع السابق، ص 85.

7. الإقليم السابع: يتكون من محانيم.
8. الإقليم الثامن: يتكون أرض نفتالي في منطقة الجليل.
9. الإقليم التاسع: يشمل منطقتي آشر وبعلوت.
10. الإقليم العاشر: يضم كل من يساكر في منطقة الجليل السفلي.
11. الإقليم الحادي عشر: يتكون من أرض بنيامين بين القدس في الجنوب وبيت إيل في الشمال، وهي تقع إلى الغرب من القسم الثاني.
12. الإقليم الثاني عشر: يتكون من جلعاد وأرض سيحون وعوج، وهي الحدود الجنوبية لمملكة إسرائيل فيما بعد[1].

ويرى بعض المؤرخين أن نظام الضرائب وأسلوب جبايتها بالإضافة إلى التقسيم الإداري الجديد، كانا من الأسباب الرئيسة للثورة التي انفجرت لأول مرة أثناء حكم سليمان، والتي أخمدت حوالي عام 943 ق.م بزعامة يربعام بن نباط الذي فر إلى مصر في عهد الفرعون شيشنق أول ملوك الأسرة الواحدة والعشرين[2].

3- الوظائف الجديدة في بلاط الملك: لقد حدثت تغيرات اجتماعية وإدارية واضحة في المملكة الموحدة المزدهرة، وأصبح البلاط الملكي مركزا إداريا، وظهرت فيه طبقة جديدة، وهي طبقة "موظفي الملك" أو "عبيد الملك".

ويبدو أن داود قد استعان في إقامة تلك الإدارة الجديدة بنماذج من الحكم الموجود في المدن الكنعانية، ومن الدول المجاورة، حيث نستشف ذلك من بعض الأسماء الأجنبية التي أطلقت على بعض كبار الموظفين فهي ليست أسماء عبرية مثل "شوشا" الكاتب "وهدورام" الجابي[3].

كما ظهرت قوائم لأسماء قواد داود في تلك الفترة، في مقدمتهم قائد الجند يؤاب بن صورية الذي ظهر في إحدى السجلات الملكية التاريخية بلقب "قائد الجيش" وفي أخرى "على جميع جيش إسرائيل" وإلى جانبه بنياهو قائدا للجلادين والسعاة[4].

كما توجد في تلك القوائم أيضا بعض الوظائف الجديدة في إدارة شؤون المملكة، فقد كانت تلك الوظائف بأسمائها معروفة لدى الدول المجاورة، ومن بينها:

---

(1) سفر الملوك الأول 4: 7-19.

(2) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 87.

(3) ابراهام مالمات، حييم تدمور: المرجع السابق، ص 210.

(4) سفر صموئيل الثاني 8: 16-18، 20: 23-26.

أ- السكرتير: وهو المنادي الملكي، الذي كان يعلن أوامر الملك على الملأ، ويعرف عند الأشوريين بناجيروا.

ب- الكاتب: ووظيفته الأساسية هي تبادل الرسائل مع الممالك المجاورة (ويعرف بالأكادية طوبشار أو طفسار في العبرية)[1]، وكانت هذه الوظيفة تتطلب من صاحبها معرفة الأساليب الدبلوماسية المتعارف عليها في تلك الفترة.

وبالإضافة إلى مهمته الخارجية كانت لديه مهمة داخلية أيضا، فهو الذي يتولى جمع المراسلات التي كانت بين الملك وموظفيه.

ج- الجابي: وهي وظيفة هامة في المملكة ذكرت في التوراة بعد تمرد ابشالوم، ويعمل الجابي على تجنيد الرجال لخدمة الملك، ويعرف أيضا باسم "مس" ضريبة أو "سيبل" عبد، وقد ازدادت أهمية هذه الوظيفة في عهد سليمان عليه السلام.

وهناك بعض الوظائف التي ورد ذكرها في سياق القصص منها "مستشار الملك" "أميتوفل" و"صديق الملك" "حوشي هاأركى"[2].

وأعلى وظيفة في الدولة كانت وظيفة كاتم السر "مذكير" Mazkir وهو كاتم أسرار الدولة، وهناك وظيفة أخرى هي وظيفة حاكم المحافظة وكان هذا المحافظ ضابطا يطلق عليه في العبرية (نصاب)، وأما موظفو الحاشية فكانوا كثيرون منهم: الساقي والمكلف بالملابس، وكان هناك اثنا عشر موظفا يتولون الأمور المالية[3]، بالإضافة إلى رجال التشريف، وموظف خاص بالحريم[4].

وهكذا فقد ساعد قيام الملكية على ظهور حكومة مستقرة، نجحت في الحفاظ على الأمن، رغم أن فترة حكم الشعب هي الأخرى كانت قد عرفت نوعا من الاستقرار غير أن الحروب الأهلية توالت خاصة بعد عهد سليمان في ظل النظام الملكي الجديد الذي لم يكن الشعب مهيأ له، فتحولت إسرائيل (الدولة الشمالية) إلى مسرح للانقلابات السياسية، فلا يكاد يتربع على عرشها ملك حتى يقتله آخر ويحل محله، بينما أنزوت يهوذا بين تلالها في الجنوب، فامتد النفوذ الأجنبي إليها في كل شؤونها الدينية والدنيوية[5].

---

[1] أبراهام مالمات، حييم تدمور: المرجع السابق، ص 211.

[2] سفر صموئيل الثاني 8: 16؛ وسفر الملوك الأول 4: 3.

[3] سفر الملوك الأول 10: 5؛ وسفر الملوك الثاني 10: 22.

[4] سفر الملوك الأول 22: 9؛ وسفر الملوك الثاني 8: 6 و9: 32.

[5] صموئيل الأول 12: 50-52، 22: 7؛ صموئيل الثاني 4: 2-3.

وخلاصة القول أن التنظيم السياسي في العهد الملكي لدى العبرانيين قد عرف تطورا ملحوظا ففي عهد شاؤول كانت المملكة بسيطة وفي بداية نشأتها ونفقات الملك كانت قليلة حيث استمر في العمل في حقله الخاص، ولم يتخذ لنفسه قصرا أو بلاطا مترفا، بل اعتاد على عقد مجلس الحرب في ظلال الشجرة المقدسة في "جبعة" وهكذا كان حكمه مرحلة انتقال من نظام قبلي إلى نظام ملكي فكان في مظاهر كثيرة نظاما ملكيا قبليا[1].

وأما في عهد داود عليه السلام فقد كان هو المسؤول عن بعض التغييرات الأساسية في شؤون الإدارة والدليل على ذلك قائمة الموظفين الكبار - حسب ما جاء في التوراة- فكان كل منهم يدير هيئة من الهيئات الحكومية يساعده في ذلك عدد من الموظفين الصغار[2].

وقد كان هذا التنظيم تنظيما تدريجيا فعدد الموظفين كان في تزايد مستمر في عهد سليمان إذ ازداد عدد الموظفين المرموقين وتشعبت مهامهم ووظائفهم بين مهام إدارية حكومية ومهام خدماتية للملك وحاشيته وبلاط نسائه. وأهم ما قام به سليمان هو تمزيق الحدود القديمة التي كانت تفصل بين قبيلة وأخرى، لتسهل السيطرة عليها.

ورغم مظاهر الرخاء البادية على المملكة في عهد سليمان فإن البلاد كانت تسير نحو أزمة اقتصادية كان لها أثر بارز في الأزمة السياسية التي جاءت بعد وفاة سليمان.

ومن السلطات التي استأثر بها الملك في ظل النظام الجديد هي وراثة الحكم، فقد أصبح الملك هو الذي يختار خليفته، بعدما كان الشعب هو الذي يختاره كما حدث مع شاؤول حين توجه الشعب العبراني ملكا، وعند وفاته رأينا أن حفيده فشل في وراثة العرش لأن ا أراد أن يحرم بيت شاؤول من الملكية ويمنحها لبيت داود – حسب تفسير التوراة -[3].

وبذلك نستنتج بأنه لم تكن قاعدة ثابتة لوراثة العرش ولم توضع على الأقل شروط لابد وأن يرضخ لها الملك الجديد، وإلا فلن يتحصل على موافقة الأسباط على تتويجه ملكا عليهم، ويبدو أن هذا ما حاول العبرانيون فيما بعد استدراكه حينما ذهبوا إلى رحبعام ابن سليمان لإملاء شروطهم.

2- **التنظيم القضائي:** لم تكن الحياة القبلية التي كان عليها العبرانيون تتطلب حكومة منتظمة أو قضاء منظما، فكانت سلطة شيخ القبيلة سلطة أدبية أكثر منها سلطة فعلية تنفيذية إلزامية، وهذه خاصية المجتمع القبلي القديم فلم تكن له سلطة تلزم الأطراف المتنازعة في القبيلة بالخضوع لحكمه،

---

[1] صموئيل الثاني 8: 16-18، 20: 23-26.

[2] محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، المرجع السابق، ج4، ص 660.

[3] محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، المرجع نفسه، ج4، ص 252.

فللمتخاصمين أن يقبلا حكمه أو يرفضانه[1]، وهذا ما كان يعرف بالقضاء القبلي، والقرارات تبقى غير ملزمة للمتخاصمين.

وكان لدى للعبرانيين نوع آخر من القضاء وهو القضاء الكهنوتي أي قضاء رجال الدين (الكهنة) إذا جاء في العهد القديم أن كبير كهنة مدين (يثرو) كان قاضيا. فالكاهن أو النبي كان يستشير ا فيوحي إليه بما يوحي قبل إصدار الأحكام فلذلك كانت أحكامه مستمدة من ا فهي غير قابلة للنقاش[2].

والحقيقة أن موسى كان أول من نظم المجتمع العبراني إداريا وقضائيا، فوضع على رأس كل جماعة مجموعة مكونة من ألف أو خمسين أو سبعين رجلا، ومن هؤلاء يتكون مجلس الشيوخ الذي قاد الجماعة عند نزولها إلى أرض كنعان وكان العبرانيون ينظرون إلى هؤلاء الشيوخ نظرة تقديس لأنهم اعتبروا تعيينهم جاء من قبل الإله "يهوه"، وقد وجد هذا المجلس في كل قرية، فلذلك كانت أحكامهم وأوامرهم واجبة التنفيذ[3]، خلافا لشيوخ القبائل كما أسلفت ذكره.

وقد بلغ القضاء الكهنوتي في ذلك العصر مكانة رفيعة خاصة ورفيعة، ويتخصص في الفصل في القضايا الصعبة لأن الكاهن كان يقوم باستشارة ا للفصل فيها[4].

أما في العصر الملكي فقد كانت السلطة القضائية تابعة للملك، فهو قاضي القضاة وهو المرجع الأخير للأحكام التي قد تصدر في حق أبناء المملكة، كما يتبين من قصة المرأة التقوعية[5]، وغيرها من القضايا. وقد كانت إقامة الدعوى بسيطة، حيث يجلس القضاة في سوق المدينة الذي كان مركزه عند مدخلها أين يجتمع الناس للبيع والشراء[6].

وقد شيد سليمان في أورشليم قاعة يفصل بها القضاة في الدعاوى ويحضر المدعي والمدعى عليه لعرض دعواهما شفاهيا، وقد نصت الشريعة على أن كل دعوى لابد من شهادة شاهدين فيها على الأقل، وفي حالة عدم توفر الشهود يقوم المدعي بالقسم[7].

---

(1) فؤاد حسنين علي: المرجع السابق، ص ص 189-190.

(2) عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، د.ط، د.ت، ص 401.

(3) عبد الحميد زايد: المرجع نفسه، ص 401.

(4) سفر الخروج 22: 8.

(5) هي امرأة مات زوجها وترك لها ولدين، فقتل أحدهما الآخر في الحقل وحين طلب منها شيع القبيلة تسليم القاتل لإعدامه، اشتكت إلى الملك داود، لأنها بذلك ستخسر ولديها الاثنين، فعلم الملك أن المقصود هو عودة ولده أشالوم الذي قتل أخاه أمنون، وبذلك وافق على طلبها وعفا عن ابنها. أنظر: صموئيل الثاني 14: 1-33.

(6) التثنية 22: 16.

(7) سفر التثنية 17: 6؛ الخروج 22: 6.

ولا تجوز شهادة النساء والعبيد، ويحرص القاضي على مناقشة الشاهد والتأكد من صدق شهادته، كما يجوز للقاضي إيقاع عقوبة على شاهد الزور والعقوبة هي نفسها التي توقع على الذي يشهد له[1].

ويرى سبتينو موسكاتي[2] "أن القانون المدني العبري كان منهجيا، يبقى أنه كان جزءا من نظام متكامل لحكم حياة الفرد، فإنه لم يقنن حسب خطة منظمة، شأنه في هذا شأن سائر النظم القانونية في الشرق الأدنى القديم... فالقوانين العبرية تتبع في محتواها التقاليد العامة في الشرق الأدنى القديم، وفيها وجود شبه لقوانين بابل[3] وأشور[4] والحيثتين ولاسيما بقانون حمورابي المشهور[5]،... لكن كان لها لها تطورها المستقل المرتبط أساسا بأحوال الحياة العبرية التي كانت شديدة الاختلاف عن ظروف الحياة في بلاد الرافدين".

ولذلك فقد كان للخصائص الاجتماعية الخاصة عند العبرانيين والاعتبارات الدينية تأثير واضح على القوانين العبرية ومنها قانون العقوبات الذي نص على:

- ساد مبدأ العين بالعين والسن بالسن[6]، كما عرف مبدأ الدية بعد موافقة المتخاصمين، ولكن لا تقبل الدية في حالة الضرب الذي يؤدي إلى الموت.

- أما عند العبيد فلا يطبق مبدأ السن بالسن، فإذا قتل عبد يعوض سيده بثمنه، وإذا أتلف سيد عين عبد أو سن من أسنانه يجب على السيد أن يعتق هذا العبد[7]، أما فيما يخص حقوق الوالدين فيبتر العضو الذي امتد على والده بالضرب، ويطبق هذا المبدأ أيضا على أفراد أسرة الجاني أو على الأسرة كلها خصوصا في حالة الثأر[8].

---

(1) Alfred Bertholet : Histoire de la civilisation d’Israel, traduction française par: Jacques Marty Payer, Paris, 1953, P 308.

(2) المرجع السابق، ص ص 165-166.

(3) بابل: هي عاصمة المملكة البابلية (605-539ق.م) وهو اسم تسمت به المملكة البابلية، ثم صار رمزا للسلطة التي تعارض ا ، وفي العهد الجديد دل اسم بابل بطريقة رمزية على مدينة روما. أنظر منبع الحياة: المصدر السابق، ص 717.

(4) أشور: هي ممالك آسيا القديمة كانت محصورة بين أرمينيا شمالا وجزيرة بن عمرو غربا ومملكة ميديا شرقا ومملكة بابل جنوبا ومحلها الآن بلاد الكرد. أنظر محمد فريد وجدي: المرجع السابق، ج1، ص 382.

(5) حمورابي: من أعظم ملوك بلاد ما بين النهرين، كان يجمع بين صفات القائد العسكري الماهر والسياسي المحنك والملك العادل والمشرع المصلح والحازم، يعتبر عصره هو العصر الذهبي للعراق القديم حيث عم الرخاء والرفاهية، اعتل العرش ما بين (1728-1686ق.م) وحد بلاد الرافدين واتسعت حدود مملكته إلى الخليج العربي. أنظر حلمي محروس إسماعيل: المرجع السابق، ص 38.

(6) سفر اللاويون 24: 20.

(7) سفر الخروج 21: 26، 31: 32.

(8) سفر الملوك الثاني 9: 26.

وكان حكم الإعدام ينفذ بالرجم بالحجارة في أي مكان بظاهر المدينة، واستخدموا الشنق أو الحرق أيضا، كما عرف قانون العقوبات العبري الغرامات، أما السجن فيعود ظهوره إلا بعد عصر السبي البابلي لبني إسرائيل، ومن بين العقوبات عقوبة النفي[1]، ويلاحظ في التشريع العبري كثرة الحكم بالإعدام في حالات كثيرة، مثل: الخيانة الزوجية والابن العاق وقتل النفس، أما الصلب فالرومان هم الذين أدخلوه إلى فلسطين[2] كما تعرضت الشريعة للأحوال المدنية والشخصية ونظمتها، وتعرضت وتعرضت إلى حقوق البيع والشراء بين أفراد المجتمع.

ثانيا- الأوضاع العسكرية: كان الملك قائد الجيش إبان الحرب ومعنى هذا القضاء تدريجيا على مكانة بعض الأسر والقبائل الإسرائيلية التي كانت تتولى من قبل الدفاع فتحظى بشرف النصر، وبعد تولي الملك قيادة الجيش إبان الحرب ساهم في إنشاء جيش عامل احترافي، يتولى قيادته وتدريبه رجال يعينهم الملك يدينون له بالولاء، وقد أصبحت مهنة الجيش مهنة ثابتة للجندي والضابط والقائد، وإن كانت المناصب الرئيسة فيه تسند في الغالب إلى أقارب الملك والمخلصين له ولبيته[3] – كما ذكرت سابقا - وقد كان الجنود ينفقون على أنفسهم لاسيما وأنهم لم يكونوا يتجندون إلا شهرا واحدا في السنة حسب النظام الذي فرضه داود في عهده[4].

وكان المحارب في نظر العبرانيين، هو كل شخص قادر على حمل السلاح، وسلاح المحارب البدوي عبارة عن فرس مكر مفر، وناقة هيفاء وحربة يحملها الفارس.

وأما التعبئة العامة، فكانت تتم عن طريق تجمع العشيرة حول فارسها. وإذا كان العدو شديد البأس والقوة فقد تستعين القبيلة بحلفائها الذين قد يهاجمون العدو كقوة واحدة وكانت الغنائم تقسم بينهم بعد تحقيق النصر مباشرة ثم يعودون إلى أرضهم[5].

ورغم ممارسة العبرانيين للحروب منذ دخولهم أرض كنعان إلا أن الحرب عندهم كانت تعاني من ضعف التطور والمهارة العسكرية وبقيت تفتقر للخبرة، فكانوا جبناء مترددين بطبيعتهم لا يندفعون إلا بما كان يحاول زعماؤهم وأنبياؤهم إلقاءه فيهم من حماسة وتشجيع، وخير دليل على ذلك ما جاء في التوراة من قصة "جالوت" الفلسطيني حين طلب منهم أن يخرجوا من يبارزه كما جاء في التوراة "فسمع شاؤول، وجميع إسرائيل كلام الفلسطيني هذا، ارتاعوا وخافوا جدا"[6].

---

(1) سفر الملوك الثاني 6: 26.

(2) محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، المرجع السابق، ج4، ص 679.

(3) فؤاد حسنين علي: المرجع السابق، ص 172.

(4) يوسف الدبس: المرجع السابق، ص 301.

(5) سفر صموئيل أول 17: 11.

(6) محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، المرجع السابق، ج4، ص 682.

وظل جالوت يخرج إلى الميدان طيلة أربعين يوما، في انتظار من يبارزه، لكن أحدا منهم لم يجرؤ على مبارزته، وعلى العكس من ذلك، فالعبرانيون عندما شاهدوا القوات الفلسطينية في الميدان فروا هاربين واختبأوا بين المقابر والفيافي والصخور وغيرها، وفيهم من ولى مدبرا نحو شرق الأردن، على أن الشعب كله ارتعد من وراء شاؤول[1].

وفي عهد جدعون عندما سار لمحاربة الميريانيين، كان تعداد جيشه اثنين وثلاثين ألف رجل ولما خاطبهم بقوله: "من كان خائفا مرتعدا فليرجع، وينصرف" فبدأ أفراد الجيش ينصرفون تباعا حتى ولم يبق منهم إلا ثلاث مائة رجل من اثنين وثلاثين ألفا[2].

وإن هذا أدق وأصدق دليل على جبن العبرانيين وخوفهم عبر التاريخ القديم على الأقل من مواجهة أعدائهم رغم ما كان يقوم به زعماؤهم وكهانهم من تحفيز وتشجيعات معنوية.

ويبدو أن العبرانيين رغم تأثرهم بالكنعانيين في شتى المجالات، إلا أن فن القتال عندهم بقي أدنى مما كان عليه عند الكنعانيين أو الفلسطينيين الذين نجحوا في تكوين قوات عسكرية نظامية تتكون من فرسان ومشاة مزودة بمركبات حديدية افتقر إليها العبرانيون إلا عند نزولهم المدن المحصنة، فأصبح لكل شيخ قبيلة قواته الخاصة التي كانت تتولى مهمة الدفاع عن القبيلة أو المدينة.

وظل المجتمع الإسرائيلي يتدرج في التطور حتى ظهور المملكة، فبدأ شاؤول بتكوين جيش نظامي، انظم إليه كل عبراني قادر ولم يعف من الخدمة العسكرية إلا الكهنة واللاويون[3].

وهناك أسباب أخرى لإعفاء بعض المواطنين من التجنيد حسب ما جاء في سفر التثنية[4] "**إذا غرس أحدكم كرما ولم يقطف ثمره، فليرجع إلى بيته لئلا يموت في الحرب فيقطف ثمره سواه، وأي واحد منكم خطب امرأة فلم يتزوجها فليرجع إلى بيته لئلا يموت في الحرب فيتزوجها رجل آخر" ثم يعود القادة فيخاطبون الشعب بقولهم: "من منكم كان خائفا ضعيف القلب فليرجع إلى بيته لئلا تصاب قلوب رفاقه كقلبه**".

ويعتقد أن الجيش العبراني منذ ذلك العصر أصبح مقسما إلى عدة فرق، فرق تتكون من ألف فرد، وأخرى عدد أفرادها مائة، وفرقة ثالثة من خمسين جنديا، وكانت كل مجموعة تحت إمرة قائد خاص[5]، وأما اللواء الضارب في الجيش فهو الذي كان يكون الحرس الملكي منذ عهد شاؤول ثم في

---

[1] سفر صموئيل أول 13: 6-7.

[2] سفر القضاة 7: 3-8.

[3] سفر العدد 2: 33.

[4] الإصحاح 20: 5-8.

[5] سفر صموئيل أول 8: 12، ص 17: 18 ص 18.

عهد داود من بعده، ويبدو أن داود كلف فيما بعد ضباط جيشه بإحصاء السكان حتى يستطيع تقدير احتياطي جيشه[1].

1- تنظيم الجيش: كان الجيش في عهد داود يتكون من عنصرين أساسيين هما:

أ. السبا SABA: تعني أفراد الحرس الملكي، وكان هذا الحرس يتكون من جماعة من رجال القبائل الأقوياء، يتم استدعاؤهم بصوت النفير، وبرفع الأعلام أو إشعال النار على التلال، ولم يكن لهم زيا موحدا.

كان داود يستقدمهم في محاربة الشعوب المجاورة في شرق الأردن، وكانوا يحملون معهم "تابوت العهد" إلى أرض المعركة، الذي كانت له أهمية مؤثرة أثناء الحروب، وأنه كان يمثل تحالف جميع القبائل العبرية[2].

ب. الجبوريم Gibborim: ويقصد بهذه الكلمة الجبابرة أي الأبطال، ومعظم هؤلاء الجنود الجبابرة كانوا من الأجانب وليسوا من الإسرائيليين، وغير هؤلاء الأبطال (جبوريم) هناك جنود فلسطينيين مرتزقة كانوا في خدمة داود أيضا. ويبدو أن حكام الأقاليم أي الولاة قد اتخذوا هم الآخرين حرسا خاصا[3] بهم مجاراة للملوك في ذلك العصر.

وقد تكونت النواة الأولى للجبوريم من ستمائة مقاتل، كانوا قد تجمعوا من قبل حول داود، عندما نفاه شاؤول أو بالأحرى عندما فر منه وكانوا يلقبون "برجال داود الأقوياء" وكان معظمهم من شعوب أجنبية، لكنهم كانوا يدينون بالولاء إلى داود شخصيا، وليس إلى القبائل العبرانية، وقد حقق بهم انتصارات هامة،[4] كانتصاره على الفلسطينيين واحتلاله لدولة المدينة "أورشليم[5]".

وتذكر التوراة أن داود لما هزم مملكة "أرام صوبة" استولى على مئات الخيول[6] غير أنه لم يكن يملك عربة واحد في ذلك الوقت، بل أنه كان يرى أن استعمال العجلة الحربية في جيشه أمرا ليس ضروريا رغم استعمالها من طرف أعدائه من الأراميين[7].

---

(1) محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، المرجع السابق، ج4، ص 683.

(2) محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل،المرجع نفسه، ص 684.

(3) سفر الملوك الأول 20: 14.

(4) محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، المرجع السابق، ج4، ص 684.

(5) أورشليم: ذكرت إشارة لمدينة القدس أو أوشاليم في النصوص المصرية السائدة منذ القرنين التاسع عشر والثامن عشر ق.م وكان اسمها على الأرجح روشاليم وذكرت بعد ذلك في رسائل كل العمارنة في القرن الرابع عشر ق.م باسم أروسالم. أنظر مصطفى كمال عبد العليم: المرجع السابق، ص 75.

(6) سفر صموئيل الثاني 8: 4.

(7) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ج4، ص 685.

ويعتقد أن سليمان أدرك في عهده ضرورة تكوين جيش قوي يدافع عن المملكة، وعن اقتصادها وتجارتها بصورة خاصة، ومن ثم فإن مختلف المصادر التاريخية وفي مقدمتها التوراة تنسب إليه وحدة تكوين سلاح الفرسان الذي أصبح يشكل سلاحا هاما في الجيش، كما أن سليمان هو أول من أدخل سلاح المركبات أو العربات الحربية في الجيش العبراني أو الإسرائيلي[1].

وبذلك كان سليمان أكثر تبصرا وبعد نظر عن أبيه داود حيث أدرك ضرورة مجاراة جيرانه ومواجهة أعدائه بأسلحة تكون في مستوى التطور لتحقيق توازن القوى وضمان الانتصار.

وحسبما جاء في التوراة فإن سليمان كان يملك ما بين 1400 ألف وأربعمائة وأربع آلاف حصان، وقد بنى ثكنات خاصة بفصائل العجلات الحربية، حيث اكتشف في "مجدو" وغيرها إسطبلات للخيول، وحضائر للعربات تتسع لحوالي خمسة عشر عربة وأربعمائة وخمسين حصانا[2].

والعربة الحربية كان يقودها قائد يتلقى تدريبات طويلة وشاقة لاستعمالها، ويظل في الخدمة العسكرية طالما كان قادرا على أداء مهامه ووظيفته وبذلك يصبح جنديا محترفا، ومع تزايد عدد العربات الحربية ازدادت الحاجة إلى الاستعانة بالجنود المأجورين لأن عددا قليلا من الإسرائيليين المكلفين بالخدمة العسكرية قد أصبحوا جنودا محترفين، لكن هذا لا يعني إعفاءهم من القيام بالمهمات العسكرية.

ويبدو حسب الروايات التوراتية أن هؤلاء الجنود، كانوا يعملون في بناء التحصينات والحضائر الخاصة بالعربات أيضا زيادة على العمل في مشاريع سليمان العمرانية الأخرى، وقد كان ذلك يتم عن طريق ما يعرف باسم "السخرة"[3] كخدمة للأعمال العامة، لبناء وصيانة التحصينات الدفاعية وخدمة الجيش[4].

ويعتقد أن المملكة قد اهتمت ببناء جيشها وتطويره والاحتفاظ به بسبب الحروب المستمرة مع جيرانها خاصة في عهد داود، فضلا عن خوضها الحروب التي كانت تشب باستمرار بين قبائل الشمال والجنوب[5]. وهكذا فإن الجيش العبراني قد بدأ بسيطا من المتطوعين وازدهر حتى أصبح منافسا

---

(1) فؤاد حسنين علي: المرجع السابق، ص 208.

(2) فؤاد حسنين علي: المرجع نفسه، ص 685.

(3) السخرة: هو العمل قهرا بلا أجرة، ويقال سخر، يسخر، تسخيرا غيره أي كلفه عملا بلا أجر، أو قهره وأذله قال تعالى: ﴿الله الذي سخر لَكُم البحر لتجري الفُلْك فيه بِأمره ولتبتغوا من فَضله ولَعلكُم تشكُرونَ﴾ (سورة الجاثية: الآية 12). أنظر علي بن هادية: المرجع السابق، ص 458.

(4) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ج4، ص 686.

(5) فؤاد حسنين علي: المرجع السابق، ص 209.

لجيوش الدول المعاصرة للمملكة العبرانية خاصة في عهدي داود وسليمان وهي مرحلة دراستنا في هذه المذكرة.

2- **الأسلحة وفنون القتال:** عرف الجيش العبراني نوعين من الأسلحة الخفيفة والثقيلة، واختصت كل قبيلة بنوع منها، فمثلا اختص سبط بنيامين باستخدام الأسلحة الخفيفة مثل القوس والمقلاع[1] بينما اشتهرت أسباط يهوذا وجاد ونفتالي باستخدام الرماح والمجن الصغير[2] أما المجن الكبير والدرع والخوذة فقد كانت هذه الأنواع من اختصاص الملوك وعظماء القوم، وحرم من استخدامها العامة والفقراء ونحن في هذا السياق قد نقف مشدودين أمام هذه الإشكالية التي سكتت عنها المصادر والمراجع.

وتذكر التوراة أن "أوريا الحيثي" هو أول من أدخل الدرع والخوذة إلى الجيش الإسرائيلي، كما أخذ العبرانيون عن الحيثيين عربة القتال وفيها ثلاثة جنود، السايس والمحارب وحامل المجن الذي يحمي الاثنين في المعركة[3].

ومن الأسلحة الخفيفة التي كان الجيش العبراني يستخدمها فضلا عن القوس والمقلاع الذي كان يعرف في اللغة العبرية باسم (قلع) فقد كان هناك سلاح الرعاة وهو عبارة عن سير من الجلد أو سير مجدول وفي وسطه جزء مسطح يشبه الكفة وفي هذه الكفة يوضع حجر ناعم.

وأما المقلاع فاستخدامه كان سهلا فعلى حامله أن يدير يده اليمنى على هيئة دائرة ومن ثم يترك أحد طرفي المقلاع فينطلق الحجر إلى هدفه[4] بينما كان القوس وهو المعروف في العبرية (قشت) فكان يصنع من الخشب القوي المرن كما كان يصنع أيضا من البرونز وتصنع أوتار القوس من أمعاء الجمال والثيران[5]. وكان القوس من الأسلحة الكثيرة الاستعمال عند العبرانيين الذي كان يصنع من الخشب الخفيف ويكون طرفه مدبب ينتهي بحجر صلب من صوان أو بقطعة من المعدن أو الحديد.

وكانت رؤوس السهام تسمم للفتك بالأعداء، وإذا كان الهدف إشعال النيران في معسكرات العدو، فقد كان رأس السهم يطلى بالغاز ويشعل ثم يطلق بسرعة على معسكر العدو، وكان الجنود

(1) سفر أخبار الأيام الأول 8: 40 و12: 2.

(2) سفر أخبار الأيام الأول 12: 8، و24 و32.

(3) سفر الملوك الأول 10: 28-29.

(4) فؤاد حسنين علي: المرجع السابق، ص 209.

(5) سفر أشعيا 49: 2.

يحملون السهام في كنانة، وأما المجن فكانوا يصنعونه من الخشب ثم يكسونه بطبقة أو أكثر من الجلد[1].

لقد قلّد العبرانيون جيرانهم الكنعانيين في تحصين مدنهم وحدودهم، حيث كان الكنعانيون يحيطون مدنهم بأسوار لرد المعتدين الذين كان سلاحهم الوحيد المقلاع أو القوس الذي لا تتعدى قوة تأثيره الثلاثين مترا. وأهم المدن التي حصنها الإسرائيليون أورشليم وسماريا ومجيدو وغيرها.

وقد سكتت التوراة عن ذكر فنون القتال[2] عند العبرانيين وعن كيفية إدارة المعارك في ساحات القتال، وعن الطريقة التي يتم بواسطتها استخدام الأسلحة المستعملة في المعارك، سواء كانت ثقيلة أو خفيفة، بل أشارت فقط إلى استعدادات الجيش للمعركة للقضاء على العدو، كما أشارت إلى طريقة المباغتة التي كان يستخدمها العبرانيون ليلا ضد العدو، فيركز قواته من جهة واحدة ثم يقوم بمهاجمة العدو من الجهة الأخرى لينقض عليه مستخدما صيحة القتال (ترع)[3].

أما القتال فكان يتم فرادى لإظهار مهارة المحارب وشجاعته وبسالته في القتال، وكان المعسكر يحاط بدائرة من العربات الحربية لتحصينه وحمايته ويظل الطريق مفتوحا تحت حراسة شديدة، وعند ضرب الحصار على مدينة ما يمنع وصول المياه المؤونة إليها، وكانوا يستخدمون المنجنيق في تحطيم الأسوار بعد التسلل إليها[4].

3- شريعة الحرب: وقد كان العبرانيون ينظرون إلى الحرب على أنها مقدسة والقائد الأعلى لجيوشهم هو "يهوه" فهو "رب الجنود" والحروب التي يقومون بها هي حروبه فهزيمتهم هي هزيمته والعياذ با ، فلذلك كانوا يعتقدون أن يهوه يحارب من أجل شعبه (إسرائيل) ويحارب إلى جانبهم بل يحارب بدلا عنهم لطرد أعدائهم وكان "يهوه" يسهل عليهم قتل أعدائهم ويحل لهم نهبهم وسلب أموالهم[5].

كما كان الاعتقاد أن "يهوه" يحمل التابوت المقدس إلى أرض المعركة، فهم بذلك كانوا لا يبدأون أي المعركة قبل استشارته، وتقديم القرابين له وذلك يفرض عليهم أن يكونوا في حالة طهارة تامة، مما يحتم عليهم اجتناب النساء فترة الحروب والمعارك "**إذا خرجتم لمحاربة أعدائكم فتجنبوا كل**

---

[1] فؤاد حسنين علي: المرجع السابق، ص .

[2] القضاة 7: 16؛ سفر صموئيل الأول 11: 11، 14: 13.

[3] سفر صموئيل الأول 17: 20.

[4] سفر صموئيل الثاني 20: 15 وسفر الملوك الثاني 19: 32.

[5] محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، المرجع السابق، ج4، ص 688.

نجاسة بحسب الشريعة"[1] وصيحة الحرب التي كانوا يبدأون بها معاركهم إرهابا لأعدائهم، إنما كانت في الواقع نداء لربهم يهوه.

وتختلف شريعة الحرب عند العبرانيين عن كل شرائع الحروب وأعرافها في التاريخ القديم على الأقل لما بلغته من قسوة ووحشية وهمجية لم تبلغها عند الأمم الأخرى المعاصرة لهم، وهذا ما تدعو إليه التوراة "**متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض، التي أنت داخل إليها لتمتلكها، وطرد شعوبا كثيرة من أمامك، الحيثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والجويين واليبوسيين، سبع شعوب أكثر وأعظم منك، ودفعهم الرب إلهك أمامك فإنك تحرقهم (تقتلهم) لا تقطع لهم عهدا، ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم**"[2].

وتستمر التوراة في حث بني إسرائيل على الذبح والتقتيل وارتكاب المجازر: "**إذا اقتربتم من مدينة لتحاربوها فاعرضوا عليها السلام أولا، فإذا استسلمت وفتحت لكم أبوابها فجميع سكانها يكونون لكم تحت الجزية ويخدمونكم، وإن لم يسالمكم... فأسلمها الرب إلهكم إلى أيدكم فحاربوا كل ذكر فيها بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وجميع ما في المدينة من غنيمة فاغنموها لأنفسكم... وأما مدن هؤلاء الأمم التي يعطيها لكم الرب إلهكم ملكا فلا تبقوا أحدا منها حيا، بل تحللون إبادتهم وهم الحيثيون والأموريون والكنعانيون والفرزيون والحويون والبيوسيون**"[3].

وهكذا دلت هذه النصوص التوراتية على شيء فإنها تدل على شريعة وعقيدة العبرانيين في الحرب فـ"يهوه" يأمرهم، باستعباد جميع الشعوب المجاورة لهم، إذا وافقت على الصلح وإن حاربتهم تضرب أعناق جميع رجالها وأما نساؤها وأطفالها وبهائمها فهم غنيمة للعبرانيين دون احترام لامرأة أو شفقة على طفل، بل إن وحشيتهم وروح الانتقام وصلت بهم إلى تخريب البلاد وحرق القرى والمدن، وقطع الأشجار وردم الآبار[4]، بل فكثيرا ما بقروا بطون الحبالى وقطعوا الأطفال بحد السيوف، وهذه الوحشية كانوا يطبقونها على بعضهم البعض في حروبهم أيضا[5].

كما أن شريعتهم تحثهم على طرد السكان الأصليين للأرض المغتصبة "اعلم اليوم أنت الرب إلهك هو العابر أمامك نارا آكلة، هو يبيدهم ويذلهم أمامك، فتطردهم وتهلكهم سريعا، كما كلمك الرب إلهك" وحشيتهم هذه كانت تنفيذا لأمر "يهوه" " رجل الحرب" الذي تصوره التوراة شرها متعطشا

(1) سفر التثنية 23: 10.

(2) سفر التثنية 7: 1-3.

(3) سفر التثنية: 20: 10-17.

(4) سفر التثنية 20: 19-20.

(5) فؤاد حسنين علي: المرجع السابق، ص 212.

للدماء، وكذلك أنبياؤهم فموسى عليه السلام يثور على قادة جيشه، لأنهم تركوا المديانيين (وهم أصهاره وأخوال أبنائه) أحياء "**اقتلوا كل ذكر من الأطفال، وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر**"[(1)].

ويأمر خليفة موسى وفتاه يوشع بعد الاستيلاء على "أريحا" بقتل كل ما في المدينة من رجل وامرأة وحرق المدينة بالنار مع كل بهائمهم[(2)]. بهذه الروح الهمجية دخل العبرانيون أرض فلسطين بقيادة يوشع، هدفهم هو إبادة السكان الأصليين دون شفقة ولا تمييز بين المحاربين وغير المحاربين[(3)].

ولم يسلم من هذه الوحشية نبي ا داود فتنزع عنه التوراة الرحمة والإنسانية وهو النبي الأواب[(4)]، وينسب إليه التعذيب وإلقاء الناس في أتون النار وسلخ جلودهم، ونشرهم بالمنشار ووضعهم تحت نوارج الحديد وفؤوسها، بالإضافة إلى الذبح الجماعي للعموبيين، وبذلك حولت التوراة القتل "**فريضة الشريعة التي أمر بها الرب موسى**"[(5)] و"**زكاة للرب، رجل الحرب**"[(6)] بزعمائها وملوكها وهم في الحقيقة أنبياء ا وصفوة قومهم حيث تصور لنا موسى كليم ا ونبيه بوحشية ولا إنسانية متناهية وهو الذي قال عنه ا سبحانه وتعالى:﴿قَالَ يا موسى إِني اصطَفَيتك علَى الناسِ بِرِسالاتي وبِكَلامي فَخذْ ما آتيتك وكُن من الشاكرِين﴾[(7)].

وكذلك الأمر بالنسبة لداود فكيف يجعله ا خليفة في الأرض وهو بتلك الوحشية والقسوة، قال تعالى: ﴿يا داوود إِنا جعلْناك خليفَةً في الْأَرضِ فَاحكُم بين الناسِ بِالْحق ولاَ تتبِعِ الهوى فَيضلك عن سبِيلِ الله إِن الذين يضلونَ عن سبِيلِ الله لَهم عذَاب شديد بِما نسوا يوم الْحسابِ﴾[(8)]. وقوله تعالى: ﴿اصبِر علَى ما يقُولُونَ واذْكُر عبدنا داوود ذَا الأَيد إِنه أَواب﴾[(9)]، ﴿إِذْ عرِض علَيه بِالْعشي الصافنات الجِياد﴾[(10)].

---

(1) سفر العدد 21: 21.

(2) سفر العدد 31: 1-8.

(3) عبد ا التل: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، د.ط، عصر الكتاب، البليدة-الجزائر، د.ت، ص 17.

(4) أواب: يذكر ا تعالى عن عبده ورسوله داود عليه السلام أنه كان ذا أيد والأيد القوة في العلم والعمل والقوة في الطاعة والأواب هو الرجاع إلى ا عز وجل في جميع أموره وشؤونه. أنظر: ابن كثير: تفسير القرآن، المصدر السابق، ج4، ص 45.

(5) سفر صموئيل الثاني: 12: 29-31.

(6) سفر خروج 13: 3.

(7) سورة الأعراف: الآية 144.

(8) سورة ص: الآية 26.

(9) سورة ص: الآية 17.

(10) سورة ص: الآية 31.

وهكذا ومن خلال دراستنا في هذا المبحث للأوضاع السياسية والعسكرية في المملكة العبرانية يتضح لنا التأثر الواضح للعبرانيين بجيرانهم في جميع المجالات، فقد أخذوا عنهم وراثة الملك وكيفية تسيير أمور المملكة، فتعددت من خلالها وظائف الملك الذي استأثر بالكثير من السلطات وما ترتب عن ذلك من انعكاسات تأرجحت بين التأييد والمعارضة، كما أن الوضع الجديد دفعهم إلى الاهتمام بالجيش وتطويره على غرار ما كان لدى الشعوب المجاورة، لكن الملاحظ أنهم اكتسبوا عن جيرانهم كيفية تنظيم الجيش وتسليحه إلا شريعة الحرب التي كانت تحتهم على العنف والانتقام البشع الذي لم تتبعه الشعوب الأخرى في المنطقة.

المبحث الثاني- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية: بعد قيام المملكة عند العبرانيين بدأ الطابع الاقتصادي والاجتماعي في التحول تماشيا مع التحول السياسي وتأثرا بالبيئة الكنعانية المحيطة بهم، فحل نمط اقتصادي جديد محل الاقتصاد البدائي الذي كان سائدا من قبل، وبدأ المجتمع يتحول عن القبيلة والبداوة التي اتسم بهما أثناء عصر القضاة، وهذا ما سنحاول دراسته في هذا المبحث من خلال تتبعنا للمتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي عرفها العبرانيون.

أولا- الأوضاع الاقتصادية: لقد انعكس التطور السياسي في العهد الملكي على الأوضاع الاقتصادية التي كان لابد لها من مجاراته وتحول العبرانيون من البداوة وحياة التنقل والترحال إلى حياة الاستقرار في المدن وممارسة الزراعة والصناعة وغيرها من الحرف والتي من بينها:

1- الرعي: لقد كان العبرانيون شعبا من البدو الرحل يتجولون بقطعانهم في المراعي الفسيحة، فأقاموا في بقاع مختلفة بين البادية والزرع بين شبه الجزيرة ووادي الرافدين ووادي النيل، وقد عاشوا بين أخصب الأراضي وبين أفقرها يجرون وراءهم قطعانهم بحثا عن المراعي والمياه، وقد كانت حرفة الرعي وخاصة رعي الأغنام أولى الحرف التي مارسها العبرانيون.

فكانت حياة الرعاة الحياة المثالية في المجتمع العبراني، من عصر الآباء الأولين، وحتى "يهوه" نفسه فقد كان يوصف بأنه الراعي الأمين لشعبه[1] وحتى الملوك أنفسهم اهتموا بهذه الحرفة بل وباشروها بأنفسهم، وقد كان النبي موسى عليه السلام راعيا لغنم صهره شعيب، ولذلك فقد اهتمت بها الشريعة والطقوس الدينية[2].

---

(1) سفر التثنية 8: 13؛ سفر صموئيل الأول 17: 16-36.

(2) سفر التثنية 8: 13؛ سفر أرميا 31: 27.

ووقد مارسوا حرفة الرعي منذ وصولهم إلى مصر في عهد سيدنا يوسف عليه السلام، حيث طلب منهم يوسف أن يقولوا لملك مصر **"كنّا يا سيدي أصحاب ماشية من صغرنا إلى الآن نحن وآباؤنا جميعا"**[1].

والملاحظ من خلال بحثنا في هذا الموضوع أن حياة الرعاة كانت قاسية متعبة، فالراعي هو المسؤول الأول عن ماشيته يجمعها ويهدي الضالة ويعالج المريضة منها، ويستخرج الماء من النبع لسقياتها، ويحميها من الحيوانات المفترسة[2]، وفي المساء يسوقها إلى حضائر تحيط بها أسوار من الحجر[3] وإلى جوارها مجدل للدفاع عنه[4] ثم يحصيها قبل المبيت، وإذا فقد أحدها يبحث عنها إلا إذا افترستها الحيوانات البرية[5].

وكان الراعي يحمل معه حقيبة من الجلد يضع فيها طعامه[6] وعصاه[7] التي كانت تنتهي بجزء مستدير، وهي سلاحه الوحيد، ويحمل معه المقلاع[8] والكلاب[9]، والناي الذي كان لا يفارقه أبدا[10].

أما أجره فكان ضئيلا، قد يكون نقدا، أو بعض الخراف التي يرعاها كما يفهم ذلك من قصة يعقوب[11]، وكانت الأرض ملكية جماعية للقبيلة يستغلونها إلى حين جفاف عشبها وهكذا كانت قطعان الحيوانات هي أساس الثروة تستأثر بها جماعة دون أخرى[12]، وكانت الثروة تقدر بمقدار ما يملكه الشخص من أغنام وغيرها.

وقد استمر العبرانيون في ممارسة هذه الحرفة بعد دخولهم أرض كنعان وحتى بعد تحول بعضهم إلى الحياة الزراعية خاصة في الهضاب الجنوبية.

---

(1) سفر التكوين 46: 34.
(2) سفر صموئيل الأول 17: 34؛ فؤاد حسنين علي: المرجع السابق، ص 124.
(3) سفر العدد 32: 16.
(4) سفر التكوين 36: 6.
(5) سفر الخروج 22: 9-12.
(6) سفر صموئيل الأول 17: 40.
(7) سفر ميخا 7: 14.
(8) سفر صموئيل الأول: 14: 40.
(9) سفر زكريا 11: 13.
(10) سفر القضاة 5: 16.
(11) سفر التكوين 30: 28.
(12) محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، المرجع السابق، ج4، ص 644.

2- الزراعة: أقام العبرانيون كما عرفنا سابقا في بقاع شتى متنقلين ما بين البادية والزرع بين وادي الرافدين، ووادي النيل، عاشوا بين أخصب الأراضي وبين أفقرها، وكانوا يحلمون بأرض تجري فيها الأنهار، وتسيل لبنا وعسلا كتلك الأرض التي تصورها المصريون في العالم الآخر، ولعل الرغبة في الحصول على هذه الأخيرة، والازدراء والكره لحياة البداوة والقسوة يوضح لنا الصلة بين الحضارة والأرض[1].

فقد كانت مثلا قيم المجتمع في بلاد الرافدين ووادي النيل تناقض قيم أهل البادية ومنهم العبرانيون الذين كانوا يعتبرون الاستقرار والفلاحة حرمانا من الحرية الشخصية واعتماد الفلاح على الزرع هو لون من ألوان الرق، ولهذا كانوا ينفرون من العمل فيها.

وعندما وصل العبرانيون إلى أرض كنعان أخذوا عن الكنعانيين أسلوب الحياة الزراعية والاستقرار[2] فاستبدلوا الخيمة بالمنزل، وتطورت دائرة خيام الوافدين إلى أن تحولت إلى مدن محصنة. وقد كانت أرض كنعان ومناخها من العوامل المشجعة على الزراعة حيث كان بها من الأمطار ما يكفي حاجة الزراعة التي لا تعتمد في ريها على الأنهار، بل تنال ما تحتاج إليه من الرطوبة من ماء المطر الذي لا ينقطع عنها قط[3].

وبذلك أصبح العبرانيون مرتبطون بالفلاحة والأرض، التي اعتبروها توجيها من ربهم "يهوه"، وبدأوا في توزيع الأراضي المغتصبة على القبائل عن طريق القرعة[4]، وسرعان ما تلاشت الملكية الجماعية، وظهرت تدريجيا الملكية الفردية، والاستقرار النهائي في الأرض، فبدأ العبراني بزراعة قطعة معينة من الأرض، استأثر بإنتاجها دون غيره من الناس، وبذلك بدأ يشعر بحقه في البقاء فيها هو وأولاده من بعده، وتبلورت فكرة الملكية الخاصة للأرض، سواء كانت ملكية أسرة أم ملكية فردية، وحلت محل الملكية الجماعية[5] التي كانت سائدة في بداية عهدهم بالاستقرار وممارسة الزراعة.

وقد استخدم العبرانيون وسائل زراعية أخذوها عن الكنعانيين ثم تطورت خاصة في عهد الملكية ومن بين هذه الوسائل المحراث[6] الذي كان يستخدم في حرث الأرض ثم بعد ذلك يمهدها[7]. وكان يزرع فيها في بعض الأحيان أكثر من صنف، وأما الحصاد فكان يتم بواسطة المنجل ثم يحمل

---

(1) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص 409.

(2) طه باقر: المرجع السابق، ص 282.

(3) ول وايريل ديورانت: المرجع السابق، ص 322.

(4) سفر العدد 26: 52-56؛ 33: 54، 24.

(5) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ج4، ص 664.

(6) سفر أشعيا 28: 24.

(7) سفر أشعيا 48: 24.

إلى كل مرتفع ويدرس بالنورج[1] وأحيانا كان يستعان بالثيران أو الحمير التي تترك على الحصاد فتهرسه وتدرسه، كما استخدموا العربة أو العجلة[2] للدرس أيضا وإذا كانت الكمية صغيرة فتدرس بواسطة عصا تدق بها[3] ثم تذرى الحبوب بالمداري[4] وتحفظ بعد ذلك في حفر بالحقل يعرف باسم (مطمونيم)[5]، وكان التبن يقدم علفا للماشية إلى جانب الشعير.

وأهم المنتجات الزراعية في المملكة: زراعة الكروم التي كانت زراعتها منتشرة إلى درجة أن الشعراء كانوا يصورون الأمة على شكل كرمة، وقد اشتهرت بها أرض كنعان منذ القديم[6] والجلوس في ظلها يبعث على الهدوء والسلام[7] وكانت حقول الكرم تحرث وتقلب مرتين أو ثلاث في السنة، ويقومون بتقليم الأشجار بعناية فائقة، أما عناقيدها فقد تنمو على الأرض أو على الأعمدة والأشجار[8] كانوا يستخرجون منها النبيذ الأسود المعروف في العربية باسم "وين" وفي العبرية (يين).

وقد كان النبيذ يحضر بجمع العنب في حوضين عميقين نحتا في الصخر، وفي قاع إحدى الحفرتين فتحة يسيل منها العصير إلى الحفرة الأولى، فقد يضاف لهما حفرة ثالثة يجري إليها العصير من الحفرة الثانية فيكون أكثر نقاء وصفاء[9].

أما عملية عصر العنب فكانت تتم باستخدام القدمين، أو الاستعانة بالحجارة، ثم يجمع في قوارير أو قرب ليختمر، ويترك مدة من الزمن لتعاد تعبئته[10] وكان الخمر يستخدم لتقديمه في الهيكل، وتظهر الكروم والعنب على الفسيفساء وأعمال النحت في المعابد والمدائن القديمة[11].

وتعد أشجار الزيتون أهم الزراعات القديمة في المنطقة ولو أن ذكرها لم يرد إلا في سفر الملوك، وكان الزيت يستخرج بجمع ثمار الزيتون قبل نضجها ويتم عصرها في حدائق الزيتون نفسها، وهناك نوع ممتاز من الزيت يستخرج بدون عصر الزيتون عصرا نهائيا "بضوضا"[12]، ويطلق عليه

---

(1) سفر أشعيا 28: 74، 41: 15.

(2) سفر عاموس 1: 3.

(3) سفر قضاة 6: 11.

(4) سفر أشعيا 30: 24.

(5) سفر أشعيا 30: 24؛ سفر أرميا 15: 7.

(6) سفر القضاة 97؛ وسفر يوشع 2: 10 و14.

(7) سفر الملوك الأول 5: 5؛ فيليب حتى، ص 226.

(8) سفر أشعيا 7: 23؛ سفر مزمور 80: 11.

(9) فؤاد حسنين علي: المرجع السابق، ص 137.

(10) سفر أرميا 48: 11.

(11) فيليب حتى: تاريخ سوريا، ص 227.

(12) سفر الخروج 27: 20، 29؛ سفر الملوك الأول 5: 25.

أيضا زيتا رطبا[(1)] وقد وجدت نفايات الزيتون بكميات كبيرة في مدينة لاخيش مما يدل على أن هذه الصناعة كانت ذات أهمية كبرى في عصر الملكية[(2)].

وقد كانت أرض الميعاد "**أرض حنطة وشعير وكرم وتين ورمان، أرض زيتون وزيت وعسل**"[(3)]، وعليه فقد كانت زراعة الحبوب ذات أهمية بالغة، وفي مقدمتها القمح، فغزوات الأعداء كانت تتوجه غالبا ضد البيادر وقد اكتشفت رحى صغيرة في أماكن عديدة لطحن القمح[(4)].

وعليه فقد كان القمح بالإضافة إلى العسل والزيت والتوابل والتين من أهم صادرات المملكة إلى فينيقيا على وجه الخصوص لأن مساحتها الزراعية الضيقة لا تكفي حاجيات مدنها الكبيرة، وأما الزيت فكان يصدر إلى مصر بالدرجة الأولى. ومن ثمة فإن العلاقة الاقتصادية خاصة منها التجارية كانت قديمة بين العبرانيين والمصريين وقد تعود لأن العبرانيين كانوا قد أقاموا بمصر في عهد موسى – كما ذكرنا سابقا-.

ويذكر المقديسي المحاصيل الفلاحية التي كانت ومازالت تزخر بها أرض الشام قائلا: "وقد اجتمع في باكورة فلسطين ست وثلاثون شيئا لا تجتمع في غيرها كالتين السباعي والدمشقي والعناب وقصب السكر والتفاح الشامي والرطب والزيتون والجوز واللوز والموز والكرنب والترمس ولبن الجواميس والشهد...الخ"[(5)].

وكانت تكثر بها الأزهار أيضا كالزنبق أو السوسن الذي ظهر في زخارف الهيكل وعلى النقود فيما بعد، وقد كثرت الإشارة إليه وإلى غيره من النباتات في نشيد سليمان، وربما كان هذا الاسم يشمل أيضا شقائق النعمان والأقحوان التي كانت تزيد المنطقة رونقا وجمالا في فصل الربيع[(6)] وقد قال المسيح عليه السلام: "**ولا سليمان في كل مجده لبس كواحدة منها**"[(7)].

وخلاصة القول أن العبرانيين كانوا بدوا منتقلين عرفوا الاستقرار بعد استيطانهم في أرض كنعان، وهناك اقتبسوا عن الكنعانيين الزراعة وفنونها ثم استخدموا المنتجات الفلاحية كمواد تجارية تعاملوا بها مع الدول المجاورة وقد ساعدهم على ذلك طبيعة المنطقة ومناخها الملائم كما عرفنا سابقا.

---

(1) سفر مزمور 92: 10.

(2) فيليب حتى: تاريخ سوريا، ص 226.

(3) سفر التثنية 8: 8.

(4) فيليب حتى: تاريخ سوريا، ص 226؛ ول وايريل ديورانت: المرجع السابق، ص 322.

(5) المقديسي: المصدر السابق، ص 154.

(6) فيليب حتى: تاريخ سوريا، ص 227.

(7) إنجيل متى 28: 29.

3- الصناعة والحرف: لم تلعب الصناعة دورا كبيرا في الحياة الاقتصادية للمملكة العبرية، وذلك لأن أرض كنعان كانت بلدا زراعيا بالدرجة الأولى، ومجالات الصناعة بها كانت قليلة لا تتعدى بعض الحرف التي اقتبسها العبرانيون عن جيرانهم الفينيقيين والكنعانيين وأعدائهم الفلسطينيين كما ورد في الأدب العبراني[1].

وقد اضطر سليمان إلى الاستعانة بالصناع من صور والنجارين من "بيبلوس" عند بناء المعبد والقصر، وكان الحرفيون ينتشرون في الغالب بالقرى والمدن المحصنة، ولم يكن لدى العبرانيين حرفيين مهرة، كما كان عند جيرانهم، فلذلك طلب سليمان من حليفه "حيرام" أن يرسل إليه نجارين "**لأنه ليس بيننا من يعرف قطع الخشب**"[2] والنجار يسمى في العبرية (حرش عص)[3].

وكان النجار عند العبرانيين يعمل صانعا للأثاث وفي نفس الوقت بناءا وحفارا وحطابا يقطع الأخشاب، ويعتقد أن النجار إضافة إلى عمله الرئيس في النجارة كان يمارس العمل في المعادن والحجارة، وكان يصنع الأثاث من موائد وكراسي وغيرها من الأدوات المنزلية والأدوات الزراعية أيضا ومن أدوات النجارة كان يستخدم المنشار والبلطة[4] والفأس[5] والفارة والأزميل والمطرقة[6] بالإضافة إلى الفرجار[7].

أما صناعة النسيج، فقد كانت مقتصرة على صناعة الأقمشة الشعبية، أما الأقمشة الراقية والرفيعة والخاصة بعلية القوم فكانت تستورد من الخارج وخاصة من مصر وبابل وفينيقيا، وقد عرفت هذه الصناعة تطورت تطورا ملحوظا بمرور الزمن، فأصبحوا يستخدمون خيوطا من الذهب في الأقمشة الفاخرة وينسجون الأقمشة الملونة.

وقد كان غزل الكتان والصوف من عمل النساء، أما الرجل فكان يحول جلد الماعز أو الغنم إلى قرب أو إلى جلد مدبوغ لصناعة الخفاف وغيرها. ويقوم الغسالون بغسل المنسوجات الصوفية خارج المدن نظرا للروائح الكريهة التي تنبعث منها، وقد حرمت الشريعة عند العبرانيين خلط الكتان بالصوف.

---

(1) Alfred Bertholet : Op.cit, P 243.

(2) سفر الملوك الأول 5: 6.

(3) فؤاد حسنين علي: المرجع السابق، ص 131.

(4) سفر القضاة 9: 48.

(5) سفر التثنية 19: 5.

(6) سفر الملوك الأول 6: 7.

(7) سفر أشعيا 44: 13-14.

ومن المهن المحتقرة عندهم حرفة الدباغة، وكان العبرانيون يدبغون الجلود لصناعة كل ما يحتاجون إليه. وتدريجيا وبعد احتكاك العبرانيين بالكنعانيين أخذوا يتعلمون مختلف الحرف مثل البناء وصناعة الحلي وصناعة الذهب والفضة، إذ كانت هذه الحرف مجهولة عندهم، وقد طلب الملك سليمان من صديقه حيرام أن يرسل إليه "**رجلا حكيما في صناعة الذهب والفضة والنحاس والحديد والأرجوان والقرمز ماهرا في النقش**"[1] مقابل "**عشرين ألف كر من الحنطة وعشرين ألف كر شعير، وعشرين ألف بث خمر وعشرين ألف بث زيت**"[2] يرسلها إليه سليمان.

وعلاوة على تلك الحرف فقط ظهر هناك حرفيون في مجالات أخرى مثل "صانع الفخار" الذي كان يقلد النماذج الأجنبية، إذ لم يظهر هناك نموذج عبراني محض، وقد انتشرت صناعة الفخار في عدة مدن من بينها مدينة أورشليم[3] وفي مدينة حبرون وبيت جبرين وكان ذلك الانتشار بسبب توفر الصلصال هناك.

وامتازت المدن عن القرى بالتخصص في الحرف، فكان في أورشليم خبازون محترفون يعيشون في أحياء خاصة كحارة الخبازين، والخبازون في العبرية (أقيم) وإلى جانبهم كان هناك العطارون ومفردها عطار ويسمى بالعبرية (رقح) كانوا يقومون بصناعة وتركيب مختلف العطور بالإضافة إلى وجود الحلاق (جلاب) الذي يتولى مهمة الحلاقة[4].

وقد كان هناك من يعملون في صناعة الحلي من الذهب، ومن يصنع الذهب يطلق عليه في العبرية (صوريف) وتقابلها في العربية كلمة صراف، ويقوم الصائغ بتذويب الذهب والفضة ليصبح المعدن أكثر طواعية لصياغته بإضافة البورق إليه[5]. وتصنع منها الخواتم والأساور والحجول، وكان الصائغ خبيرا باللحام، وقد استخدمت خيوط الذهب في الأقمشة التي استوردت في عهد سليمان من "أوفير"[6].

وهناك حرف محتقرة لديهم لا يبلغ صاحبها مكانة رفيعة بين أفراد المجتمع ورجال الدين مثل الدباغة التي كانت تقام عادة خارج المدن. ونظرا لتوفر المعادن في المنطقة، فقد ظهر هناك عمال المعادن أو ما يعرف بالعبرية (حرش) ومعناه (نقاش حفار- صاحب صبغة) ففي دمشق مثلا كان

---

(1) سفر أخبار أيام ثان 2: 7.

(2) سفر أخبار أيام ثان 2: 10.

(3) سفر أرميا 18: 2-4.

(4) سفر صموئيل الأول 8: 13؛ وسفر الخروج 30: 35؛ سفر حزقيال 5: 1.

(5) فؤاد حسنين علي: المرجع السابق، ص 130.

(6) أوفير: تقع في الجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية كان سليمان يجلب منها الذهب وخشب الصندل والحجارة الكريمة. أنظر محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ج4، ص 710.

النحاس[1] وفي لبنان النحاس والحديد معا[2]، وقد استفاد منها سليمان كثيرا في بعث النهضة الصناعية في مملكته[3].

وقد ازداد استخدام النحاس في عهد سليمان، وبسبب علاقة الصداقة والتحالف التي تربط سليمان بحيرام[4] أصبح استخدامه شائعا عند العبرانيين، حيث كانت تصنع منه الحراب والمدي والمسامير والحلي وغيرها وانتشرت صناعة البرونز في العهد الملكي خاصة فيما يتعلق بصناعة الأسلحة.

وأما صناعة الحديد فقد اشتهرت وازدهرت أكثر من عهد داود، حيث أشارت أسفار العهد القديم إلى انتشار المركبات الحربية الكنعانية المطوقة بالحديد وكان داود كما عرفنا سابقا أول من استخدم هذه المركبات في حروبه ضد الفلسطينيين، كما استخدم الحديد أيضا في صناعة الآلات والأبواب والدروع الحديدة والسلاسل والفؤوس والمسامير والمقابض، وكان الحديد يستورد من لبنان، حيث اقتبس العبرانيون عنهم طريقة صهر الحديد في أفران خاصة[5] في عصيون جابر[6] التي كانت كانت مركزا صناعيا لصهر النحاس والحديد في عهد سليمان الذي وصف بأنه "ملك النحاس العظيم" وأعظم مصدري النحاس في العالم القديم[7]. وقد اكتشف "سير فلندرز بترى" في (جمة) معامل لاستخراج الحديد، كانت أصغر بكثير من التي كانت في عصيون جابر.

ويبدو أن داود أخذ عن الفلسطينيين طريقتهم السرية في صهر الحديد كثمن لهزيمتهم لأن هذه الصناعة تعد من أهم الصناعات الإستراتيجية في المملكة بما كانت توفره من أسلحة وعتاد حربي، قال تعالى: ﴿وأنزلْنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾[8].

---

(1) سفر الخروج 28: 5، 23: 2. Alfred Berrholet : Op.cit, P 244

(2) سفر صموئيل الثاني 8: 8.

(3) سفر التثنية 8: 9 وسفر زكريا 6: 1.

(4) سفر الملوك الأول 2: 28؛ فؤاد حسنين علي: المرجع السابق، ص 129.

(5) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ج4، ص 670.

(6) عصيون جابر: تقع بجانب وادي عربة والنقب، وهي محصورة بيت تلال أدوم من الشرق، وتلال فلسطين من الغرب، وكانت تستفيد من الرياح الشمالية في تأجيج النار اللازمة للتكوين، كما أن المنطقة الواقعة بعد البحر الميت وخليج العقبة غنية بالنحاس. محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ج4، ص 679. وكان يظن سابقا أنها تقع عند "عين الغديان" في قعر وادي العربة وقد اكتشفتها بعثة أمريكية برئاسة نلسون جلوك فيلا موقع تل الخليفة، على بعد 500 مترا من ساحل البحر، شمال خليج العقبة، ويذهب بعض الباحثين أن المدينة عرفت بعد ذلك باسم Berencie. أنظر جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، ط1، بيروت، 1968، ص 637.

(7) جواد علي: ج2، ص 714.

(8) سورة الحديد: الآية 25.

وكان داود أول من أدخل صناعة الحديد، وقد ذكرت التوراة أنه لم يكن عند العبرانيين حداد قبل ذلك لأن الفلسطينيين منعوهم من صناعة الحديد، وكان ذلك لمنعهم من صنع الأسلحة، فكانوا يذهبون إلى أرض فلسطين لشحذ السكك والمناجل والفؤوس والمعاول التي تحتاج إلى ذلك[1].

ويرى بعض الباحثين أن تلك المناجم التي كانت خالية من نظام التهوية، وكان يعوزها الماء الضروري للإبقاء على حياة العاملين فيها في ظل الحرارة القاتلة، إذ كانت قيمة حياة الإنسان ضئيلة في مناجم سليمان، بل كانت المناجم هي المكان الذي ينفى إليه العبيد من أجل الديون والعصاة والرهائن الذين كان عددهم يتزايد يوما بعد يوم[2]. ومن ثمة فهي بمثابة مكان للأعمال الشاقة المميتة والقاسية على العمال الخالية من ضروريات الحياة وعناصرها (الأكسجين، الماء،...الخ).

4- **التجارة:** كان موقع أرض كنعان في مفترق الطرق التجارية سيرا بين بلاد العرب وبين مصر وبابل وآسيا الصغرى، وبذلك فإن هذا الموقع قد أهلها لأن تصبح مركزا تجاريا هاما في المنطقة، تمر بها القوافل التي تنقل في الغالب الفضة من آسيا إلى مصر، والذهب من بلاد النوبة والخشب من لبنان، والبخور والبهار من جنوب بلاد العرب، وقد بينت شريعة حمورابي المكانة التي بلغتها التجارة في ذلك الوقت حتى نشأ ما يعرف بالقانون التجاري[3]. حيث استفادت من ذلك كنعان، وعند قدوم العبرانيين، كانت كل أسرة تصنع حاجياتها دون المساهمة في التجارة داخليا أو خارجيا. كما أن العبرانيين كانوا يفتقرون لبضائع أو منتجات يتاجرون بها ماعدا الملح المستخرج من البحر الميت والحلي والطلاسم، وحتى هذه الموارد لم يستغلها العبرانيون في التجارة كما كان الحال بالنسبة للكنعانيين[4]. وهذا في بداية عهدهم واستقرارهم بالمنطقة.

ويبدو أن الوضع بدأ يتغير بتغير أوضاع العبرانيين وتأثرهم بالحضارات المجاورة بعد زيادة مبادلاتهم مع جيرانهم خاصة في عهد الملك سليمان الذي امتاز عهده بنشاط تجاري واسع ومتطور[5] حتى أطلق عليه بعض المؤرخين تسمية (الملك التاجر) إذ ازدهرت في عهده التجارة وأخذت من اهتمامه وتدبيره مكانا هاما، فقد جعل سليمان العربات التي أنشأها للدفاع عن المملكة ومواجهة الأعداء في الحروب وجعلها في خدمة التجارة[6].

(1) محمد عزة دوررة: المرجع السابق، ص 139.

(2) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ج2، ص 715.

(3) فؤاد حسنين علي: المرجع السابق، ص 133.

(4)Alfred Bertholet : Histoire de la civilisation d'Israël, Payot, Paris, 1953, P 245.

(5) سبتينو موسكاتي: المرجع السابق، ص 143.

(6) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ج2، ص 684.

ويعتقد أن ازدهار التجارة ونجاحها يعود إلى سيطرة سليمان التامة على الطرق التجارية في فينيقيا وأرض كنعان والتي كانت قائمة منذ عهد أبيه داود، كما أنه احتفظ بحقوقه على طرق القوافل التي كانت تمر عبر أراضي "أرامي دمشق" أو تلك التي كانت تمر عبر أراضي الأدوميين. ويبدو أن سليمان قد تفطن بفضل حنكته وبعد نظره، إلى أن سيطرته على طرق التجارة تتطلب منه إنشاء مراكز تجارية عبر الطرق التي كانت تسلكها القوافل التجارية بمملكته والعمل على تحصينها لتوفير الأمن لمرتديها، فأصبحت بذلك المملكة في عهده همزة وصل بل جسرا يربط آسيا وإفريقيا[1].

وقد استغل سليمان علاقاته الطيبة بالدول المجاورة له خاصة مع مصر في تأمين حدوده الجنوبية، واستفاد من علاقات الصداقة التي كانت تربطه بحيرام ملك صور حيث ساهمت في حماية وتأمين مواصلاته مع المدن الفينيقية الأخرى، وهذا ما سهل على القوافل التجارية ارتياد هذه الطرق بأمان وسلام من مصر إلى بلاد النهرين ومن فينيقيا إلى الجزيرة العربية، وكان لعائدات التجارة مساهمة كبيرة في ازدياد الثروة والرخاء في عهد سليمان، من خلال الإتاوات والرسوم التي فرضها على القوافل التجارية[2].

وحسب بعض المؤرخين إلى أن العبرانيينكان يفتقرون لسلع أو منتجات يصدرونها لكنهم رغم ذلك اشتغلوا كوسطاء في التجارة. ولذلك اتجه سليمان إلى تجارة الخيول[3] التي كان يستوردها من سوريا ومصر، والأقمشة القطنية البيضاء التي كان يستوردها من مصر، ويعتقد البعض أن حكومة سليمان احتكرت لنفسها التجارة الخارجية تصديرا واستيرادا.

ورغم الانفتاح والازدهار الذي عرفته التجارة في العهد الملكي خاصة في عهد سليمان فإنها عجزت على بلوغ مكانة ودور فينيقيا التي احتكرت التجارة في المنطقة، بل فإن المملكة العبرانية كانت عبارة عن سوق لترويج البضائع الأجنبية بسبب وتخلفها الصناعي مقارنة بجيرانها[4].

وبذلك نستنتج بعد هذه الدراسة للأوضاع الاقتصادية في المملكة العبرانية التطور التدريجي الذي عرفه اقتصاد المملكة في مختلف المجالات سواء كانت الزراعة التي اقتبسوها عن الكنعانيين، إذ كانوا بدو متنقلين لم تكن لهم دراية بالزراعة أو الصناعة أو حتى التجارة التي ازدهرت بفضل الموقع الذي احتلته المملكة والذي جعلها في مفترق الطرق التجارية في المنطقة، وبتنوع اقتصادها فقد عرفت المملكة أزهى عصورها في عهد الملك سليمان حيث عم الرخاء والازدهار والأمن والاستقرار

---

(1) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ج2، ص 684.

(2) فيليب حتى: تاريخ سوريا، المرجع السابق، ص 207.

(3) فؤاد حسنين علي: المرجع السابق، ص 238.

(4) سفر الملوك الأول 20: 34؛ وسفر التكوين 37: 25.

ثانيا- الأوضاع الاجتماعية: يشكل المجتمع محورا جوهريا في التاريخ العبراني القديم، وخاصة في العصر الملكي، وهذا ما سنتعرض إليه من خلال البحث لأنه يعالج جدلية الانتقال بين البداوة والتمدن، بين حياة التنقل والترحال وحياة الاستقرار في المدن، وبداية ظهور التمايز الاجتماعي والطبقي ودراسة دور الأسرة العبرية وتطور أساليب معيشتها ومدى تأثرها بالشعوب المجاورة وقد كان كل ذلك نتيجة حتمية للتطور السياسي والاقتصادي في العهد الملكي.

1- طبقات المجتمع العبراني: لقد عرف المجتمع العبري في ظل النظام الملكي نوعا من التمايز الطبقي الذي ظهر مع التغيرات الاجتماعية التي كانت انعكاسا للتغيرات السياسية والاقتصادية، وقد كان المجتمع العبري يتكون من:

أ- طبقة الأحرار: لم يكن في الواقع أي تمييز بين المدنيين الأحرار الذين كانوا ينعمون بنفس الحقوق بعد وصولهم سن البلوغ والتي حددتها التوراة بسن العشرين، وتعد في نفس الوقت السن الأدنى للانخراط في الجيش[1] وبدأت تظهر لديها الملكية الخاصة للأراضي الزراعية ولو على شكل ملكيات صغيرة، بعدما تعودت على أن تكون أراضي المرعى وينابيع المياه ملكية جماعية بين أفراد القبيلة في ظل حياة البداوة السابقة.

ب- طبقة العبيد: علاوة على وجود طبقة الأحرار كانت هناك طبقة العبيد، والتي تتشكل من العبرانيين والأجانب الذي يشكلون الأغلبية وأكثرهم من أسرى الحروب، لأن التوراة – وكما عرفنا سابقا – تحرم استعباد العبري وإذا وقع العبري في العبودية فهي تطالب بتحريره "**حتى يطلق كل امرئ عبده وأمته، العبري والعبرية حرين فلا يستعبد أحد إنسانا يهوديا من إخوته**"[2].

لقد كانت تجارة الرقيق محتكرة من طرف الفينيقيين، فالعبد في الشرق الأدنى القديم كان ينظر إليه على أنه مجرد ملكية منقولة لسيده[3] وعليه فقد حاولت التوراة حماية العبيد في أحوال ووضعيات معينة، فالسيد الذي يتلف عين عبده أو سنه عليه فك رقبته[4]. بينما السيد الذي يسرف في ضرب عبده حتى الموت لا يعاقب ومع ذلك فالسبت يعتبر يوم راحة للعبيد كما هو بالنسبة للمدنيين الأحرار والعبد الأجنبي يجب إيواؤه وحمايته إذا فر من مالكه ولا يصح رده إلى سيده[5] لأن فراره دليل على سوء معاملة سيده.

---

(1) سبتينو موسكاتي: المرجع السابق، ص 167.

(2) سفر أرميا 34: 9.

(3) محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، المرجع السابق، ص 583.

(4) سفر العدد 1: 3..

(5) سفر الخروج 21: 25-27.

ويبدو أن معاملة العبيد العبرانيين تختلف عن العبيد الأجانب حيث كان لهم الحق في استعادة حريتهم بعد سبع سنين من الخدمة عند أسيادهم، كما كان من حق صاحب الدين استرقاق المدين إذا عجز عن تسوية ديونه[1] وكان للآباء الحق في بيع أبنائهم إذا اضطرتهم الحاجة إلى ذلك.

ج- طبقة الأجانب: وهي طبقة اجتماعية أخرى في المجتمع العبراني كانت محرومة من حقوقها المدنية التي كان يتمتع بها الأحرار، وكان الأجانب يقسمون إلى قسمين: القسم الأول منهم هم الأجانب المرتبطين بالقبائل العبرية وهم "الجيريم" أو الجيران الذين يستجيرون بأحد أعضاء العشيرة ويتحصلون على حمايته دون حصولهم على حقوق بل كانوا يلتزمون بعبادة إله العشيرة[2] والقسم الثاني وهم الأجانب الذين حرموا من الحق السابق.

ويعد الختان من الفرائض المنصوص عليها في التوراة لذلك يستبعد الأجنبي غير المختون من المشاركة في طقوس الفصح، كما كان يمنع أيضا من التزاوج مع العبرانيين[3].

غير أن تغير الأوضاع في عهد سليمان ومحاولة مجاراته ملوك الشرق، واهتمامه بالتجارة والآلهة، قد أدى إلى ظهور طبقة جديدة من الموظفين لم تكن موجودة من قبل تختلف في ثقافتها عن باقي طبقات المجتمع العبري، وازداد نفوذها حتى تجاوزت القانون[4].

وبذلك انتقلت حكومة سليمان من مرحلة الفقر والشقاء إلى مرحلة الثراء والبذخ وهذا ما دفع بعض الأنبياء إلى مهاجمة ذلك الوضع الذي قلب أوضاع المجتمع العبري البسيط رأسا على عقب[5]. فانتشر السلب والنهب والرشوة وسادت الفوضى مما كان ينذر بانفجار الوضع وحتى تتفادى الحكومة الخطر أصدرت قوانين تحاول بها التصدي لتلك الظواهر كتحريم الربا[6] وتحرير رقيق الدين بعد سبع سبع سنوات – كما أشرت سابقا -[7] بل وبسقوط الدين نفسه بعد سبع سنوات[8].

وهكذا فإن تعقد الحياة في العهد الملكي وما ترتب عنه من إفرازات سلبية وإيجابية وخاصة منها حصول طبقة اجتماعية معينة على مغانم ومكاسب على حساب طبقة أخرى، جعلت عامة الشعب

---

(1) سفر التثنية 23: 15-16.

(2) سبتينو موسكاتي: المرجع السابق، ص 168.

(3) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ج2، ص 584.

(4) سفر هوشع 12: 8-9.

(5) سفر عاموس 6: 4؛ سفر أشعيا 2: 16-25.

(6) سفر الخروج 22: 24.

(7) سفر الخروج 21: 2.

(8) سفر التثنية 15: 2.

تحن إلى أيام الحياة الصحراوية البدوية غير المعقدة وتلعن الحضارة المزيفة والثراء الفاحش على حساب العدالة والمساواة التي افتقدوها.

2- **الأسرة ومكانتها:** تعد الأسرة النواة الأساسية في الحياة الاجتماعية العبرية وقد ازدادت أهميتها في العهد الملكي أكثر مما كانت عليه في العهد البدوي القديم، فسلطة الأب هي السلطة العليا في المجتمع العبري رغم وجود آثار لسلطة الأم Matriachy، مثل "ليئة" التي كانت أُما لقبائل "راؤبين وشمعون ولاوي (ليفي) ويهوذا وزبولون ويساكر"[(1)] وكذلك "راحيل" أم يوسف وبنيامين حيث انحدرت منها بطون كثيرة. ومن هنا يتبين لنا أن الأسرة العبرية مرت بطور سيادة الأم وهيمنتها وتسيير شؤونها مما يدل على تراجع دور الأب وانكماش نفوذه وضعفه أمام سلطة الأم القوية التي كانت تحتكر السلطة والقرار في الأسرة معا[(2)].

ومع ذلك يبقى الأب هو رب الأسرة وسيدها وهو الذي ينوب عنها أمام ا أو معبود القبيلة وهو الكاهن الذي ينظم العلاقات بين أفراد أسرته وبين الإله، ويظهر ذلك في الدور الكهنوتي الذي يقوم به في طقوس عيد الفصح[(3)]، وكان لفظ الأب يطلق على الكاهن، وهذا ما يفسر لنا الأدوار المتعددة التي كان يمثلها الأب في أسرته.

أ- **الـزواج:** والزواج عند العبرانيين هو تحقيق لرغبة الإله "يهوه" فهو عندما خلق الإنسان ذكرا وأنثى قال لهما "**أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض**"[(4)]. والرجل لا يجد سعادته إلا في زوجته وأولاده "**هوذا البنون ميراث من عند الرب، ثمرة البطن أجرة، كسهام بيد جبار، هكذا أبناء الشبيبة، طوبى للذي ملأ جعبته منهم لا يخزون، بل يكلمون كالأعداء في الباب**"[(5)].

وتقوم الأسرة العبرية في العهد الملكي أو قبله على تعدد الزوجات الذي عرفه العبرانيون من عصر الآباء الأوائل إبراهيم الخليل ويعقوب عليه السلام[(6)] ويتفاوت عددهن حسب ثروة الزوج ومكانته، وقد حددها علماء التلمود بأربع زوجات فقط للرجل العادي وللملك ثماني عشر زوجة، ومن

---

(1) سبتينو موستاني: المرجع السابق، ص 168.

(2) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ج2، ص 584.

(3) سفر الخروج 12: 3.

(4) سفر التكوين 1: 28.

(5) سفر مزمور 127: 3-5.

(6) فقد جمع إبراهيم بين سارة وهاجر، وبين قطورة وحجورة، كما جمع يعقوب عليه السلام بين ليئة و"راحيل" فضلا عن جاريتهما "بلهة وزلفة". أنظر سفر التكوين 11: 29-31؛ الطبري: المصدر السابق، ج1، ص 160، 244 وص ص 309، 311؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج1، ص 100.

ثمة تختلف في ذلك الأسرة العبرية عن مثيلتها في بلاد الرافدين التي لا تعترف بتعدد الزوجات منذ عصر حمورابي (حوالي 2250 ق.م) غير أن شريعته تبيح التعدد في حالات قليلة جدا.

وكان العبرانيون كانوا يعتبرون العزوبية أمرا منافيا للدين والزواج فرض على كل العبرانيين ومنه فالامتناع عن الإنجاب خطيئة كبرى عقابها إلهي يصل إلى حد الموت[1].

وعليه فالملاحظ أن العبرانيين قد شجعوا الزواج والإنجاب وعملوا على تنفير الشباب من حياة العزوبية ودفعهم إلى الزواج بهدف التكاثر وزيادة النسل ليصبحوا قوة بشرية في المنطقة يستطيعون مواجهة أعدائهم المحيطين بهم.

وقد حرم عليهم "يهوه" الزواج من الأمم الأخرى، وهذا على الرجل والمرأة معا على حد سواء "**لا تختلطوا بهم ولا يختلطوا بكم[2] فهم يميلون بقلوبهم إلى آلهتهم**"[3]. ويبدو أن هذا الإصرار على منع الزواج بالأجانب قد يكون سببه هو تخوفهم من خطر الاندماج والانصهار في الشعوب الأخرى، وهذا كما يرفضه العبريون الذين يعتبرون أنفسهم شعب ا اصطفاهم وفضلهم عن باقي الشعوب الأخرى، فلا يجوز الاختلاط والانصهار مع بقية الشعوب.

ورغم هذا الحرص والإصرار على تجنب الزواج من الأجانب فقد ظهرت هناك الكثير من الزيجات المختلطة وخير دليل على ذلك زوجات سليمان الأجنبيات، والحقيقة فإن الزواج يتم تقريبا على نفس الطريقة المألوفة عند الأقوام السامية حيث يدفع العريس المهر لعروسه حتى تكون له السلطة الكلية عليها، وقد كانت هناك عقود ضرورية حتى يصح الزواج، ويجب على الزوجة التي مات زوجها دون أن يترك له ولد تتزوج من أخيه[4].

ب- الطـلاق: لقد كان الرجل هو بعل المرأة ورب الأسرة - كما عرفنا سابقا - فهي بذلك ملك له، ومن حقه أن يطلقها في أي وقت أو يقترن بغيرها، بينما المرأة مطالبة بالإخلاص للرجل وليس لها حق وراثته، بل لا تستطيع أن تهجر بيت الزوجية، ويتم الطلاق بقول الرجل "**ليست زوجتي ولست زوجها**"[5]. وجرت العادة أن يرسل الرجل بكتاب طلاق إلى زوجته[6] ولكن مع مرور الزمن وضعت قيود على حق الطلاق، فمثلا الرجل الذي يتهم عروسه ظلما في عذريتها يغرم ويمنع من

---

(1) سفر التكوين 38: 9-10.

(2) وقد حرمت التوراة الزواج من الأم والبنت وبنت البنت وبنت الابن، وامرأة العم، وبنت الزوجة وبينت بنتها وبنت أبيها، والحماة وأمها والأخت والعمة والخالة، وامرأة الأب، وامرأة الابن، وامرأة الأخ، وأخت الزوجة.

(3) سفر الملوك الأول 11: 3.

(4) سبتينو موسكاتي: المرجع السابق، ص 168.

(5) سفر هوشع 2: 4.

(6) سفر التثنية 24: 2. Alfred Bertholet : Histoire de la civilisation d’Israël, Payot, Paris, 1953, P 176.

طلاقها في أي وقت من الأوقات، كما أن الرجل الذي يغتصب عذراء يجبر على الزواج منها ولا يستطيع تطليقها أبدا، وكانت عقوبة الزاني والزانية الموت إذا كانت الزنا برضا المرأة.

وأعتقد أن هذه الصرامة في تنظيم الحياة الزوجية عند العبرانيين وفق ضوابط وقيود قد كان الهدف منها هو الحفاظ على تماسك الأسرة وضمان الاستقرار والتكاثر، الذي كان العبريون يعتبرونه الهدف الأساسي الذي يسعون إلى تحقيقه، من خلال هذه القوانين التي تمجد الأسرة والحياة الزوجية، كما أنها جعلت الطلاق من حق الرجل وحده، وهذا قد يضمن للأسرة الاستقرار لما يتصف به الرجل من رزانة وبعد نظر بخلاف المرأة.

وقد اختلف في ذلك القانون العبري، عما كانت عليه قوانين المجتمعات الأخرى في بلاد الرافدين الأكثر تطورا والتي كانت تعتبر الطلاق حقا خاصا بالمرأة في حالات معينة.[1]

ورغم هذه القوانين إلا أن الباحث في علاقات الأسرة العبرية قد يقف على أن مكانة المرأة كانت محفوظة في نطاق الأسرة، وفي العشيرة، وفي المجتمع، وكانت المرأة تتولى أعمالا شاقة داخل البيت وخارجه من جلب الماء وطحن الحبوب ثم خبزها وسائر أعمال المنزل الأخرى، مع القيام بأعمال خارج البيت في الحقل وتربية الماشية[2].

ج- حـق الميـراث: كان المجتمع العبري يميز بين حق الولد والبنت في الميراث باعتبار أن الولد يحافظ على جنس الأب وتقاليد الأسرة وعاداتها وعقيدتها، فلا يجوز للبنت التي تنتقل بعد زواجها إلى أسرة أخرى أن ترث من أبيها، فهي بذلك تباع عند الزواج، عكس الفتى الذي لا يباع. وعليه فالولد وحده هو الذي يرث والده، كما أن الولد البكر يرث ضعف باقي إخوته، ويمثل الأسرة في المسائل الخاصة والعامة، فهو الذي يخلف الوالد أو الأب في رئاسة الأسرة ويصبح المسؤول الأول عن إخوته بعد وفاة الوالد[3].

وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن هذا التمييز في الميراث بين الذكور والإناث قد يعود إلى التخوف من انتقال الثروة إلى خارج الأسرة والعشيرة، وقد يكون أيضا التفسير الأقرب من المنطق في الإصرار على الزواج من بنات العم[4].

والحق أن المجتمع العبري كان يعاني من التمييز في الجنسين، فكان يحرم الإناث من حقهن في الميراث بينما يحصره في الذكور فقط، وهذه تعتبر نظرة متخلفة إلى المرأة تحرمها من حقوقها،

---

(1) سبتينو موسكاتي: المرجع السابق، ص 168.

(2) فؤاد حسنين علي: المرجع السابق، ص 104.

(3) سفر صموئيل الثاني 4: 4؛ سفر الملوك الثاني 11: 2.

(4) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ج2، ص 607.

كما أن التمييز لم يقتصر على الذكور والإناث فقط بل كان يطال الإخوة الذكور أيضا فيعطى السلطة والنفوذ وحق الميراث للابن البكر على حساب باقي إخوته، ولعل هذا التكريم مرتبط بالعقيدة الدينية عند العبرانيين وما تتطلبه طقوسها من حضور قوى للرجل في المجتمع وتغييب المرأة التي هي الأساس المادي والمعنوي له.

3- **مكانة المرأة في المجتمع العبراني:** رغم ما تعرضنا إليه سابقا من تمييز بين المرأة والرجل وحرمان المرأة من الميراث وسلطة الأب المطلقة على أسرته، فإن المرأة في المجتمع العبراني كانت تحتل مكانة هامة وتحضى بالاحترام والتبجيل ولاسيما إذا كانت أما وقد جاء في الوصايا العشر ما يؤكد ذلك "**أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض**"[(1)] عكس ما كان ينظر إليها باعتبارها جزءا من المال الموروث، غير أن مكانة المرأة العبرانية كانت تختلف عن مكانة الأمة، فحق الرجل لا ينصرف إلى شخصية المرأة بحد ذاتها وإنما ينصرف إلى حيازتها لكي تنجب له أطفالا، والرجل لا يستطيع أن يبيع أمه كما يبيع أمته أو ابنه[(2)].

وكان للمرأة العبرانية حق ملكية أشيائها الخاصة والتصرف فيها كالمنحة التي جاءت بها من أسرتها بالإضافة إلى أمتها أو جاريتها. - وكما عرفنا سابقا - فقد بلغت المرأة مكانة جعلت قبائل بأكملها تنسب إلى أمهاتها، كما أنها بلغت مناصب عليا في تاريخ العبرانيين وحتى أن النبوة عند العبرانيين حسب ما جاء في التوراة كانت من نصيب المرأة أيضا كما كانت من نصيب الرجال، فظهرت النبوة في أوساط النساء حتى قبل دخول العبرانيين إلى أرض كنعان كما هو الحال مع مريم أخت هارون وموسى عليهما السلام "**فأخذت مريم النبية – أخت هارون – الدف بيدها، وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص وأجابتهم مريم رنموا للرب، فإنه قد تعظم**"[(3)]. -وكما ذكرنا سابقا - فقد برزت في عصر القضاة "دبورة" النبية التي كانت من قبيلة أفراييم وقد تزعمت قومها حتى أصبحت قاضية[(4)] قادت قومها في حروب حققت فيها النصر[(5)].

---

(1) سفر الخروج 20: 13.

(2) سفر التكوين 16: 2، 26، 24، 59، 29.

(3) سفر الملوك الثاني 22: 14؛ سفر أخبار الأيام الثاني 24: 20-28.

(4) سفر القضاة 4: 1.

(5) دعت دبورة إلى العمل الموحد لمواجهة الكنعانيين وكان "باراق" أول من لبى نداءاها واجتمعت القوات العبرانية عند "جبل تابور" في أرض الخليل حيث دارت رحى الحرب التي انتهت بانتصار العبرانيين بقيادة دبورة. أنظر: سفر القضاة 4: 1-5، 31.

4- السكـن: لقد كان مسكن العبرانيين في البداوة هو الخيمة كغيرهم من الشعوب البدوية المنتظمة، وخيمة بالعبرية (أوهل) "**إلى خيامك يا إسرائيل**"[1] وكانت الخيمة تصنع من شعر الماعز أحيانا وتنقسم الخيمة إلى قسمين: قسم خاص بالرجال وآخر بالحريم ويطلق عليه بالعبرية "الحدر"[2].

وقد أخذ العبرانيون عن الكنعانيين فكرة بناء البيت، ولكنهم تجنبوا استخدام الخشب في بنائهم لقلة توفره عندهم واعتمدوا على الطين فقط أو الطوب بنوعيه الأخضر والمشوي، وفي المناطق الجبلية كانوا يعتمدون على الحجارة كمادة للبناء وخاصة الجيرية منها، ومنازل العبرانيين صغيرة وضيقة لا تتعدى مساحتها أربعة أمتار وتطلى جدرانها بالطين في غالب الأحيان[3].

وكان العبرانيون يقدمون القرابين البشرية عند الشروع في بناء المسكن فيصفون طفلا حيا في إناء من الفخار ويدفنونه في أساس المبنى[4]، بينما يتكون السقف في الغالب من جذوع الشجر والأغصان المغطاة بطبقة سميكة من الطين، أما المنازل المصنوعة من الحجر فيغطى سقفها بقبة، والبيت العادي يتكون من غرفة واحدة خلاف بيوت الأغنياء[5].

ويبدو أن أرضية البيت كانت تدك وتغطى بطبقة من الطين، والنوافذ قليلة تطل على فناء البيت في الغالب، وقد كان العبراني العادي يفترش الأرض ويلتف بعباءته عند النوم، أما السرير فلم يتخذه سوى الأغنياء[6]. بينما بالغ الأغنياء في استخدام خشب الزيتون أو خشب الأرز وتطعيمه بالسن بل بصفائح الذهب[7].

5- الملبـس: استخدم العبرانيون كغيرهم من سكان الشرق الأدنى القديم المئزر وكان يصنع من الكتان أو من الجلد[8] وكانوا يرتدونه في الطقوس الدينية وقد يستخدمون كساء تحت العباءة[9]. وأصبح القميص فيما بعد كساء للجسد، وكان ينتهي بأهداب فوق الركبتين ثم ظهرت الأثواب الطويلة، وقد أخذ العبرانيون عن الكنعانيين اللباس اللاصق بالجسد الذي كانوا يلبسونه تحت الثوب[10].

---

(1) سفر صموئيل الثاني 20: 1؛ وسفر الملوك الأول 12: 16.

(2) سفر النشيد 1: 4 و3: 4؛ وسفر القضاة 15: 1.

(3) Alfred Bertholet Op.cit, PP 189-190.

(4) سفر الملوك الأول 16: 34.

(5) سفر صموئيل الثاني 4: 6.

(6) سفر خروج 22: 25؛ وسفر التثنية 24: 12.

(7) سفر الملوك الأول 6: 20.

(8) سفر الملوك الثاني 1: 8-9.

(9) سفر الملوك الثاني 6: 30.

(10) سفر أشعيا 6: 1.

ومع مرور الزمن أخذ العبرانيون عن الكنعانيين الملابس الملونة وقد شاع استخدام الملابس الجميلة بألوانها الزاهية في عصر سليمان دليلا على انتشار الرفاهية والرخاء[1] كما اقتبسوا عنهم أيضا عباءة تقوم مقام المعطف كانت تعرف باسم (أديرت)[2].

وفيما يخص ملابس المرأة فقد كان يحرم عليها التشبه بالرجال في اللباس والفرق بين ملابس الجنسين كان يتمثل في الحجاب وغطاء الرأس، وقد كان الحجاب من مستلزمات الآلهة (عشتارت)[3] فقد كان شعارها، " فلذلك تتجه العروس إلى عريسها متحجبة، والنساء بوجه عام كن يسرن متحجبات"[4].

ويبدو أن ملابس العبرانيين قد تطورت مع مرور الزمن وخاصة بعد ازدهار العلاقات التجارية مع شعوب المنطقة فاستورد العبرانيون - كما عرفنا سابقا - أقمشة من فينيقيا ومصر وبابل فاستخدموا الألبسة الملونة بالزخرفة الجميلة[5].

وكان العبرانيون حسب بعض الآثار كانوا يغطون رؤوسهم بالغطاء الأشوري التقليدي، بينما وجهاء القوم يغطون رؤوسهم بما يشبه العمامة التي كانت تسمى "الصنيف"[6] أما الكاهن فكان يغطي رأسه بالـ (مجبعة)[7].

وحسب ما جاء في العهد القديم، فإن الفقراء كانوا يسيرون حفاة رغم وجود الخف الذي كان يصنع من الجلد أو الخشب ويربط في الرجل للسير[8] وقد كان استعماله مقتصرا على الأغنياء ورجال ورجال الدين. أما فيما يخص أدوات الزينة فالظاهر أنهم أخذوها عن المصريين بصورة خاصة لأنها كانت أجنبية الصنع كالحلقات (نيزم)[9] التي كان يستخدمها الذكور والإناث كما استخدموا الحلي في

---

(1) سفر الملوك الأول 10: 5.

(2) سفر يشوع 7: 29.

(3) كانت عندما تنتقل إلى العالم السفلي تتجرد من جميع ملابسها طيلة بقائها في العالم السفلي لأن الموت في ذلك الوقت كان يخيم على الأرض وتموت جميع النباتات لأن عشترت تجاب الموت بكل فرد يعرض مكان عشترت للهواء يموت، ولما تترك العالم السفلي ترتدي ثيابها وتمنع حجابها وتتجه إلى حبيبها (تموز: أدونيس). أنظر فؤاد حسنين علي: المرجع السابق، ص ص 79-80.

(4) سفر التكوين 12: 14.

(5) سفر الملوك الثاني 5: 1-5.

(6) سفر الخروج 18: 4.

(7) سفر الخروج 28: 40.

(8) سفر التكوين 14: 23.

(9) سفر التكوين 35: 4.

الأنف أيضا[1] واستخدمت المرأة العبرانية العقود المتنوعة والأساور (صميديم)[2] والخلاخل (عكسيم)[3]، كما اعتبرت المرأة الشعر الطويل من علامات الجمال، وكشفه هو إهانة وإذلال لها[4]، وكان الاعتناء بالجمال الشغل الشاغل للمرأة العبرانية.

وقد أطلق العبرانيون اللحى ولا يحلق العبراني ذقنه إلا في حالة الحزن، أو في حالة الوقوع كأسير حرب[5]. وكما ظهر في النقوش المصرية والأشورية كانوا يتميزون بالأنف الطويل القني، والوجنتين البارزتين وشعر الرأس واللحية المتلوي، أما نساؤهم فكن من أجمل نساء الأمم القديمة يستعملن كل أنواع الزينة من صبغ الخدود والاكتحال وارتداء كل أنواع الحلي والألبسة[6].

وعليه فإنني أرى أن العبراني قد اقتبس عن جيرانه الفينيقيين والبابليين والمصريين بصورة خاصة طريقة اللباس ونوعه وكيفية الاعتناء بمظهره وشكله، إذ نجده لا يختلف في ذلك عن باقي شعوب الشرق الأدنى القديم.

6- الطعـام: يبدو أن طعام العبرانيين كان بسيطا ومتواضعا يتكون في الغالب من الخبز والفاكهة والخضر، وكان الخبز يصنع من دقيق القمح ومن الشعير، وطحن الحبوب يتم بالمهراس أو الطاحون أو المدق، وقد كانت الفاكهة تؤكل طازجة أو مجففة، واستعمل أيضا العبراني اللبن كطعام هام.

واقتصر أكلهم للحم في أوقات الأعياد والمناسبات السعيدة، بينما كانت موائد الملوك والأعيان لا تخلو منه يوما[7] وكانوا يفضلون لحوم الضأن والماعز، ثم تأتي بعدها لحوم العجول والثيران[8].

وقد كان العبرانيون كغيرهم من سائر الشرقيين مغرمون بأنواع الفطائر والكعك، وكعك الزبيب[9] وكعكة العيد والعسل[10] وكان من طعامهم أيضا السمك والجراد الذي هو طعام للفقراء[11].

---

(1) سفر التكوين 32: 2.
(2) سفر التكوين 24: 22.
(3) سفر أشعيا 3: 18.
(4) سفر العدد 5: 18.
(5) سفر أشعيا 2: 20.
(6) ول ويرل ديورانت: المرجع السابق، ص ص 328-329.
(7) سفر التكوين 18: 7.
(8) سفر صموئيل الأول 14: 22 و28: 24.
(9) سفر صموئيل الثاني 6: 19.
(10) سفر الخروج 16: 31.
(11) سفر العدد 11: 4.

ويعتقد أن أهم مشروبات العبرانيين بعد الماء الخمر أو النبيذ الذي سيطر عليهم فأصبح من مشروبات الاحتفالات والأعياد[1] وكانت هناك أنواع للنبيذ من بينها النبيذ الممزوج ببعض التوابل وأنواع العطارة[2] وهناك نوع آخر ممزوج بالعسل، والنوع الثالث ممزوج بعصير الرمان، إضافة إلى إلى شراب العرق المأخوذ من مصر عن طريق تخمير التمر.

والمتتبع لتاريخ العبرانيين يستخلص تغير أوضاعهم الاجتماعية بتغير بيئتهم وتأثرهم بالشعوب المجاورة لهم والأكثر تحضرا منهم، فقد تغيرت طريقة معيشتهم من مأكلهم وملبسهم ومسكنهم بعد دخولهم أرض كنعان وخاصة في العهد الملكي.

ومجمل القول أن الأوضاع العامة في المملكة قد عرفت تغييرا جذريا في ظل النظام الملكي مقارنة بما كانت عليه في ظل نظام القضاة، شغل هذا التغيير مختلف المجالات منها المجال السياسي وما تطلبه نظام الحكم الملكي بخصائصه ومميزاته وما جاء به من وظائف وسلطات استأثر بها الملك دون غيره.

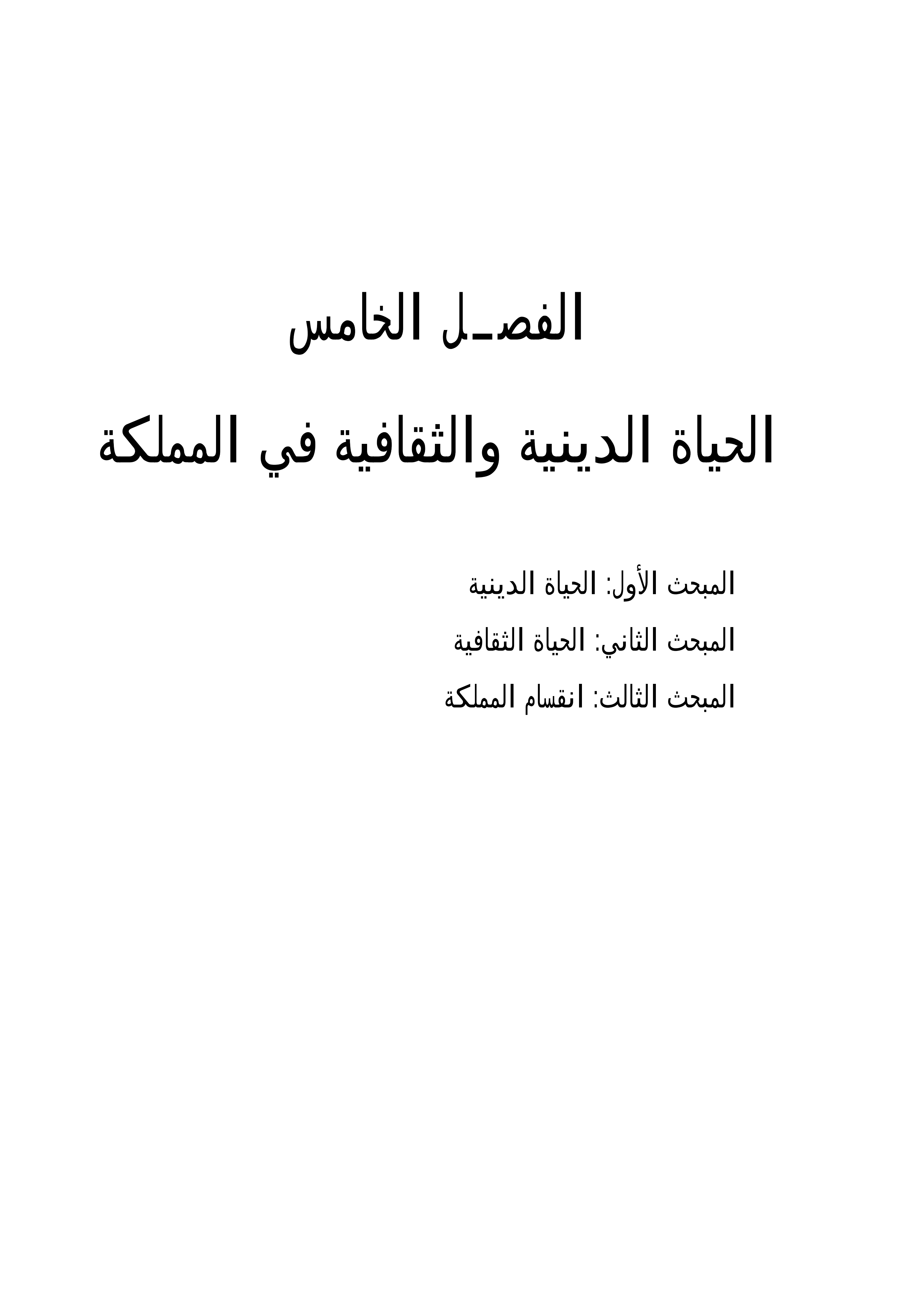
كما كان لزاما على النظام العسكري أن يساير متطلبات الحياة الجديدة ويستطيع المحافظة على النظام والأمن داخليا وحماية حدود المملكة من الأخطار الخارجية، ولا يتأتى ذلك إلا بامتلاك المملكة لجيش نظامي دائم مجهز بأسلحة لا تقل عما تمتلكه باقي الشعوب المجاورة، وهذا ما حدث خاصة في عهد الملك داود.

أما الأوضاع الاقتصادية فلم تكن في منأى عن هذا التغيير الذي تطلبته حياة الاستقرار الجديدة فظهرت أنشطة اقتصادية جديدة إضافة إلى حرفة الرعي القديمة من زراعة وصناعة وتجارة احتلت مكانة هامة في اقتصاد المملكة، وقد مس التغيير الأوضاع الاجتماعية هي الأخرى تماشيا مع الوضع الجديد وتأثرا بالمجتمعات المجاورة فظهرت قيم ومفاهيم اجتماعية جديدة لتنظيم المجتمع بخصوصياته المستجدة.

---

[1] سفر صموئيل الأول 1: 9-13.

[2] سفر نشيد الأناشيد 8: 2.



الفصـل الخامس

الحياة الدينية والثقافية في المملكة

المبحث الأول: الحياة الدينية

المبحث الثاني: الحياة الثقافية

المبحث الثالث: انقسام المملكة

تحتل الديانة العبرية مكانة هامة ليس فقط عند العبرانيين ولكن في تاريخ الأديان لأنها تعد أقدم الديانات التوحيدية ولأنها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتاريخ، وأحداث التاريخ العبراني تفسر تفسيرا دينيا، كما العديد من الأفكار والمفاهيم الدينية تقوم على أسس تاريخية.

وبذلك فقد تأثرت الديانة العبرانية بالمراحل التاريخية التي عرفها الشعب العبراني منذ القدم، ومع ذلك فقد بقيت عبادة "يهوه" هي السائدة رغم ما كان يشوبها من المظاهر الوثنية تأثرا بالشعوب المجاورة لهم، ولم يقتصر هذا التأثر على الجانب الديني فقد بل تعداه إلى الجانب الثقافي أيضا، وهذا ما سنحاول التعرض له من خلال دراستنا للحياة الدينية والثقافية في المملكة العبرانية.

المبحث الأول- الحياة الدينية: عرفت الديانة عند العبرانيين عدة تسميات خلال تاريخها الطويل، ففي المرحلة الأولى من نشأتها عرفة بديانة الآباء والمقصود بالآباء هم الأنبياء من آدم عليه السلام وتنتهي بموسى وهارون عليهما السلام ثم تلتها مرحلة الديانة الموسوية، والمرحلة الثالثة هي المرحلة التي تلت موسى عليه السلام واستمرت حتى انقسام المملكة العبرانية وقد عرفت خلالها تطورات وإضافات نتيجة احتكاك العبرانيين بعدد من شعوب الشرق الأدنى القديم التي كان لها تأثيرها الديني والحضاري على العبرانيين[1].

أولا- العقيدة عند العبرانيين في العهد الملكي: لقد تطورت الديانة العبرانية في المرحلة الثالثة تبعا لتطور النظام السياسي بعد الخروج والاستيطان، وتحول العبرانيون من جماعة قبلية بدوية في صحراء سيناء فترة التيه إلى اتحاد بين القبائل في عصر القضاة، ثم تكوين أول نظام سياسي ملكي[2].

كما كان للبيئة الكنعانية الجديدة تأثيرها البالغ على الجانب العقائدي والديني لكونها بيئة زراعية أجبرتهم على الاستقرار[3]. وقد كان لمملكة داود وسليمان عليهما السلام أهمية دينية خاصة عند العبرانيين، الذين فسروا قيام الملكية على أنه تحقيق للعهد المكتوب من الرب[4] وهو الوعد بالأرض التي كانت للآباء وتجددت أيام موسى فأصبحت حقيقة في عهد داود، وتشكل هذه الوعود التي تكررت عشرات المرات في التوراة حجر الزاوية في العقيدة العبرانية على مر العصور[5].

(1) محمد خليفة حسن أحمد: المرجع السابق، ص 202.

(2) إسرائيل شاحاك: الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، موسوعة اليهود (وطأة 3000 عام)، تح: إدوارد سعيد ، تر: رضا سلمان، د.ط، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، د.ت، ص 96..

(3) عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ص 1911.

(4) André Aymard et Jeannine Avboyer : Op.cit, P 248.

(5) عبد ا التل: خطر اليهودية...، المرجع السابق، ص 10.

ويبدو أن داود وسليمان استغلا هذه الظروف لإضفاء شرعية لاهوتية على مملكتهما وحاولا تنمية المشاعر الدينية للعبرانيين وجمعها حول العاصمة الجديدة، وتقوية الاعتقاد بأن بيت داود هو الوريث الشرعي للنظام العبراني القديم.

واستمر تطور الاعتقاد الديني إلى أن أصبح يقينا من أن وصول داود ثم ابنه سليمان إلى الملك كان تعبيرا عن الإرادة الإلهية ليهوه، الذي أقام عهدا مع داود باستمرار الملك في ذريته وبيته، وان ا قد اختار صهيون كمكان لإقامته الدائمة وعليه فإن الاختيار الإلهي لصهيون ولبيت داود هو اختيار أزلي[1]، فالملك يحكم نيابة عن يهوه وكابن له[2]، وهو بذلك يعتبره بكره ومسيحه[3].

ومن هنا حدث التكامل بين الدولة والعقيدة، فوجود يهوه في الهيكل يعد ضمانا لاستمرار الدولة، إلا أن سقوط المملكة وانقسامها بعد سليمان أدى إلى تبلور اعتقاد جديد يتمثل في رفض دعاوى بيت داود في الحكم الأبدي وسقوط فكرة الأساس الإلهي للمملكة واعتبارها مملكة أرضية واقعية عرضة للانقسام والسقوط، وبذلك تفككت الوحدة السياسية والدينية وفقدت أورشليم مكانتها كمركز ديني موحد، وفي ظل هذا الانقسام تسربت بعض الأفكار الدينية الوثنية إلى ديانة العبرانيين[4].

1- يهوه إله العبرانيين: تعددت أسماء إله العبرانيين - حسب ما ورد في التوراة - منذ عهد إبراهيم عليه السلام، فقد كان ربا وإلها لإبراهيم ومن بعده ربا لإسحاق ثم يعقوب[5] ثم موسى[6] عليهم عليهم السلام جميعا، وأخيرا تصوره التوراة على أنه رب العبرانيين جميعا[7].

والرب يهوه بالنسبة لبني إسرائيل لم يكن إلها منظورا يتمثل بصنم معين مثله مثل غيره من الآلهة بل كان روحا خفية مسكنها في صندوق من خشب الصند (التابوت)[8] وقد أطلق على إلههم أسماء كثيرة في فترات زمنية مختلفة وفي أماكن متباعدة، ومن أهم هذه الأسماء:

أ- التسمية الأولى: ألوهيـم: وهو الاسم الذي أطلقته الأسفار الأولى من التوراة على ا خاصة الفصل من سفر التكوين، وقد تردد هذا الاسم بعد ذلك مع أسماء ا الأخرى، وعلى وجه الخصوص المزامير من 42 إلى 72 وسميت "مزامير ألوهيم" وهو لفظ جاء في صيغة الجمع في اللغة

---

(1) سفر الملوك الثاني 16: 6.

(2) سفر أرميا 52: 28-30.

(3) سفر استيير 2: 5-6.

(4) محمد خليفة حسن أحمد: المرجع السابق، ص.

(5) سفر التكوين 12: 1-3، 13: 14-18.

(6) سفر الخروج 3: 6، 15.

(7) سفر الخروج 6: 6-7.

(8) كمال الصليبي: حرب داود، ط2، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1991، ص 28.

العبرية، ومعناه الدقيق هو الآلهة وقد أطلقت التوراة هذا الاسم في المواضع التي وصف فيها أنه خالق كل شيء وخالق كل البشر ومن ثمة يخضع له كل شيء[1].

ويرى البعض منهم أن هذه التسمية أطلقها التعدديون، الذين كانوا يعتبرون أن التوحيد هو انصهار جميع الآلهة مع بعضها البعض حتى تشكل إلها واحدا[2] وهو من الأسماء الأولى التي أطلقها العبرانيون على إلههم.

ب- التسمية الثانية: يهـوه: ورد في سفر الخروج اسم آخر لإله العبرانيين وهو "يهوه" وهو لفظ عبري معناه "الموجود" أو "الكائن" أو "الذي كان" لأنه مشتق من اللفظ العبري "هيه" أو "هوه" الذي يعني الكينونة أو الوجود[3]. ويفسره البعض منهم العلماء أن معناه "هو الذي يكون" بينما يرى فريق آخر أن معناه "هو الذي يوجِد" بكسر الجيم أي أنه هو الخالق[4].

وقد ذهب البعض الآخر منهم إلى أنه إله من آلهة البدو العرب الشماليين، أما أصله فما زال مجهولا إلى حد الآن، كما فُسر اسم "يهوه" أو "ياهوه" على أنه قد يكون مشتق من الجذر "هوى" أو "هاواه" أي سقط أو حدث أو وقع...الخ، ويقرنه البعض بالبراكين بينما يرى آخرون أنه إلها خاصا بعبادة القمر البدوية، حيث كانت الخيمة مسكنه ومصدره[5].

وصوره العبرانيون على أنه إله منتقم جبار يتصف بالبطش[6] محجوب عن عين الإنسان إلا في حالات معينة، ليس له مسكن ولكنه موجود في كل مكان، لا أسرة له لا ذكر ولا أنثى، وهو مقدس وعادل عقد عهدا مع العبرانيين فجعلهم شعبه المختار[7].

وقد اتخذ العبرانيون يهوه إلههم القومي الوحيد، مما أنقذ ديانتهم من فوضى الشرك التي كانت تسود المنطقة، وقد جعلوه إلها صارما صاحب نزعة حديدية قوية صعب المراس، يطلب من العبرانيين رش منازلهم بدماء القرابين والأضحيات حتى لا يهلك أبناءهم كما هلك أبناء المصريين[8]. لكنه يعترف بأنه ليس معصوما من الأخطاء، وأكبر أخطائه هو خلق الإنسان، فتراه يندم على خلق آدم[9]

---

(1) زكي شنودة: المرجع السابق، ص 292؛ موسى معيرش: الديني والسياسي، المرجع السابق، ص 80؛
André Aymard : Op.cit, P 246.

(2) سهيل ديب: التوراة بين الوثنية والتوحيد، ط، دار النفائس، بيروت، 1405هـ-1985م، ص 16.

(3) زكي شنودة: المرجع السابق، ص ص 292-293.

(4) سبتينو موسكاتي: المرجع السابق، ص 120.

(5) طه باقر: المرجع السابق، ص 284.

(6) سهيل ديب: المرجع السابق، ص 16.

(7) سبتينو موسكاتي: المرجع السابق، ص 120.

(8) سفر الخروج 18: 12-13؛ ول وايريل ديورانت: المرجع السابق، ص 340.

(9) سفر التكوين 6: 6.

بعد فوات الأوان وعلى جعل شاؤول[1] ملكا، وقد كان متقلب الأطوار، كثير الكلام يحب إلقاء الخطب الطويلة وهو حي لا يسمح للناس برؤية إلا طهره. وكان أيضا إله للحرب وللجيوش يدعوهم للاستعمار والتقتيل والإبادة يحارب من أجل شعبه، وفي ذلك يقول موسى "الرب رجل حرب" ويقول داود أيضا "الذي يعلم يدي القتال" ويقول "**مبارك الرب إله إسرائيل**"[2] ويقول أيضا "**مبارك الرب إله إسرائيل من الأول وإلى الآن**"[3].

وعليه فالدارس لهذه الصفات التي يتصف بها يهوه في التوراة يتأكد من أنه كان إلها خاصا لشعب خاص فهذه الخصوصية في ديانة العبرانيين جعلتها ديانة أسرة بشرية واحدة وهذا ما يميزها عن الديانات الأخرى. والإنسان عبد ليهوه يجب أن يعيش في الخوف من ربه، فالطاعة هي العمل الديني الكامل[4].

ولم يتوقف العبرانيون عند هذا الحد بل نسبوا إليهم "بنوة ا " حيث تروي التوراة أن ا أمر موسى عليه السلام أن يذهب إلى فرعون ليطلق ابنه البكر إسرائيل ليعبده في البرية، وإذا امتنع فرعون عن إجابة طلب موسى هذا فإن ا سوف يقتل "**ابن فرعون البكر**"[5].

وتقرأ في التوراة أيضا أن ا كان له أبناء من بدء الخليقة فتنوا بجمال بنات الناس، فاتخذوهم نساء وجاء منهم نسل رزقه ا بسطة في الجسم وهم الجبابرة الذي سكنوا الأرض قبل الطوفان[6].

واستمر العبرانيون في تحقيرهم ، حتى تعداه إلى درجات دنيا لا يرضاها حتى بني البشر، فقد سأل يهوه موسى ذات يوم قائلا "حتى متى يهينني هذا الشعب".

إن الدارس لمثل هذه الصفات التي هي أقرب إلى صفات البشر، بل الضعفاء منهم قد يتساءل كيف قبل المؤمنون بالتوراة بهذه الإهانات التي ألحقوها با سبحانه وتعالى، وكيف تتفق مع الوحدانية التي يزعمونها؟ حيث تجتمع فيه كل المتناقضات فهي تصوره أحيانا بالقوي الذي يهزم كل أعدائهم ويدافع عنهم، كما تصوره في أماكن أخرى بالجبان الذي يخاف العربات الحديدية، وهو أيضا ضعيف يتطاول عليه شعبه بالإهانات.

---

(1) سفر صموئيل الأول 15: 11؛ ولد ديورانت: المرجع السابق، ص 430.

(2) سفر صموئيل الأول 25: 23.

(3) سفر أخبار الأيام الأول 16: 26؛ E. Dhorme : Op.cit, P 360

(4) مرسيا إلياد: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، تر: عبد الهادي عباس، ج1، دار دمشق للطباعة والنشر، د.ت، ص 415.

(5) سفر الخروج 4: 21-22.

(6) سفر التكوين 6: 1-5.

تصفه بالنسيان وبارتكابه أخطاء كثيرة ندم عليها بعد فوات الأوان، يحرض على سرقة أمتعة المصريين، قاسيا متعصبا متعطشا للدماء متقلب الأطوار. فكيف يقبل العبرانيون بعبادة إله يتصف بنفس صفات البشر فما الفرق بينه وبينهم إذن؟ وهل يستحق أن يكون إلها؟.

ج- التسمية الثالثة: إيـل: كان من بين التسميات التي أطلقها العبرانيون على ا ، واسم إيل الذي هو لفظ عبري بمعنى ا ، لكنه لا يقتصر على اللغة العبرية فقط فقد ورد أيضا في بعض اللغات السامية الأخرى بمعنى "ا " أيضا، ففي اللغة الأكادية يدل على معنى الإله، وفي اللغة الأوجريتية، كان اسم "أبي الآلهة"، وقد كان أيضا من آلهة الكنعانيين[(1)].

وألاحظ أنهم ينسبون إلى اسم "إيل" الكثير من أسماء الأشخاص والمدن، فيقولون "إيليا" أي "**إلهي يهوه**"[(2)] و"إيليئل" أي "**إيل هو ا** "[(3)] و"اليعازر" أي "**ا معين**"[(4)] وكانوا أحيانا يضيفون لفظ "رائيل" إلى "إيل" في آخر الاسم مثل "إسرائيل" أو يضيفونه إلى أسماء بعض المدن مثل "بيت إيل" أو "بتوئيل" أي "**بيت ا** "[(5)]، وكثيرا ما تستخدم التوراة اسم "إيل" مع لقب من ألقاب ا مثل "إيل عليون" كما جاء في الأصل العبري أي "ا العلي"[(6)].

د- التسمية الرابعة: بعـل: هو من أحد الآلهة التي عبدها العبرانيون، أو بالأحرى أحد الأسماء التي أطلقوها على إلههم، غير أنه في الواقع كان إلها كنعانيا، كانوا يعتبرونه ابنا للإله إيل وزوج الإلهة "بعله" أو "عشتاروت"[(7)].

فكلمة بعل في اللغة السامية تعني "الرب" أو "السيد" وكانت كل مدينة تنسب هذا الإله لنفسها فيقال "بعل معون" أو "بعل هامان". والحق أن العبرانيين كغيرهم، من شعوب المنطقة كانوا يخشون هذا الإله فقدوا له الذبائح البشرية طلبا لمرضاته وخوفا من غضبه، وكثيرا ما كان يهوه يغضب، كما جاء في التوراة "**يا ملوك يهودا وسكان أورشليم، هكذا قال رب الجنود هاأنذا جالب على هذا الموضع شرا كل من سمع به نطق أدناه، من أجل أنهم تركوني وأنكروا هذا الموضع وسخروا فيه لآلهة أخرى... وملأوا هذا الموضع من دم الأزكياء، وبنوا مرتفعات للبعل ليحرقوا أولادهم بالنار محرقات للبعل**"[(8)].

---

(1) زكي شنودة: المرجع السابق، ص 265؛ مهدي حسين البصري: موسوعة الأديان، ط1، دار أسامة للنشر، الأردن، 2001، ص19.

(2) سفر الملوك 17: 1. E. Dhorme : Op.cit, PP 354-355

(3) سفر أخبار الأيام الأول 6: 1.

(4) سفر التكوين 15: 2.

(5) سفر التكوين 22: 22.

(6) زكي شنودة: المرجع السابق، ص 265.

(7) موسى معيرش: المرجع السابق، ص 85؛
E. Dhorme : L'évolution religieux d'Israël, tome I, USE, Bruxelles, 1937, P 351.

(8) سفر أرميا 19: 3-5.

وقد أطلق العبرانيون فيما بعد حوالي القرن الرابع قبل الميلاد على إلههم تسمية أخرى حيث رأى ألهتهم أن ترديد اسم "يهوه" فيه الكثير من الاستهتار والاستهانة التي لا تليق بلفظ الجلالة، فحرموا على الجميع النطق بهذا الاسم إلا رئيس الكهنة وحده أثناء الصلاة في الهيكل، بينما العامة يطلقون عليه اسم "أدوني" بمعنى "السيد " أو "الرب"[1] ونسبوا إلى اسم "أدوني" بعض أسمائهم مثل "أدوني صادق" أي "**الرب عادل**"[2].

ومن خلال التسميات المختلفة التي أطلقها العبرانيون على آلهتهم يتضح لنا كيف أنهم كانوا يعتقدون بأن الوحي لهم فقط وأن معرفة ا مقتصرة عليهم فقط وبقية الأمم الأخرى عبيد لهم[3].

ثانيا. المقدسات العبرانية: إن مقدسات العبرانيين كثيرة ومتعددة وأنهم استمروا في عبادتها رغم محاولات الأنبياء من عهد موسى عليه السلام حتى العهد الملكي ومحاولات كل من داود وسليمان توحيد العقيدة والقضاء على الشرك والوثنية، أي أنهم جميعا فشلوا في ذلك لتمسكهم بها عبر تاريخهم الطويل.

وقد أظهرت التوراة في رواياتها شرك العبرانيين المتواصل في أدوار تاريخهم السابقة، فقد كانوا يعبدون الصخور والماشية وأرواح الكهوف والجبال واستمروا في عبادتهم العجل[4] والكبش والجمل لأن عبادة العجول كانت لا تزال حية في ذاكرتهم منذ أن كانوا في مصر حيث كان المصريون يحنطونها ويدفنونها في مقبرة خاصة[5]، بل إن نفوس العبرانيين ضاقت بعبادة إله لا يستطيعون رؤيته وطلبوا من موسى أن يجعل لهم إلها مجسدا يرى بالعين لأنهم كانوا ماديين لا يؤمنون إلا بما يرونه أو يلمسونه، وفي هذا السياق قال تعالى: ﴿ وجاوزنا بِبنِي إسرائيلَ البحر فَأتوا عَلَى قَومٍ يعكُفُونَ عَلَى أصنامٍ لهم قَالُوا يا موسى اجعل لنا إِلَهاً كَما لَهم آلهةٌ قَالَ إِنكُم قَوم تجهلُونَ،إن هؤلاءِ متبر ما هم فيه وباطلٌ ما كَانوا يعملُونَ﴾[6].

---

[1] زكي شنودة: المرجع السابق.

[2] سفر يشوع 10: 1-27.

[3] علي سامي النشار، عباس أحمد الشربيني: الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية، ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1972، ص 4.

[4] العجل: صنعه رجل من العبرانيين سماه القرآن "السامري" من حلي نساءهم الذهبية التي جلبنها منت مصر، وأمرهم بعبادته خاصة وأنه صنعه بطريقة هندسية تجعل الريح إذا دخلته تعطي أصواتا من فمه كصوت البقر، مستغلا غياب موسى عليه السلام ليكلم ربه في جبل طور. أنظر: ول ديورانت: المرجع السابق، ص 338؛ عفيف عبد الفتاح طبارة: المرجع السابق، ص 225.

[5] عفيف عبد الفتاح طبارة: المرجع نفسه، 224.

[6] سورة الأعراف: الآية 138-139.

ويبدو أنه في العصر الملكي بدأ تصورهم للذات الإلهية يرقى شيئا فشيئا، غير أن الاعتقاد أن لهم إلها خاصا بهم ظل ملازما لهم، بل إنهم أولاده وأحباؤه وأن لغيرهم من الأمم آلهة أخرى، وأن إلههم في صراع مع هذه الآلهة[1] وكان سليمان يقول: "إلهنا أعظم من جميع الآلهة"[2].

أ- الهيكل: تذكر التوراة أن داود اشترى أرضا من أرونا اليبوسي ليبني هيكلا مركزيا، لكنه لم يشرع هو نفسه في بناءه، وذلك لأنه وقع في خطأ قتل أوريا الحيثي، فانتقلت المهمة إلى ابنه سليمان الذي قام ببنائه فوق جبل صوريا، وهو جبل أورشليم[3] ليعبد فيه يهوه إله العبرانيين الأوحد لتحقيق الوحدة الدينية بعد تحقيق الوحدة السياسية، وقد كان بناء الهيكل خطوة معتبر نحو التوحيد.

والهيكل كلمة يقابلها في العبرية "بيت همقداش" أي "بيت المقدس" أو "هيخال" وهي كلمة تعني "البيت الكبير" في كثير من اللغات السامية ويقصد به مسكن الإله، ويسمى أيضا "بيت يهوه" لأنه أساسا يعد مسكنا للإله وليس مكانا للعبادة[4].

ورغم أنه كان مسموحا للجميع دخول الهيكل، إلا أن دخول "قدس الأقداس" كان خاصا بالكاهن الأعظم، ويعد الهيكل أهم مبنى للعبادة ويصبح مستقرا لتابوت العهد بعدما كان العبرانيون يحملونه في تجوالهم والذي كان يوضع في خيمة الشهادة أو الاجتماع.

وهكذا فإن تركز السلطة في يد الملوك واستقرار الأوضاع، قد انعكس على الحياة الدينية لدى العبرانيين، فقد ظهرت مراكز العبادة في أماكن مختلفة، لم ترق لأن تصبح مركزا دينيا يجمع كل القبائل العبرانية، إلا في عهد داود ثم سليمان الذي نجح في جمعهم حول مكان عبادة واحد هو الهيكل في أورشليم التي كانت تحتل موقعا وسطا، يسمح لها بتركيز العبادة القربانية، وفي نفس الوقت استقلالها عن باقي القبائل المحيطة بها.

وقد كان الهيكل لا يختلف عن الهياكل الكنعانية التي يبدو أنها تأثرت بالطراز الفرعوني إضافة إلى ما أخذوه من الأشوريين والبابليين.

---

[1] علي عبد الواحد وافي: المرجع السابق، ص 30.

[2] ول وايريل ديورانت: المرجع السابق، ص 343.

[3] ويعتقد بأنه يوجد فوق هضبة الحرم التي يوجد فوقها المسجد الأقصى وقبة الصخرة. أنظر عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ص 193.

[4] المرجع نفسه، ص 1928.

صورة مستعادة لهيكل سليمان



يبدو إدخال بعض اللمسات العصرية على الشكل الخارجي للهيكل

http ://www.jodensavane.sr.org/article/foto3.jpg.

ويبدو أن الهيكل مثلما كان عامل وحدة للقبائل العبرانية في عهد المملكة المتحدة، فقد كان أيضا عامل فرقة عند انقسام المملكة بعد سليمان، حيث حاول ملوك المملكة الشمالية صد مواطني مملكتهم عن الذهاب إلى هيكل سليمان بالقدس، فأقاموا أماكن مستقلة للعبادة، ومنها هيكل في شمال المملكة في دان وآخر في بيت إيل، وقد جعل فيهما يربهام عجولا ذهبية، وأصبحا بذلك مزارا ملكيا مقدسا له[1].

ب- خيمة الاجتماع أو "خيمة الشهادة": كانت عبارة عن خيمة أو خباء كان يحملها العبرانيون معهم في تجوالهم وكانت هذه الخيمة تقام خارج المضارب ليسكن الإله فيها بين شعبه فيتوجه إليه فيها كل من يطلبه[2]، ويعتقدون أن ا قد زارها على هيئة سحابة غطت الخيمة يوم اكتمال بناء الخيمة ثم تحولت السحابة إلى عمود يسير أمامهم فإذا وقف العمود فوق الخيمة ينزل الشعب، وإذا انتقل العمود

(1) La Bible : L'ancien testament, NRF, 1970, chapitre XIII, P 1089.

(2) سفر الخروج 33: 7-11.

نقلت الخيمة وتبع العبرانيون السحابة، ففي الليل تتحول السحابة إلى عمود نار مما يدل على أن الإله سائر أمامهم[1].

وقد كانت قاعدة الخيمة مستطيلة، طولها ثلاثون ذراعا وعرضها عشر أذرع وارتفاعها عشر أذرع ذات زوايا قائمة، ويحيط بالخيمة سور وبين الخيمة والباب الخارجي يوجد مذبح المحرقة وبين باب الخيمة والمذبح مغسلة من النحاس يغسل فيها الكهنة أيديهم وأرجلهم قبل دخولهم المقدس، وبداخل الخيمة يوجد على اليمين مائدة خبز القربان، وعلى اليسار شمعدان المنيورة ثم مذبح البخور الذهبي لحرق البخور ليل ونهار، ثم يوجد قلب المقدس الذي يسمى أيضا "قدس الأقداس" وهو الذي يضم تابوت العهد، الذي يحوي لوحي الشهادة والوصايا العشر[2].

ويبدو أن إقامة الهيكل وتوحيد مكان العبادة فيه قد أثار جدلا بين الكهنة المرتبطون بالحكومة المركزية الذين رأوا أن القرابين لا تجوز إلا في الهيكل الذي يعد امتدادا لخيمة الاجتماع، بينما ذهب فريق آخر إلى جواز تقديم القرابين في أي معبد من المعابد المحلية[3] لأن الخيمة كانت متنقلة.

ج- تابوت العهد أو تابوت الشهادة: وهو عبارة عن صندوق كمن خشب السبط طوله ذراعان ونصف أي ثلاثة أقدام وثلاثة أر بع القدم، وعرضه وارتفاعه ذراع ونصف أي قدمان وربع القدم محلى بالذهب من الداخل والخارج، يقف عليه ملاكان (كروبان) ناشرين أجنحتهما رمزا للوجود الإلهي بينهم[4] ويقال بأن الإله قد أخبر موسى بأنه سيقابله بين الملاكين.

وقد اتفق أغلب المؤرخين أن تابوت العهد هو من أكثر الأشياء المقدسة عند العبرانيين فيقولون عند حمله "**قم يا رب فلتتبدد أعداؤك ويهرب مبغضوك من أمامك" وإذا حل التابوت يقولون "عد يا رب إلى الآلاف المؤلفة من بني إسرائيل**"[5]

لقد كان من أكثر الرموز قداسة عند العبرانيين، يحمله العبرانيون معهم في ترحالهم، فإذا استقر بهم المقام وضعوه في خيمة، - وكما عرفنا سابقا - فقد استبدلت الخيمة بالمعبد في عهد سليمان.

ويبدو أن قداسته جعلت منه من المحرمات التي لا يسمح لأحد بالاقتراب منها لأنه يحتوي على مقدسات العبرانيين وهي المن وعصا هارون ولوحي الشريعة أو العهد ثم وضع بجانبه كتاب التوراة،

---

(1) سفر الخروج 13: 20-22، سفر العدد 9: 15-23.

(2) سفر الخروج: 26: 27، 35، 38.

(3) عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ص 1924.

(4) سفر الخروج: 25: 10-22.

(5) سفر العدد: 10: 35-36.

غير أن المن والعصا كانا قد اختفيا في عهد سليمان وبقي اللوحان اللذان كتبت عليهما الوصايا العشر وهي كما جاءت في سفر الخروج "**لا يكن لك آلهة سواي، لا تصنع لك تمثالا ولا صورة مما في السماء أو الأرض أو المياه لا تسجد لها ولا تعبدها... لا تحلف باسم الرب إلهك باطلا... أذكر يوم السبت وكرسه لي، ففي ستة أيام تنجز جميع أعمالك واليوم السابع سبت للرب إلهك... أكرم أباك وأمك ليطول عمرك، لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد على غيرك شهادة زور، لا تشته بيت غيرك، لا تشته امرأة غيرك ولا عبده، ولا جاريته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما له**"[1].

وقد وقع التابوت في أيدي الفلسطينيين لكنهم اضطروا إلى إرجاعه حسب الرواية التوراتية بسبب الكوارث التي حلت بهم، فنقل إلى أورشليم أثناء حكم داود، وقد حفظ سليمان التابوت في قدس الأقداس بالهيكل[2].

ومما سبق يستوقفنا سؤال، كيف استطاع هذا التابوت أن يحتل هذه المكانة وهذا التقديس عند العبرانيين؟ وهذا ما يدفعنا إلى تحليل نظرة العبرانيين للتابوت، فقد كانوا ينظرون إليه على أنه عرش يهوه الذي يجلس عليه، كما أن وجوده بينهم يشعرهم بالأمان والرضا الرباني وبحمايته لهم من الأعداء والكوارث.



شكل مجسم لتابوت العهد صنع من خشب السنط طبقا للمواصفات الواردة في التورات
http://www.vopg.com

(1) سفر الخروج: 20: 2-17، أندريه إيمار: المرجع السابق، ص 270.

(2) سفر صموئيل الثاني: 6: 16-19.

د- **الكهنة:** والكاهن في العبرية يطلق عليه لفظ كوهي، وهو الشخص الأقرب إلى يهوه بينما يبقى الآخرون بعيدين عنه وينسب هؤلاء المقربون إلى نسل هارون وإلى فرع اللاويين[1] لأنهم كانوا منذ القديم هم المسؤولون الفعليون عن الأضاحي والقرابين والإشراف على الطهارة، لذلك كان كبير الكهنة يختارهم في غالب الأحيان، وهذا ما أدى إلى ظهور بعض التوتر بينهم وبين بقية أعضاء القبيلة لاحتكارهم لأهم الشعائر الدينية، لكن ذلك التوتر بدأ يختفي بالتدرج بعد إنشاء الهيكل وتمركز العبادة القربانية حوله[2].

كان العبرانيون يعتبرون الكهانة هي الأداة المقدسة والمختارة للوساطة بين الإنسان وربه، وبذلك فإن فئة المصطفين من الشعب العبراني هي فئة الكهنة الذين كانوا يقومون بمراقبة عملية تنفيذ كلمة الرب وضبطها[3].

وفي العهد الملكي أصبح الملك هو الكاهن الأعظم، لكن كثرة انشغالاته جعلته يعين مندوبين عنه لممارسة هذه المهمة، مما مهد لانفصال السلطة الدنيوية عن السلطة الدينية خاصة في عهد داود حيث ساد الانسجام بينه وبين الكهنة فيهم العبرانيون بالسلام والازدهار الديني[4] حيث قال له الرب "**أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملك صادق**"[5]. لكن سياسة سليمان فيما بعد وضعت حدا لهذا التحالف بعد إدخاله صورا أجنبية من العبادة غذت الصراع بين الولاء السياسي والولاء الديني وعجلت بظهور أزمة سياسية دينية[6].

ويبدو أن هذه الأزمة تعمقت أكثر في عصر انقسام المملكة بعدة سليمان مما أدى إلى اضمحلال السلطة السياسية وقيام قوة دينية جديدة هي قوة الأنبياء، الذين بدأوا يستقطبون الأنظار ويتولون بعض الوظائف التي كانت من الأعمال المنوطة بالكاهن، وقد تعددت هذه الأعمال في العصر الملكي لكنها كانت تتمثل بصورة خاصة في القيام بمتطلبات العبادة من نظام الذبائح اليومية والأسبوعية والشهرية والسنوية، والاعتناء بالآنية المقدسة والمنارة الذهبية[7]، والأثاث المقدس وإطلاق الصوت في الأبواق المقدسة، وحمل التابوت...الخ.

---

[1] محمود أحمد المراغني: المرجع السابق، ص 67.

[2] عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ص 1916.

[3] الطيب تيزيني: من يهوه إلى ا ، ج3، م1، د.ط، دمشق للطباعة والنشر، د.ت، ص 39.

[4] المرجع نفسه، ص 1916.

[5] سفر مزمور: 110: 4.

[6] سبتينو موسكاتي: المرجع السابق، ص 122.

[7] محمود أحمد المراغني: المرجع السابق، ص 81.

كما كان دور الكهنة الرئيس يتمثل في كيفية أداء شرائع القرابين والذبائح المختلفة والكفارات بأنواعها وهذه الأعمال كانت حكرا على الكهنة من أبناء هارون[1] وقد كان الكاهن يتزعم أيضا مواسم الحج إلى أماكن العبادة، فهو بذلك يقوم بدور المعلم والقاضي الذي يفصل بين الناس في خصوماتهم "**فإذا عسر عليك أمر في القضاء بين دم ودم أو بين دعوى ودعوى، أو بين ضربة وضربة من أمور الخصومات في أبوابك، فقم واصعد إلى المكان الذي يختاره الرب إلهك واذهب إلى الكهنة اللاويين، وإلى القاضي الذي يكون في تلك الأيام واسأل فيخبروك بأمر القضاء**"[2].

وكان يعتقد أن سلطة الكاهن كانت تتعمق وتكبر يوما بعد يوم إلى درجة أن من لا يخضع لسلطتهم أو ينحرف عن تعاليمهم يكون جزاؤه القتل[3]. بل أن الملك كان لابد أن يمسحه الكاهن عند تتويجه حتى يستمد القوة السماوية في حكمه، وكما عرفنا سابقا فقد مسح صامويل كل من "شاؤول" و"داود" ملكين على العبرانيين، كما مسح الكاهن صادوق سليمان أيضا حين توليه الملك وبذلك فإن سلطة الكاهن كانت سارية على الملك طوال أيام حكمه.

غير أن سلطة الكاهن بدأت تتقلص بالتدريج لتزايد سلطة الملك، ومن ثمة حاول الكهنة التخلص من هذه السلطة الجديدة والحد من خطرها بعد استقطابها للأنظار وبالتالي فقدان الكهنة للكثير من قوتهم وسلطتهم المعنوية على الشعب، وبذلك احتدم الصراع بين الكهنة والملك وخير دليل على هذا الصراع ما حدث من صامويل الذي مسح داود ملكا على العبرانيين، وشاؤول ما يزال ملكا، وهذا ما فتح الباب على مصراعيه لظهور ما يعرف بالصراع على السلطة الملكية، فيكون بذلك أول من غرس بذرة الدمار لهذا النظام[4].

ويبدو أن داود استهل فترة حكمه باسترضاء الكهنة، حيث خصهم بحمل التابوت بعد استرداده من الفلسطينيين وأن يكون هذا الشرف محصورا في الكهنة اللاويين وهذا ما فعله سليمان أيضا حين نقل التابوت إلى الهيكل بعد إتمام بنائه، ومن ثمة أصبحت سلطة الكاهن أداة في يد الملك يوجهها حسب أغراضه فانحرفت عن مسارها الأول[5].

ه- الأنبياء: تعتبر النبوة من أهم الظواهر الدينية عند العبرانيين على الإطلاق كما أنها حقيقة دينية ثابتة لها مظاهرها وأسبابها في التاريخ الديني للعبرانيين، وكان ظهور الأنبياء عند العبرانيين يمثل ضرورة تاريخية اقتضاها التدهور المستمر لعبادة الإله الواحد "يهوه" والردة الدينية إلى عبادة

---

(1) سفر اللاويون 2: 1، 6: 14.

(2) سفر التثنية 14: 8-9، سفر حزقيال 44: 23-24.

(3) سفر التثنية: 17: 11-12.

(4) محمود أحمد المراغي: المرجع السابق، ص 87.

(5) المرجع نفسه، ص 91.

الآلهة الأجنبية، مما استدعى الظهور المستمر للأنبياء عند العبرانيين وذلك لإصلاح الأوضاع المتدهورة ومقاومة الوثنية والعودة إلى العبادة الصحيحة(1).

لذلك فالأنبياء في بني إسرائيل لم يكن وجودهم ندرة، ولم يكن بينهم فترة، فقد يوجد منهم في العصر الواحد أربعمائة نبي كما جاء في سفر الملوك الأول، حيث جمع ملك إسرائيل الأنبياء نحو أربعمائة رجل وسألهم: "أأذهب إلى رامة جلعاد للقتال؟" [وقال رسول ا صلى ا عليه وسلم: "علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل" فعمل النبي عندهم كعمل الفقيه في الأمة الإسلامية(2)].

وقد كان الأنبياء يمثلون عنصر المقاومة الوحيد لسياسات القوى العظمى في المنطقة من ناحية وسياسات ملوك وحكام العبرانيين تجاه هذه القوى من ناحية أخرى، كما أن التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي بدأت في الظهور مع قيام المملكة وما أفرزته من تناقضات اجتماعية واقتصادية، وتحول المجتمع العبراني من مجتمع قبلي بدوي إلى مجتمع المدينة والدولة وخاصة في عهدي داود وسليمان قد أدت إلى ظهور المشاكل الاقتصادية والاجتماعية ومن أهمها اختفاء العدالة الاقتصادية والاجتماعية(3).

ومن هنا جاءت دعوة الأنبياء إلى تخفيف الفوارق الاجتماعية والاقتصادية وتحقيق العدالة الاجتماعية، ونبذ الوثنية والشرك والتأكيد على عبادة الإله الواحد، كما تميزت النبوة ببعدها الأخلاقي وربطها بين الدين والأخلاق.

والنبوة عند العبرانيين تبدأ من بعد عصر موسى فهم يعتبرون كل من إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون مجموعة من آباء العبرانيين تلقوا نوعا من الوحي لكنهم يرتبطون بالعبرانيين بنسبهم.

فكل الشخصيات التي سبقت موسى يجمعهم لقب "الآباء" أو "البطاركه" "Les Patriarches" مما يدل على أنهم في نظر العبرانيين كانوا شيوخ قبائل وعشائر وأن وظيفتهم كانت سياسية اجتماعية أكثر منها دينية(4).

ويقسم التراث الديني العبراني الأنبياء بعد موسى إلى مجموعتين الأنبياء الأوائل والأنبياء الأواخر وأن الفترة التي تلت عصر موسى مباشرة كانت امتدادا للعصر الموسوي، فلم تظهر نبوءات ولا أنبياء واستمر هذا الوضع حتى ظهرت إرهاصات النبوة الأولى في شخص "إيليا" و"اليشع"

(1) محمد خليفة حسن: المرجع السابق، ص 107.

(2) عباس محمد العقاد: العقائد والمذاهب، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978، ص 238.

(3) محمد خليفة حسن: المرجع السابق، ص ص 109-110؛ André Caquot : Op.cit, P 432

(4) J. De Fraine : Nouvel atlas historique et culturel de la bible, éditions Meddens, Paris, 1961, PP 4 -9; André Aymard : Op.cit, PP 249-250.

"وصاموئيل" ولا ينظر إلى كل من شاؤول وداود وسليمان على أنهم أنبياء فهم في نظرهم مجرد ملوك[1]، فكان كل واحد منهم في حاجة إلى نبي يستشيره دينيا، كما فهل شاؤول مع النبي صاموئيل المسؤول الأول عن نشأة الملكية عند العبرانيين.

وكمكانة جاد النبي أيضا عند داود "**جاد النبي رائي داود**"[2] حيث كان داود ينفذ ما يقوله جاد على أنه وحي إلهي لا يناقش، "**فصعد داود كما أمره الرب على لسان جاد**"[3]، وكذلك كان الأمر بالنسبة لسليمان حيث تذكر التوراة أن النبي ناتان هو الذي مسح سليمان ملكا على العبرانيين "**حيث يمسحه صادوق الكاهن وناتان النبي ملكا على إسرائيل**"[4].

وكما عرفنا فإن العبرانيين يعتبرون بيت داود ملك فقط خلال ما نعتقده نحن على أنه كان بيت ملك ونبوة في نفس الوقت فلذلك يلصقون به الكثير من المعاصي فصوره على أنه بيت دعارة وزنا فالأخ يزني بأخته وداود نفسه يزني ببتشع الجميلة ثم يتسبب في مقتل زوجها أوريا، وسليمان نفسه يدخل الوثنية إلى معبد الإله إرضاء لزوجاته الأجنبيات.

وقد رد القرآن الكريم عن هذين النبيين الملكين كل ما أثير حولهما مما لا يليق بعباد ا وأنبيائه فقال: ﴿ إِنا أَوحينا إِلَيكَ كَما أَوحينا إِلَى نوحٍ والنبِيين من بعده وأَوحينا إِلَى إِبراهيم وإِسماعيلَ وإِسحاق ويعقُوب والأَسباط وعيسى وأَيوب ويونس وهارونَ وسلَيمانَ وآتينا داوود زبوراً ﴾[5].

فقد ذكر القرآن الكريم داود وسليمان عليهما السلام من بين الأنبياء الذين ورد ذكرهم في أكثر من موضع، وقد خص داود بكتابة الزبور[6].

و- يوم السبت: يعد يوم السبت من أكثر الأيام قداسة وبركة عند العبرانيين ويطلقون عليه أيضا "اليوم السابع" وحسب ما ورد في التوراة فهو مرتبط بقضية خلق الكون "**فتم خلق السموات والأرض وجميع ما فيها، وفرغ ا في اليوم السابع من عمله الذي عمل واستراح في اليوم السابع... وبارك ا اليوم السابع وقدسه لأنه استراح فيه من جميع ما عمل كخالق**"[7].

وهكذا ومن خلال هذه الفقرات نلمس مباركة الرب لهذا اليوم، وتقديسه له فأوحى بأن يكون يوم راحة وانقطاع عن العمل، ويعتقد العبرانيون أن ا قد أعطى شعبه يوم السبت ليكون مقدسا

---

(1) Adelphe Loos : Op.cit, P 513; Josy Eisenberg: Op.cit, P 31.

(2) سفر صاموئيل الثاني 24: 11.

(3) سفر صاموئيل الثاني 24: 13.

(4) سفر الملوك الأول 1: 34.

(5) سورة النساء: الآية 163.

(6) تفسير ابن كثير: المصدر السابق، ج1، ص 779.

(7) سفر التكوين 2: 1-4.

ومباركا، وقد أورد ذلك في الوصايا العشر حيث أوصت الوصية الرابعة بتقديس السبت ووجوب حفظه[1] "**احفظ يوم السبت وقدسه كما أمرك الرب إلهك، في ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك، أما اليوم السابع فهو سبت للرب إلهك، لا تعمل فيه عملا أنت وابنك، وابنتك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وسائر بهائمك**"[2].

وحجة العبرانيين في ذلك أن ا تعالى ابتدأ خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه يوم الجمعة وأن يوم السبت يوم فراغ ودعة ولهم في ذلك أقوال كثيرة[3] وهناك سبعة وثلاثون عملا من أتى واحدا منها منها في السبت أو ليلة السبت استحق القتل "تكريب الأرض، زرع الأرض، حصد الزرع، سياقة الماء على الزرع، ضرب الممخصة، حلبة اللبن، كسر الحطب، إيقاد النار، عجن العجين، خبر الخبز، خياطة الثوب، نسج السلك، كتابة حرفين، أخذ الطين، ذبح الحيوان، الخروج من القرية، التحويل من موضع إلى موضع، السراء والبيع، الدق والطحن والاحتطاب، قطع الجبن، دق اللحم، إصلاح النعل، إذا انقطعت خاط عاف الدابة ولا يجوز للكاتب أن يخرج يوم السبت من منزله ومعه قلمه ولا الخياط ومعه إبرته"[4].

3- **الأعياد عند العبرانيين:** تعد الأعياد من أهم مقدسات العبرانيين التي يحرصون على احترامها وأداء طقوسها حسب شريعتهم وأهم هذه الأعياد:

- **عيد الفصح (أفريل):** يطلقون عليه أيضا عيد الفطير ويكون في اليوم الخامس عشر من نيسان (أفريل) وهو سبعة أيام يأكلون فيها الفطير وينظفون فيها بيوتهم من خبز الخبز، ولأنها الأيام التي خلصهم فيها تعالى من فرعون وأغرقه، وعند خروجهم كانوا يأكلون اللحم والخبز والفطير وهم فرحون وفي آخر هذه الأيام غرق فرعون[5].

- **عيد الأسابيع:** يأتي بعد عيد الفطير بسبعة أسابيع وهو الذي كلم ا فيه نبي بني إسرائيل من طور سيناء، وفيه فرضت عليهم الفرائض، ويسمونه أيضا عند العنصرة، أو عيد الخطاب وتطلق عليه التوراة عيد الحصاد ويقع في السادس من شهر "سيوان" (آخر مايو- بداية يونيه) ولذلك يسمونه أيضا باليوم الخمسين[6].

---

[1] صفا أبو نادي: الأعياد والمواسم في الديانة اليهودية، د.ط، دار الوفاء، الإسكندرية، 2005، ص 19.

[2] سفر التثنية 5: 12-14.

[3] النويري: المصدر السابق، ص 144.

[4] المطهر بن طاهر المقدسي: كتاب البدء في التاريخ، ج$_4$، باريس، 1907، ص 41.

[5] سفر الخروج 12: 1-14؛ النويري: المصدر السابق، ص 187؛ المطهر بن طاهر المقدسي: المصدر السابق، ص 37؛ الأرقم الزغبي: حقائق عن اليهودية، ط$_1$، الدار المتحدة للطبع والنشر، 1990، ص 20.

[6] المطهر بن طاهر المقدسي: المصدر السابق، ص 37؛ عبد الوهاب النويري: المصدر السابق، ص 128؛ محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ج$_4$، ص 527-528.

- **عيد رأس الشهر:** ويسمونه "رأس هشا" وهو أول يوم من أيام تشرين ينزل عيد الأضحية عندنا، ويقولون أنه اليوم الذي أمر فيها إبراهيم بذبح ابنه إسحاق وفداه بذبح عظيم[1]، غير أن ذلك أمر مستبعد لأن الذبيح كان إسماعيل عليه السلام حسب ما جاء في القرآن الكريم.

- **عيد صوماريا:** ويسمى "الكبور"، وهو عندهم يوم الصوم العظيم الذي فرض عليهم، ويقتل من لم يصمه، مدته خمس وعشرون ساعة يبدأ فيها قبل غروب الشمس في اليوم التاسع من شهر تشرين، ويختم بعد مضي ساعة من اليوم العاشر بعد غروب الشمس، ويشترطون رؤية ثلاثة كواكب عند الإفطار، وهي تمام الأربعين الثالثة التي صام فيها موسى عليه السلام، كما يشترطون ألا يقع عندهم في يوم الأحد، أو الثلاثاء أو الجمعة، يزعمون أن ا تعالى يغفر لهم جميع ذنوبهم إلا الزنا بالمحصنات وظلم الرجل أخاه، وجحد ربوبية ا تعالى[2].

- **عيد المظلة:** وهو ثمانية أيام تبدأ بالخامس عشر من تشرين وكلها أعياد واليوم الأخير منها يسمونه عرايا، وهو أيضا حج لهم، فهم يجلسون في هذه الأيام تحت ظلال سعف النخيل الخضر وأغصان الزيتون، وباقي الشجر الذي لا ينتشر ورقه على الأرض، ويعتبرون ذلك تذكيرا لهم لإظلال ا تعالى لهم بالغمام[3].

وتعد هذه الأعياد الخمسة أهم أعياد العبرانيين القدامى، وقد ظهرت فيما بعد أعياد مستحدثة كثيرة جاءت انعكاسا للظروف التاريخية التي مر بها العبرانيون بعد انقسامهم وسقوط مملكتهم وتوالي هزائمهم.

4- الكتب المقدسة عند العبرانيين: تحتل الكتب المقدسة عند العبرانيين مكانة رفيعة تلزمهم بإتباعها والحفاظ عليها وأهمها:

أ- التوراة: هي الكتاب المقدس عند العبرانيين وتنسب إلى نبي ا وكليمه موسى عليه السلام، وأما المعنى الحرفي لكلمة توراة (Torah) في العبرية تعني الرؤية (Showing) وذلك لأن التوراة تتيح للإنسان أن يكتشف الأمور الباطنية الخفية ويتمكن من استخراج الحكمة والنفاذ إلى جوهر الأشياء، وهي بذلك تنطوي على أعمق الأسرار وأكثرها غموضا[4] وقيل هي مشتقة من الفعل أورى وعلّم، ومنها المعلم وتعليم وقد استعملت لتعبر عن الشريعة والقانون، فقال بعضهم أنها تعني الهداية

---

[1] المطهر بن طاهر المقدسي: المصدر السابق، ص 37.

[2] النويري: المصدر السابق، 186.

[3] سفر اللاويون 23: 33-36؛ النويري: المصدر نفسه، ص 187؛ المطهر بن طاهر المقدسي: المصدر السابق، ص38.

[4] غازي محمد فريج: النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة، ط1، دار النفائس، بيروت، 1411هـ-1990م، ص 38.

والرشاد[1] ويعد الكتاب المقدس عند العبرانيين الجزء الأكبر من الكتاب المقدس بصورة عامة الذي يضم مجموعة أسفار التوراة وأسفار ما يعرف بالعهد القديم والجديد والمعروف باسم Bible وهو لفظ يوناني يعني محمود الكتب، ويطلق على محمود الكتب التي يعتقد بقدسيتها[2].

ويتفق أغلب الكتاب أن التوراة تتألف من خمسة أسفار هي كتب: التكوين والخروج واللاويون (أو الأخبار) بالإضافة إلى العدد وتثنية الاشتراع (أو التثنية حسب النصوص العبرية).

وأما الجزء المسمى "الأنبياء" فيتألف من ثمانية أسفار وهي يشوع والقضاة وصموئيل والملوك (وهم الأنبياء الأولون) وأشعيا وإرميا وحزقيال (وهم الأنبياء المتأخرون) ويعتبرون سفرا واحدا[3]، وأما هوشع ورئيل وعاموس وعوبديا ويونان وميغا وناحوم وحيقوق وصفنيا وحجاي وزكريا وملاخي فيعتبرونه أيضا سفرا واحدا.

بينما تشكل الكتب وهي الجزء الأخير من القصائد الدينية وكتب الحكمة، كالمزامير والأمثال وأيوب ونشيد الأناشيد وراعوث والمراثي والجامعة واستير ودانيال وعزرا ونحميا والأخبار، وتضاف إلى هذه الأسفار أسفار أخرى تعتبر غير مقبولة وتدعى (Apoltypha) أي[4] الكتب المخفية.

يبدو أنه أصبح من المتفق عليه لدى الكتاب والباحثين أن تدوين التوراة قد تم على يد عزرا الكاتب أيام السبي البابلي، وقد ظلت التوراة التي أنزلها ا وكتاب موسى مخفيين أو ضائعين حوالي سبعمائة سنة، وتشير الدراسات إلى أن التوراة الحقيقية قد فقدت قبل السبي البابلي وليس بعده[5].

ولعل أكثر الاحتمالات مقاربة للواقع أن العبرانيين أنفسهم هم من أخفوها وقد تنبأ موسى عليه السلام بأن قومه سيحرفون كلام ا "**وقال الرب لموسى سترقد مع أبائك، وهؤلاء الشعب سيقومون علي ويفجرون بإتباع آلهة غريبة في الأرض التي هم داخلون إليها، ويتركوني وينقضون عهدي الذي قطعته معهم**"[6]. وحسب نص التوراة فإن موسى قبل وفاته تحدث لهم عن التوراة وأوصاهم أن يحفظوا ما فيها[7]، وقد سلّم اللاويون كتاب التوراة إلى أولاد هارون، وتشير التوراة إلى أن يشوع نسخ نسخة

---

(1) عبد ا التل: جذور البلاء، المرجع السابق، ص 9؛ منى إلياس: الأصوليون اليهود بين أساطير التوراة والعلم المعاصر، ط2، دار القلم، دمشق، 1422هـ -2001م، ص 67.

(2) موسى معيرش: الديني والسياسي، المرجع السابق، ص 32.

(3) سهيل ديب: المرجع السابق، ص 11.

(4) سهيل ديب: المرجع نفسه، ص 11؛
Michel Clévenat : Op.cit, PP 73-74.

(5) حسن مصطفى الباش: أين التوراة؟ أي كتاب موسى عليه السلام؟، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، السنة 13، العدد 50، جمادى الأولى، 1426هـ - يوليو 2005م، دائرة البحث العلمي والدراسات، دمشق، ص 71.

(6) سفر التثنية 31: 16.

(7) سفر التثنية 31: 24-29.

منها كانت خاصة به، ولا أحد يعرف ماذا حدث لنسخة موسى، لأن التوراة لا تأتي على ذكرها بعد موت موسى، فقد أثبتت البحوث التاريخية والنتائج العلمية لتحاليل النصوص الأثرية[1] وتراجم اللغات القديمة وجل رموزها أن التوراة هي مجرد موسوعة أدبية وأنه قد تم استبدال تاريخ الشعوب والممالك التي استوطنت ارض كنعان بتاريخ من صنع خيال كتاب التوراة وعليه فقد وصل ابن حزم[2] إلى كتب التوراة وتحقيقها وأنها ليست من عند ا .

ويرى بيومي مهران أننا حين نتعامل مع التوراة كمصدر تاريخي علينا أن نتخاص تماما من الهالة التي أسبغها عليها المؤمنون بها، وأن نتعامل معها كغيرهما من المصادر التاريخية فلا ننظر إليها ككتاب مقدس، وأن ما تضمنته من وقائع هي حقائق لا ينبغي الشك فيها، بل يجب أن ننظر إليها كمصدر تاريخي وأن من كتبوا التوراة كانوا بشرا مثلنا ومادامت التوراة كتاب تاريخ ليس هناك ما يمنع المؤرخ من مناقشتها مناقشة حرة[3].

ب- التلمود: كلمة التلمود مشتقة من الجذر العبري "لامد" والذي يقصد به الدراسة فيقال "تلمود توراة" أي دراسة الشريعة... وقد تعود كلمة تلمود العبرية وكلمة تلميذ العربية تعود إلى أصل سامي واحد[4].

وقد ترجم التلمود إلى عدة لغات ويعتقد الربانيون التلمود توراة ثانية نزلت على موسى[5] لكنها لكنها كلها محذوفة الحواشي والأقسام التي لا يجوز الإطلاع عليها لغير الحاقاميين المتقدمين في اللاهوت[6] والتلمود عبارة عن تفسير الخامات للشريعة المكتوبة وهي التوراة، والتلمود عبارة عن روايات شفوية يتناقلها الحاخامات إلى أن جمعت في كتاب سمي "المشنا" أي الشريعة[7].

ج- المشنا: هو الكتاب الثاني بعد التوراة ويشمل التعاليم التي تلقاها موسى من ربه، وكانت مشروحة بلغة يفهمها عامة الشعب، وقد كتبها يهوذا حناش الذي كان الزعيم الديني شمال فلسطين سنة 165م وبذلك فالمشنا[8] هي أكبر مجموعة من أسفار العهد القديم دونت فيها شريعة موسى ثم أضيفت

---

(1) حسن مصطفى الباش: المرجع السابق، ص 71.

(2) محمود علي حماية: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1983، ص 260.

(3) محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ العرب القديم، المرجع السابق، ص ص 29-31.

(4) أحمد الطاهر بحري: اليحوث التاريخية وإشكالية مضمون التوراة، ط1، مطبعة سيبوس، عنابة، 2007، ص 120.

(5) عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ص 1986؛ سهيل ديب: التوراة تاريخها وغاياتها، ط2، دار النفائس، بيروت، 1397هـ-1977م، ص 82.

(6) محمد حلمي منصور: النظام القانوني للأسرة في الشرائع غير الإسلامية، ص 41.

(7) نبيل فياض: التلمود البابلي رسالة عبدة الأوثان، ط1، دار الغدير، دمشق، 1991، ص 4؛ حسين علي محمد: قاموس المذاهب والأديان، ط1، دار الجيل، بيروت، 1419هـ-1988م، ص 830.

(8) Eliade Coulaine : Op.cit, P 233 ; Michel Clévenat : Op.cit, P 77.

إليها أقوال الحكماء التي نقلها تلاميذهم، وتلاميذ تلاميذهم[1] وتختلف لغة المشنة عن لغة التوراة في ما يلي:

- وجود كلمات أرامية كثيرة.
- كثرة استعمال الأفعال المضارعة واسم الفاعل.
- تسرب أكثر من ثلاثمائة كلمة من اليونانية واللاتينية إليها.
- استعمال كلمات من التوراة في غير معناها الأصلي[2].

ه- الجمارة: وتعني التعليق وهي الشروح التي شرعت بها المشنا، وقد ألفت في فترة طويلة تمتد كمن القرن الثاني إلى أواخر القرن السادس قبل الميلاد، وتتألف من المتن والشرح المتن وهو المنشا والشروح وهي الجمارا[3].

و- الزبور: قال أعرابي: إني لا أعرف زبرتي، أي كتابتي وخطي، وزبرت الكتاب إذا أتقنت كتابته، والزبر: الكتاب والجمع زبور، مثل قدر وقدور، كتاب زبور قال بعضهم الزبور اسم للكتاب المقصور على الحكم العقلية دون الأحكام الشرعية وهذا ما يدل على أن زبور داود عليه السلام لا يتضمن شيئا من الأحكام الشرعية.

والزبور كما ذكره القرطبي في تفسيره "كتاب داود وكان له مائة وخمسين سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام وإنما هي عبارة عن حكم ومواعظ".

وقال المسعودي: "وأنزل ا عز وجل عليه الزبور بالعبرانية خمسين ومائة سورة وجعله ثلاثة أثلاث، فثلث ما يلقون من (بخت نصر) وما يكون من أمره في المستقبل وثلث ما يلقون من أهل أثور (أشور) وثلث موعظة وترغيب بتمجيد وترهيب، وليس فيه أمر ولا نهي ولا تحليل ولا تحريم"[4].

وتسمى أقسام الزبور مزامير وعددها حوالي مائة وخمسون مزمورا، يكررها العبرانيون في هياكلهم على شكل ترانيم.

وقد كان داود جميل الصوت يتقن العزف على القيثارة ويؤديها بشكل مغنى فلذلك يعملون على تقليده.

---

[1] Eliade Coulaine : Dictionnaire des religions, Plon, Paris, 1990, P 233.

[2] محمود العابدي: المرجع السابق، ص 31.

[3] علي عبد الواحد وافي: المرجع السابق، ص 24.

[4] أسعد البحراني: موسوعة الأديان الميسرة، ط2، دار النفائس، بيروت، 1423هـ-2002م، ص ص 279-280.

وعليه فالزبور هو كتاب داود عليه السلام وتسمى أجزاؤه مزامير ولا عبرة لاختلاف في عددها، وقد اختلف في تحديد عددها، لأنها دونت بعده بحوالي سبعة قرون[1] قال تعالى: ﴿ وَلَقَد فَضَلْنا بعض النبيين علَى بعضٍ وآتينا داود زبوراً ﴾[2] وقد بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أن الزبور أعطى أفضلية لداود بشكل قاطع على كثير من الأنبياء.

المزمور المئة والثامن- تسبيحة مزمور لداود:

1- إن قلبي ثابت بالله، أرنّم وأشدو لك فهيا استيقظي يا نفسي.

2- استيقظي أيتها الرباب والعود، أنا أستيقظ قبل الفجر.

3- أحمدك بين الشعوب يا رب وأشدو لك بين الأمم.

4- فإن رحمتك قد عظمت فوق السموات وحقك بلغ الغيوم.

5- ارتفع يا الله فوق السموات، وليتسام مجدك فوق الأرض كلها.

6- استجب لي وخاص بيمينك المقتدرة كي ينجو أحباؤك.

7- قد تكلم الله في قداسته، ولذلك أبتهج وأقسم أرض شكيم وأقيس وادي شكوت.

8- لي جلعاد، ولي منسى أفرايم خوذة رأسي ويهوذا صولجاني، مرآب مرحضتي وعلى أدوم ألقي حذائي، وعلى فلسطين أهتف منتصرا.

10- من يقودني لمحاربة المدينة المحصنة؟ من يهديني إلى أدوم؟

11- أليس أنت يا الله الذي أقصيتنا ولم تعد تخرج مع جيوشنا؟

12- هب لنا عونا في الضيق، فعبث هو خلاص الإنسان.

13- لكن بعون الله نحارب ببأس، وهو الذي يدوس أعداءنا[3].

---

[1] محمد شحرور: المرجع السابق، ص 708.

[2] سورة الإسراء: الآية 55.

[3] المزمور المائة والثامن من كتاب مزامير النبي داود، جمعية الكتاب المقدس الدولية، 1988، ص 121.

التوراة الملفوفة، الكتاب المقدس للعبرانيين

www.55a.net



ختم خادم هيكل سليمان

www.nnda.worldpress.com

المبحث الثاني- الحيـاة الثقـافيـة: عندما أقام العبرانيون بأرض كنعان تأثروا بالثقافة والأفكار الكنعانية خاصة وأنهم لما اندفعوا إلى أرض كنعان كانوا ما يزالون في حالة البداوة، وقد انعكس تأثرهم بالكنعانيين في مختلف نواحي الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، كما عرفنا سابقا ومن أهم المظاهر الثقافية والفكرية.

1- اللغـة العبريـة: تطلق اللغة العبرية على لغة فرع واحد من العبرانيين وهو فرع بني إسرائيل أي أبناء يعقوب عليه السلام، وذلك لأن الأمم العبرية تشمل بني إسرائيل وشعوب أخرى كالأذوميين والمؤابيين والعمونيين، ولكن اللغة العبرية أصبحت مقصورة في بني إسرائيل وحدهم، ويرى البعض أنها مثل اللغة العربية تفرعت عن اللغة السريانية.

ومهما يكن من اختلاف الكتاب والمؤرخين حول اللغة العبرية، فإن الشيء المتفق عليه أنها إحدى اللغات السامية التي كانت منتشرة في شبه الجزيرة العربية قبل الهجرة الأولى نحو بلاد الرافدين والمرجح أنها تأثرت هي الأخرى بالمحطات التاريخية التي مر بها العبرانيون من بلاد الرافدين إلى بلاد الشام ثم مصر ثم أرض كنعان، ويبدو ذلك جليا في الأحداث والأحكام التي أوردتها التوراة.

وقد عرفت هذه اللغة عدة مراحل، تأثرت في كل مرحلة منها بعدة مؤثرات أثرت في مفرداتها وقواعدها، ومن بين هذه المؤثرات الأوضاع السياسية التي عرفها العبرانيون واستقرارهم، وتأثرهم بالشعوب المجاورة وطبيعة العلاقات التي كانت تربطهم بهم، فانعكس ذلك الاحتكاك على لغتهم وثقافتهم، فاللغة كما نعلم هي مرآة عاكسة للظروف والمؤثرات التي تكتنف الناطقين بها في حياتهم الاجتماعية والثقافية، وقد مرت اللغة العبرية بمرحلتين رئيسيتين:[1]

المرحلة الأولى تبدأ نشأة هذه اللغة،من القرن الثالث عشر ق.م إلى أواخر القرن الرابع ق.م، كانت خلالها العبرية لغة حية يتكلم بها العبرانيون، وكانت لغة فصيحة خالية من الشوائب والمؤثرات الأجنبية، وتعرف بالعبرية القديمة أو عبرية العهد القديم، والمتمثلة في أسفار "العهد القديم".

وأما المرحلة الثانية هي المرحلة التي حلت فيها اللغة الأرامية محل اللغة العبرية، فأصبحت اللغة الأرامية لغة التخاطب، واقتصر استخدام اللغة العبرية على الكتابة والشؤون الدينية[2].

وهناك من المؤرخين من ينكر وجود لغة عبرية قديمة وعبرية متأخرة فيؤكد أحمد سوسة أنه لم يكن هناك سوى لغة عبرية واحدة هي التي كتبت بها التوراة في الأسر البابلي في القرن السادس ق.م، والمقصود بالعبرية القديمة وهي التي أخذها الموسويون بعد عصر موسى من اللغة الكنعانية

(1) علي عبد الواحد وافي: المرجع السابق، ص 10.

(2) صاعد بن أحمد الأندلسي: طبقات الأمم، د.ط، مطبعة السعادة، مصر، د.ت، ص 6.

القديمة، فاللغة العبرية لم تظهر إلا حينما بدأ الكهنة يدونون توراتهم بما يعرف بـ"أرامية التوراة" المقتبسة من اللغة الأرامية ولا يوجد ما يؤكد أن العبرانيين استعملوا حتى في عصر الملوك لغة غير اللغة الكنعانية[1].

ويستخلص مما سبق أن اللغة الكنعانية كانت هي السائدة حتى في عهد الملوك في القرن العاشر ق.م أي بعد زمن موسى بحوالي ثلاثمائة عام بدليل أن الديانة الوثنية الكنعانية كانت هي السائدة وقد أكدت التوراة أن ملوك إسرائيل ويهوذا بعد الانقسام كانوا يدينون بالوثنية إلى حوالي ثلاثمائة عام بعد الانقسام، وبما أن الديانة هي أساس الثقافة فهذا يدل على أن العبرانيين لم تكن لديهم أية ثقافة خاصة بهم خلال وجودهم بأرض كنعان بل اقتبسوا الثقافة الكنعانية بما فيها اللغة والديانة من أهل البلاد الأصليين.

والمرجح كما يرى أحمد سوسة أن اللغة البابلية كانت هي المستعملة في المراسلات حتى في عهد داود وسليمان وذلك قبل انتشار اللغة الأرامية في الشرق الأدنى والأوسط، وذلك لأن اللهجة التوراتية التي دونت بها التوراة فيما بعد لم يكن قد تكونت بعد في زمن داود وسليمان وعليه فإن كتاب "العهد القديم" لم يكن قد ظهر إلى الوجود في ذلك الوقت، وأما مزامير داود وأمثال سليمان فهي من أصل كنعاني وكانت تتلى باللغة الكنعانية ثم ترجمت إلى اللغة العبرية وأصبحت تعد من الأسفار المقدسة في التوراة[2].

2- **الأدب العبراني:** اتفق جل الكتاب أن الأدب العبري أو العبراني يعود ظهوره إلى زمن حكم الملك داود عليه السلام[3]، فرغم ما كان يطبع فترة حكمه من حروب وتوسعات باعتباره رجل حرب بالدرجة الأولى، إلا أن أهم ما تركه العبرانيون في مجال الفكر والأدب يعود إلى فترة حكمه [4].

وقد كان لظهور طبقة المذكير في بلاط الملك الدور الرئيس في حفظ التراث العبري، لأن مهمته الرئيسية كانت تتمثل في تسجيل الحوادث وتدوين الحوليات الملكية مستعينا بالكتابة الفينيقية، ويعتقد أن الكهنة فيما بعد تعلموا إعداد كتب مشابهة للوثائق الرسمية، وقد استخلص تاريخ الملكية الأولى من مثل هذه المدونات، وادخل جانب كبير منه في العهد القديم[5].

والظاهر أن مؤرخي هذه الفترة اعتمدوا في كتاباتهم أسلوبا حيويا موضوعيا، وخاصة في وصفهم لداود ليس كملك فقط، وإنما كإنسان يخطئ يصيب، ارتكب الكثير من الأخطاء والآثام التي

(1) أبحاث في اليهودية والصهيونية، دار الأمل للنشر والتوزيع، أربد، الأردن، 2003، ص ص 31-32.

(2) أحمد سوسة: العرب واليهود، المرجع السابق، ص ص 632-633.

(3) Adolphe Lods : Histoire de la littérature hébraïque et juives, Payot, Paris, 1950, P 153.

(4) فيليب حتي: تاريخ سوريا، المرجع السابق، ص 204.

(5) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص 386.

نشك أن يقوم بها إنسان عادي فما بالك بنبي من أنبياء ا المنزهين والمعصومين عن الوقوع في الأخطاء والمعاصي والكبائر التي نسبتها التوراة إليه.

وهناك من المؤرخين من يعتبر أول فصلين من سفر الملوك الأول هما أول وأهم قطع من النثر العبري التي صورت لنا حياة داود تصويرا أدبيا تاريخيا استخدم فيه كاتبها أساليب الوصف والإنشاء بدقة متناهية، كما أن سفر صموئيل الثاني هو الآخر يعد قطعة رائعة من الإنشاء التاريخي[(1)] من الفصل التاسع إلى الفصل العشرين. وقد ظهرت مؤلفات شعرية كثيرة وكان داود نفسه شاعرا وخطيبا وموسيقيا أسهم في تكوين المجتمع العبري ثقافيا[(2)] من خلال مؤلفاته الشعرية التي توارثتها الأجيال، وعلى رأسها المزامير التي بلغت قيمة إنسانية هامة مما جعلها تستخدم كمصدر وحي وكوسيلة لرفع القوى الروحية للعبرانيين.

لقد وهب ا داود صوتا رخيما لا مثيل له كان يردد به تلك المزامير قال تعالى: ﴿ وسخرنا مع داود الجِبالَ يسبحن والطير وكُنا فَاعلين﴾[(3)]، فكان إذا ترنم بصوته في تلاوة كتابه الزبور تقف الطير في الهواء فتجاوبه، وترد عليه الجبال تأويبا، ولهذا لما مر الرسول صلى ا عليه وسلم على أبي موسى الأشعري وهو يتلو القرآن من الليل وكان له صوت طيب جدا، فوقف واستمع لقراءته، وقال: "لقد أوتي هذا مزمار من مزامير داود"[(4)].

فالمزامير التي تنسب إلى عهد داود وسليمان من أصل كنعاني وكانت تتلى في ذلك العهد باللغة الكنعانية وعلى الطريقة الدينية الكنعانية، ثم ترجمها الكهنة إلى العبرانية في وقت لاحق وعدت من الأسفار المقدسة في التوراة[(5)].

ويرى فؤاد حسنين علي الصلة القوية بين الخيال العربي الجاهلي والنشيد العبري في الخيال والتعبير فألوان الأدب العبري ليست جديدة، فمثلا الصور التي يعرضها نشيد الأناشيد المنسوب إلى سليمان نجدها في كثير من القصائد العربية الجاهلية، فالألفاظ والعبارات الواردة في النشيد تؤكد على أن تاريخ هذه الأغاني هو عصر أخر غير عصر سليمان[(6)].

---

(1) فيليب حتي: تاريخ سوريا، المرجع السابق، ص 205.

(2) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص 385؛ Adolphe Lods : Op.cit, P 157

(3) سورة الأنبياء: الآية 79.

(4) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، المرجع السابق، ج3، ص 253.

(5) أحمد سوسة: أبحاث في اليهودية، المرجع السابق، ص 30.

(6) فؤاد حسنين علي: نشيد الأناشيد الذي لسليمان، مجلة كلية الآداب، مج13، ج1، مطبعة جامعة فؤاد الأول، الجيزة، مايو 1951، ص 1.

ويذهب فريق آخر من الباحثين إلى المطالبة بدراسة أوسع وأعمق لتاريخ العبريين، أنهم الأمة الوحيدة تقريبا التي كتبت تاريخها بيدها، وحسب هواها، ثم زعمت أن ذلك التاريخ قد أنزل من السماء، وأنهم عند كتابة تاريخهم أخذوا الكثير من المأثورات الشعبية للأمم القديمة التي عرفوها، وأضافوا إليها من بقايا الفولكلور الذي حفظته ذاكرتهم من عهد البداوة، فنسجوا من كل ذلك أساطير اختلطت فيها حكمة الحكماء، وشرائع الأنبياء، بحكايات الأبطال الخرافيين، وترجمات تكاد تكون حرفية لملاحم من أمم أقدم منهم[1].

ويبدو أن تأثر كتاب التوراة بثقافات منطقة الشرق القديم واضحة لأن ما ورد فيها من مزامير وأمثال، وشرائع وأساطير وجغرافيا وتاريخ ومصطلحات تعود في مجملها إلى المصادر الثقافية القديمة التي كانت سباقة في التحضر والتمدن والوجود من العبرانيين. بل هناك من يتهم مؤلفي التوراة بتزوير الأحداث التاريخية وقلبها رأسا على عقب وتزوير المفهوم الأساسي لعلاقة الإنسان بالتاريخ وبالطبيعة. ولقد لعب رجال الدين الدور الأساس في ترشيح ذلك في الكتاب المقدس[2].

وكما قال الأديب والمفكر الفرنسي "فولتير": "... كيف السبيل إلى الاعتقاد بأن كل ما تقصه التوراة هو من وحي إلهي؟ وإذا كان ا هو الذي أملى هذه التوراة حق لنا أن نتعجب هل ا ذو أفكار خاطئة في علم الفلك، كما أنه يجهل علم تاريخ الحوادث ويجهل الجغرافيا جهلا تاما"[3].

وقد جاء في القرآن الكريم ما يؤكد هذا التحريف الذي طال التوراة فقال تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعونَ أن يؤمنوا لَكُم وقَد كَانَ فَرِيق منهم يسمعونَ كَلَام الله ثُم يحرفُونه من بعد ما عقَلُوه وهم يعلَمونَ﴾[4] والآيات القرآنية التي تفضح هؤلاء الذين حرفوا التوراة كثيرة جدا، منها قوله تعالى: ﴿ فَويلٌ للذين يكْتبونَ الكتاب بِأَيديهم ثُم يقُولُونَ هذَا من عند الله ليشتروا بِه ثَمنا قَليلاً فَويلٌ لهم مما كَتبت أَيديهم وويلٌ لهم مما يكْسِبونَ﴾[5] وقال أيضا في سورة المائدة: ﴿ يحرفُونَ الكَلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذُكروا بِه﴾[6] وقال عز وجل: ﴿ من الذين هادوا يحرفُونَ الكَلم عن مواضعه ﴾[7].

---

(1) المرجع نفسه، ص 28.

(2) ولوريتس: هل العبرانيين وجود في إبلا، تر: قاسم كوير، مجلة دراسات تاريخية، العددان 27 و28، كانون الأول، جامعة دمشق، 1987، ص 127.

(3) منى إلياس: الأصوليون اليهود بين أساطير التوراة والعلم المعاصر، ط1، 1422هـ-2001م، دار الفكر، دمشق، ص 73.

(4) سورة البقرة: الآية 75.

(5) سورة البقرة: الآية 79.

(6) سورة المائدة: الآية 13.

(7) سورة النساء: الآية 46.

وتدل هذه الآيات جميعا على أن التوراة المتداولة ليست هي التوراة الحقيقة التي طالها التحريف فحذف منها كتاب التوراة ما يسيء إليها وأضافوا لها ما شاءوا من أساطير الأمم المجاورة.

ويجمع أغلب المؤرخين أن التوراة كتبت وركبت في عصور متأخرة جدا واستمرت كتابتها بعد العودة من النفي في بابل، أي في القرن الخامس والرابع ق.م، فلذلك نجدها قد احتوت أساطير البابليين والآشوريين والمصريين وغيرهم، فهناك من يرى أن قصة الخلق مثلا وقصة الطوفان أخذت من الأساطير البابلية وحكم سليمان الأمثل أخذت من حكم أمنحوتب المصري، ومزامير داود منقولة من حرفيامن أناشيد أخناتون[1].

3- العلوم والمعارف: لقد ورد في سفر التكوين ما يدل على التفرقة بين السماء والأرض فمقابل السماء نجد الأرض، وكما نجد في الأرض ماء كذلك الحال بالنسبة للسماء[2] حيث خلق معها الأهرام السماوية[3] أي الأفلاك المختلفة إلا أن مؤلف التوراة لا يعرف تماما الفرق بين السماء العليا وما تحتها، وقد ورد ما يدل على أن عرش ا يوجد فوق السماء[4] وأن السماء العليا هي مقر ا [5] أو أو عند الحديث عن الطوفان فقد ورد ذكر الماء العلوي الذي كان يتدفق من نوافذ السماء[6].

ويبدو أن العبرانيين قد أخذوا عن البابليين تقسيم للأرض إلى أربع جهات: شرق غرب وشمال جنوب حسب جريان الشمس وعبورها خط الاستواء السماوي في الاعتدالين أو الانقلابين أي شرق غرب، شمال جنوب، وكما طمع البابليون والأشوريين في توحيد العالم تحت سلطة ملك واحد أسوة بسيطرة كبير الآلهة على الكون، قلدهم العبرانيون وهم ينتظرون المسيح من بيت داود ليوحد العالم ويحكمه من عاصمته أورشليم[7].

وقد قال صاعد الأندلسي تأكيدا على اهتمام العبرانيين بالعلوم "أما الطبقة التي عنيت بالعلوم فثمانية أمم الهند والفرس والكلدانيون والعبرانيون واليونانيون والروم وأهل مصر والعرب"[8].

---

(1) منى إلياس: المرجع السابق، ص 91.

(2) سفر التكوين 1: 6-10.

(3) سفر التكوين 1: 7-8 و14-18.

(4) سفر حزقيال 1: 22-26 وص 10: 1.

(5) سفر الملوك الأول 8: 22.

(6) سفر التكوين 7: 11 وص 8: 2.

(7) فؤاد حسنين علي: المرجع السابق، ص 140.

(8) أبو القاسم بن صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، تح: حياة بوعلوان، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، فبراير 1985، ص 9.

5- التقويم العبري: يعتقد أن العبرانيين قد اعتمدوا على الأفلاك لتحديد الزمن وتقسيمه كغيرهم من شعوب الشرق القديم، وقد جاء في القرآن الكريم ما يؤكد ذلك ﴿ يسألُونك عنِ الأهلة قُلْ هي مواقيت للناسِ والْحج...﴾ [1]، فلذلك قدس العبرانيون تلك الأفلاك والأجرام السماوية فجعلوا لكل منها يوما فأصبح الأسبوع يتكون من سبعة أيام وكل يوم يحمل اسم كوكب من هذه الكواكب السبعة.

والظاهر أن التقويم قديما يعين أول العام حسب الفلك الشمسي أي حسب الاعتدالين أو الانقلابين، فالعام البابلي كان يبدأ بالاعتدال الربيعي أي (مارس) وفي مصر كان صيفا (يونيه) وفي الجزيرة العربية بما فيها أرض كنعان كان خريفا أي (سبتمبر).

وقد أخذ العبرانيون بعد استقرارهم في أرض كنعان التقويم الكنعاني أي الخريفي والعام 365 يوما وعيد الخريف هو عيد قطف العنب في شهر سبتمبر، والشهور عندهم قمرية وعدد أيام الشهر 29-30 يوما في السنة الخريفية، يبدأ الشهر عادة عندما يصبح الهلال بدرا بينما في السنة الربيعية يبدأ بظهور الهلال[2].

وكان العبرانيون يستقبلون ظهور الهلال بالهتاف "هلال"، أما أسماء الشهور العبرانية القديمة فلم تصلنا إلا أسماء أربعة منها وهي: "أبيب" وهو الشهر الأول ثم "ذو" الشهر الثاني، وشهر "أثانيم" وهو الشهر السابع و"بول" وهو الشهر الثامن[3].

وأسماء هذه الشهور فكما يلي:

1- نيسان (تقريبا أبريل)، 2- أيار (مايو)، 3- سجوان (يونيه)، 4- (يوليه)، 5- آب (أغسطس)، 6- أيلول (سبتمبر)، 7- تشرين (أكتوبر)، 8- حشوان أو مرحشوان (نوفمبر)، 9- كلو (ديسمبر)، 10- طبيت (يناير)، 11- شباط (فبراير)، 12- أذار (مارس).

والأسبوع ينقسم إلى سبعة أيام، واعتمدوا في تحديد أيام الأسبوع على تقسيم الشهر القمري حسب مواضع القمر كما أنهم راعوا في الأيام السبعة فكرة الكواكب السبعة وأسماء أيام الأسبوع عبارة عن أعداد باستثناء يوم السبت، ويبدأ اليوم عند العبرانيين مساءا، أي مع ظهور الهلال من أول الشهر القمري ويقسم اليوم إلى ظهر ومساء وذلك لارتباطه بالطقوس الدينية حيث كان العبراني يقدم قربان الصباح وقربان المساء[4].

---

[1] سورة البقرة: الآية 189.

[2] سفر التكوين 1: 14؛ فؤاد حسنين علي: المرجع السابق، ص 143.

[3] سفر الخروج 13: 4؛ سفر الملوك الأول 6: 1 و38، 8: 2.

[4] سفر التكوين 1: 5 و8.

وهكذا تبقى الحياة الثقافية والفكرية في المملكة من أكثر المسائل إثارة للجدل بين الباحثين وذلك في ظل غياب أدلة مادية محسوسة تزيل اللبس عن واقع الثقافة واللغة في المملكة، إذ لم يعثر حتى الآن على وثائق من هذا العصر تؤكد وجود لغة أو ثقافة خاصة بالعبرانيين في هذه المرحلة من تاريخهم، فأغلب الظن أن مملكة داود وسليمان لم تكن قد توفرت فيها المقومات القومية والثقافية، فقد كانت قائمة في أغلبها على تراث كنعاني بحت.

المبحث الثالث. انقسام المملكة: يبدو أن نفوذ العبرانيين السياسي في المنطقة انتهى بعد وفاة سليمان حيث طفت على السطح مظاهر الانفصال والانشقاق والخصام بين مختلف القبائل العبرانية، انتهى هذا الخصام بظهور مملكتين وهما مملكة إسرائيل الشمالية ومملكة يهوذا الجنوبية.

وهذا ما سأحاول إبرازه والتعرض لدوافعه وأسبابه في هذا المبحث.

أولا. أسباب الانقسام: لقد ساد المملكة في أواخر عهد سليمان حسب ما جاء في التوراة جو مشحونا بالقلق والاضطراب، كان المناخ المساعد على تعميق حدة تناقض المجتمع العبراني وظهور الصراع الذي وصل إلى حد الاقتتال بين مختلف الأسباط[1]، قال تعالى: ﴿ بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقُلُوبهم شتى ذَلك بِأنهم قَوم لا يعقلُونَ﴾[2] أي أن عداوتهم فيما بينهم كانت شديدة، تراهم مجتمعين متحابين مؤتلفين، وهم مختلفون غاية الاختلاف[3].

وبوفاة سليمان عام 922ق.م دفن العبرانيون معه حلمهم بأن يكونوا قوة لها كيانها ومكانتها بين جيرانها في منطقة الشرق الأدنى القديم، هذا الحلم الذي راودتهم إمكانية تحقيقه في عهد سليمان[4]، سرعان ما تلاشى من بعده، إذ ظهرت عوامل وظروف سياسية واقتصادية واجتماعية جديدة عجلت بالانقسام والانشقاق[5].

غير أن المؤرخين والكتاب اختلفوا في تحديد أسباب هذا الانقسام وذلك طبقا لما جاءت به التوراة التي يلاحظ عليها القارئ الكثير من التناقض والتحامل على سليمان الذي لا يجد له الدارس لذلك أي تفسير.

---

[1] صابر طعيمة: التاريخ اليهودي، المرجع السابق، ص 437.

[2] سورة الحشر: الآية 14.

[3] ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، المصدر السابق، ج4، ص 437.

[4] جورج كونتنو: المدنيات القديمة في الشرق الأدنى، تر: متري تنماس، المنشورات العربية، فرنسا، ص 110؛ وهيب أبي فاضل: موسوعة عالم التاريخ والحضارة، ج1، ط1، نوبليس، 2003، ص 106.

[5] جودت السعد: الشخصية اليهودية عبر التاريخ، العربية للدراسات والنشر، 1984، ص 74.
Jean Deshyes : Op.cit, P 124.

وحسب ما جاء في التوراة فقد تعددت الأسباب لكن أهمها:

اهتمام سليمان وولعه وشدة إقباله على الملذات والنساء، وكما عرفنا سابقا فقد كان له الكثير من النساء تزوج من بعضهن بينما كان البعض الآخر سرايا بلغ عددهن حوالي سبع مائة من النساء السيدات، وثلاث مائة من الجواري، ولكن من جنسيات مختلفة منهن المؤابيات والعمونيات والصيدونيات والحيثيات ممن نها يهوه شعبه عن الارتباط بهن، خوفا من تأثيرهن على ديانة أزواجهن "**لا تدخلون إليهم ولا يدخلون إليكم، لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتكم، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة، وكانت له سبع مائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السرايا فأمالت نساؤه قلبه**"[(1)].

لكن هذه الاتهامات هي بعيدة كل البعد عن سليمان النبي وما كان يتصف به من رجاحة العقل والحكمة وطاعته فكيف يعقل أن يعود إلى الوثنية والشرك، فهذه الافتراءات هي من بعض خيال مؤلفي التوراة أضافوها لتحقيق أغراض لهم، أو قد يكون لتأثرهم كما عرفنا سابقا بالأساطير السومرية والبابلية.

ويعتقد أن تعدد أزواج سليمان عليه السلام قد يعود إلى محاولاته لتوطيد صلاته وعلاقاته بالدول الكبرى والمجاورة لمملكته كمصر وفينيقيا وكسب ودها، وقد يكون الباعث أيضا رغبته في زيادة نسله وتعدد أبنائه لخلافته على العرش، ويكون لهم ما كان له من قوة جسمية وفنية عظيمة يستغلونها في الحفاظ على قوة المملكة وامتدادها، أو قد يكون ذلك كمحاولة لإرضاء زوجاته وسراريه[(2)]. غير أن الواقع كان خلاف ذلك فسليمان لم يترك وراءه إلا عددا قليلا من الأبناء عكس ما كان له من الأزواج[(3)].

ويعتقد بعض المؤرخين أن الظروف السياسية والمخالفات الأجنبية والعلاقات الاقتصادية التي كانت تربط سليمان بحلفائه وجيرانه دفعته إلى محاولة إرضاء تلك الشعوب وكسب ودها هذا عن طريق إقامة هياكل صغيرة ودور لعبادة الآلهة الأجنبية بجوار هيكل يهوه، وبحسب هذا الرأي فلم يعد يهوه سوى مجرد إله قومي، بل أن هيكل يهوه نفسه موريست فيه طقوس غريبة، كطقوس عبادة الشمس المصرية والديانات والتقدمات الكنعانية ومراثي تموز المنتشرة في بلاد الرافدين[(4)].

---

(1) سفر الملوك الأول: 11: 1-3.

(2) سفر الملوك الأول: 11: 4-8.

(3) ول ديورانت: المرجع السابق، ص 333.

(4) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص 780.

وبحسب مزاعم التوراة يكون سليمان بذلك قد ساهم في تمزيق الوحدة الدينية للعبرانيين وهذا ما عجل بتمزيق الوحدة السياسية أيضا، فحل عصب الرب عليه في أواخر أيامه "**لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل**"[1].

وبذلك تحول سليمان من مؤمن إلى مشرك، فكان لابد لرب إسرائيل أن يمزق مملكته ليعطيها لعبده يربعام، ولكن تقدير لعبده داود يؤجل ذلك إلى ما بعد وفاة سليمان، وهذا ما يفسر النقمة التي حلت بنسل سليمان بعد تمزيق مملكته بين ولده رحبعام وعبده يربعام[2].

وهنا يكتشف الدارس لهذه الأحداث التناقض الصارخ الذي وقعت فيه التوراة في حكمها على كل من داود وسليمان عليهما السلام.

فهي تذكر لنا كيف منع الرب داود من أن يقيم هيكلا له، لأنه سفك دماء كثيرة، وأن سليمان هو الذي سيتولى إقامة الهيكل "**يكون لي ابنا وأكون له أبا، وأثبت كرسي مملكته إلى الأبد**"[3].

وبذلك يكون رب العبرانيين قد أخطأ في تقدير سليمان، فهو من جهة يعدد بأن يثبت حكمه وعرشه إلى الأبد، ثم يثور عليه وينزل عقابه به لأنه عصى أمره وأدخل عبادات وثنية لشعوب أخرى إلى الهيكل.

فأي النصوص نصدق؟ فهل نصدق تلك التي ترى أن الرب سوف يثبت مملكته إلى الأبد؟ أم تلك التي ترى أن رب إسرائيل نفسه سوف يقسم مملكته بين ابنه وبين عبده؟ أم أنه التعارض الذي عهدناه في نصوص التوراة التي جعلت داود مغضوبا عليه ثم مرضيا عنه وجعلت سليمان نفسه مرضيا عنه ثم مغضوبا عنه؟

وذهب فريق آخر إلى اعتبار أن الظروف الاقتصادية للملكة كانت هي أقوى عوامل هذا الانقسام، فقد كان اقتصاد الشمال أكثر ازدهارا يعتمد على الزراعة بالدرجة الأولى لتوفر الأراضي الخصبة والمحاصيل الزراعية المتنوعة التي كانت تعد المورد الأساسي لسكان الشمال وفي مقدمتها القمح والزيتون والكروم وغيرها، بينما شعب الجنوب كان ما يزال يعتمد على حياة الرعي المنتشرة في المرتفعات مما ساهم في بروز التباين الحضاري والاجتماعي بين قبائل الشمال وقبائل الجنوب[4].

وحاول البعض ربط ذلك بالازدهار التجاري الذي عرفته المملكة في عهد سليمان، وما انجر عن ذلك من تكدس للأموال في يد فئة معينة ساهمت في طبقة جديدة من الحاشية وكبار الموظفين

---

[1] سفر الملوك الأول: 11: 1-11.

[2] سفر الملوك الأول: 11: 11-13.

[3] سفر أخبار الأيام: 22: 6-10.

[4] فيليب حتي: تاريخ سوريا، المرجع السابق، ص 208.

التجاريين كانت تعيش في نعيم وملذات وشهوات، بينما كان عامة الشعب يعانون من الفقر والجوع ويكتفون بما تدره عليهم زراعة الأرض وبعض الصناعات البسيطة لسد رمقهم وبذلك فإن التباين الطبقي كان من بين أسباب الانقسام[1].

ويبدو أن قبائل الشمال نفسها لم تكن مستريحة في عهد سليمان رغم تطورها الاقتصادي والفكري، فقد وصفوه بالظلم والقسوة وسوء معاملتهم إذ لم تكن الرحمة تعرف طريقها إلى قلبه، وهذا ما عبروا عنه حيثما جاءوا إلى رحبعام بن سليمان ليفاوضوه على تخفيف العبء عنهم وتصحيح أخطاء أبيه[2].

ولم يتوقف الشعور بالظلم والتعسف على قبائل الشمال فقط، بل عم هذا الشعور الغالبية من السكان الذين كانوا ينتظرون الفرصة السانحة للتخلص من نظام السخرة ومن الظلم المفروض عليهم حسب وصف التوراة "**وسخر سليمان من جميع إسرائيل، وكانت السخرة ثلاثين ألف رجل فأرسلهم إلى لبنان عشرة آلاف في الشهر بالنوبة، يكونون شهرا في لبنان وشهرين في بيوتهم، وكان لسليمان سبعون ألفا يحملون أحمالا، وثمانون ألفا يقطعون في الجبل... وأمر الملك أن يقطعوا حجارة كبيرة، حجارة كريمة لتأسيس البيت حجارة مربعة**"[3].

ومن بين الأحداث التي طغت على السطح في المملكة وزادت في تمزيق الوحدة تصدع القيادة العسكرية والمتمثل في تمرد القائد يربعام بن ناباط على سليمان بمساعدة قوتين، القوة الأولى كانت تمثلها مصر الطامعة في استرداد نفوذ1ها على أرض كنعان نظرا لأهميتها التجارية والعسكرية والقوة الثانية كان يقودها السخط الديني في أواخر أيام سليمان لانتشار العبادات الغريبة قي البلاد[4].

وهذا ما جعل أخيا الشيلوني[5] يقوي من عزيمة يربعام[6] المتمرد ويعطيه الأمل بأنه سيستقل بحكم عشرة أسباط من العبرانيين.

---

(1) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص 390.

(2) سفر الملوك الأول: 12: 3-16.

(3) سفر الملوك الأول: 5: 13-17.

(4) محمود أحمد المراغني: المرجع السابق، ص 42.

(5) أخيا الشيلوني: هو نبي تنبأ بانقسام المملكة وسكن يربعام في بداية مشواره وكان ينتمي إلى "شيلوه" وهي مركز مقدس عند العبرانيين من قبل ظهور المملكة وربما كان ينتمي لبيت "عالي" وهي أسرة كهنوتية كانت تخدم في شيلوه أبعدها سليمان عن خدمة الهيكل في القدس وربما هذا ما يفسر مساندته لأعداء سليمان، أنظر سفر الملوك الأول: الإصحاح الحادي عشر؛ أبراهام مالمات: المرجع السابق، ص 22.

(6) يربعام: كان يربعام بن نابط مسؤولا عن عمال السخرة عن سبط أفرايم لتحصين القدس، يقال بأنه قام برفع يده على الملك وقيل أن يربعام ضم إليه كريضه وتحصن بها، وقد يكون يربعام اسما رمزيا يعني "مثير عداء الشعب" لأن الفعل "راب" في العبرية يعني عادى أي خاصم، وكلمة "عم" تعني الشعب ويعتقد ـن هذا الاسم أطلق عليه باعتباره زعيم التمرد ضد الملك=

وهناك من المؤرخين من يرى أن من أسباب الانفصال أن سليمان تعجل فيما أراد أن يحول البلاد من دولة زراعية إلى دولة صناعية تفرض على الشعب الضرائب الباهضة لتغطية نفقات المشاريع الضخمة التي كانت تتطلب الكثير من الجهد والمال[1].

ورغم هذا التضارب والتناقض في آيات التوراة التي تتحدث عن سليمان فإن سليمان هو الذي جعل من العبرانيين شعبا معروفا في التاريخ، وصنع لهم كيانا لم يكن من قبل، كما أنشأ لهم معبدا ظل شامخا لقرون طويلة.

فقد علم شعبه النظام والوحدة وفضلهما في حياة الشعوب، وعلمهم الصناعة والتجارة فزادت ثروتهم وأصبح لهم أسطولا تجاريا يجوب البحر الأحمر الاتجار مع إفريقيا وبلاد العرب.

وعليه وحسب رأي فإن انقسام المملكة من بعده يعود لعوامل وظروف المملكة نفسها وفي مقدمتها التركيبة الاجتماعية وطبيعة الشعب العبراني المنقسم إلى اثني عشر قبيلة متنافرة في أغلب أحوالها ولم يستطع توحيدهم إلا سليمان، فمن الطبيعي أن يعودوا إلى ما كانوا عليه سابقا بعد اختفاء العنصر الذي استطاع أن يضم بعضهم إلى بعض وهو سليمان عليه السلام الذي قال فيه ا تعالى: ﴿ ولَقَد آتينا داود وسلَيمانَ علْماً وقَالا الحمد لله الذي فَضلَنا علَى كَثيرٍ من عباده المؤمنِين ﴾[2].

ثانيا. مملكة يهوذا الجنوبية: لقد ورث "رحبعام" الملك عن أبيه سليمان، كما عرفنا سابقا، وقد اجتمعت كل قبائل العبرانيين ليملكوه، لكن يربعام بن نabاط الذي كان هاربا في مصر منذ عهد سليمان رجع لإثارة الفتنة، فجاء إلى رحبعام على رأس وفد من قبائل العبرانيين وقال له: "**أبوك ثقل نيره علينا فخفف الآن من نيره الثقيل ومن عبوديته الشاقة فنخدمك**"[3].

لكن رحبعام لم يرد عليهم وطلب منهم العودة بعد ثلاثة أيام يستشير خلالها مقربيه ومن يثق فيهم، فبدأ بالشيوخ الذين كانوا يساعدون والده في حياته فأجابوه "**إن كنت خادما لهم هذا اليوم ووافقتهم واستجبت لهم وكلمتهم بلطف، كانوا لك خداما كل الأيام**"[4].

ثم استشار الفتيان الذين نشأوا معه وكانوا يخدمونه فكان جوابهم "**قل لهم إن خنصري أغلظ من خصر أبي، أبي حملكم نيرا ثقيلا وأنا أزيد على نيركم، أبي أدبكم بالسياط وأنا أؤدبكم بسياط شوكية**".

=في يهوذا، ثم فر إلى مصر حيث منحه شيشنق الحماية، ثم انتظر الفرصة السانحة بوفاة سليمان وتسلم ابنه مقاليد الحكم لتكريس الانقسام. أنظر: سفر الملوك الأول: 11: 26-40؛ أبراهام مالمات: المرجع السابق، ص 220.

[1] ول ديورانت: المرجع السابق، ص 348.

[2] سورة النمل: الآية 15.

[3] سفر الملوك الأول: 12: 4.

[4] سفر الملوك الأول: 12: 7.

وقد اختار رحبعام الرأي الثاني وهذا ما يدل على ضعف حنكته السياسية وقصر نظره وتحليله للأمور، وهو بداية حكمه فكان الأولى أن يجمع شعبه ويكسبه بسعة صدره وحلمه وبعد نظره.

وقد كانت هذه الحادثة القشة التي قسمت ظهر البعير واستغلها يربعام ليجمع حوله باقي أسباط العبرانيين لتحقيق حلمه القديم بانتزاع الملك من بيت داود وإقامة مملكة مستقلة وقد كان له ما أراد **"مالنا ولبيت داود، وما علاقتنا بابن يسيء إلى خيامكم يا بني إسرائيل وليتدبر بيت داود أمره"**[1].

وبهذا ظهرت مملكتان مملكة يهوذا الجنوبية ومملكة إسرائيل الشمالية، لقد كانت مملكة يهوذا الجنوبية تضم قبيلتين هما (يهوذا وبنيامين) وهما القبيلتان اللتان بايعتا رحبعام بن سليمان ملكا، وكانت أورشليم عاصمة المملكة التي تقع على البحر الميت ولم يكن لها ساحل على البحر المتوسط لأن الفينيقيين كانوا يشغلون الجزء الجنوبي من الشريط الساحل[2].

وحسب النصوص التاريخية فإن مملكة يهوذا كانت أكثر استقرارا من مملكة إسرائيل وذلك لقلة مساحتها التي كانت تقدر بثلث مساحة المملكة الشمالية، كما أـنها كانت فقيرة تعتمد في اقتصادها كما عرفنا سابقا على الرعي بالدرجة الأولى، ولأن موقعها لم يكن من الأهمية بمكان حتى تكون محط أنظار الغزاة، وهذا ما جعلها تتمتع بالاستقرار الداخلي عكس المملكة الشمالية[3].

والظاهر أن مملكة يهوذا مثلها مثل المملكة الشمالية كانت خاضعة للنفوذ الأجنبي المصري أو الآشوري قضت معظم تاريخها في الدفاع عن نفسها أو الاستفادة من الصراعات بين القوى العظمى والمنظمة آنذاك أو التحالف مع إحداها بحثا عن الحماية.

وقد توالى على عرشها تسعة عشر ملكا واستمر وجودها إلى ما بعد سقوط المملكة الشمالية بنحو قرن وثلث، وكان أول ملوكها كما رأينا رحبعام بن سليمان دام حكمه حوالي سبعة عشر عاما بين 928-911ق.م، وأهم ما ميز فترته هو غزو شيشنق[4] فرعون مصر الليبي لمملكة يهوذا عام 918ق.م[5] وقبل عام 920ق.م[6]، وقد انتهز شيشنق فرصة الصراع والتنافس بين المملكتين

---

(1) سفر الملوك الأول: 12: 16.

(2) عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ص 1954.

(3) محمود المرانحي: المرجع السابق، ص 51.

(4) شيشنق: هو أول ملوك الدولة الثانية والعشرين وهو من أصل ليبي قاد حملة للاستيلاء على أورشليم وكان ذلك في السنة الخامسة لحكم رحبعام ونهب ما في خزائنها وخزائن الهيكل من أموال وذهب وغيرها، وقد خلدت هذه الحملة على جدار هيكل الكرنك وتبين هذه الصورة ملكا رافعا يده ليضرب أسرى جاثمين أمامه ومن ورائهم مائة وخمسون رجلا ملتحين هم العبرانيون. أنظر: يوسف الدبس: المرجع السابق، ص 337.

(5) المرجع نفسه، ص 337.

(6) حلمي محروس إسماعيل: المرجع السابق، ص 179.

العبرانيتين فجاء لمساعدة حليفه "يربعام" ملك إسرائيل والذي لجأ إلى مصر في أواخر عهد سليمان ويعتقد بأنه تزوج ابنة شيشنق[1].

ثم جاء بعده إبيام (911-908ق.م) وأهم ما ميز فترة حكمه هو حربه الطويلة مع يربعام ملك إسرائيل، واستمرت حتى تلاه على العرش آسا (908-867ق.م) الذي قام بتحصين الحدود مع المملكة الشمالية، وهذا تأكيد على انتهاء حلم إعادة المملكة المتحدة العبرانية وجاء بعده بهوشافاط[2] نهرجوزان وفي مدن مادى، وبعد قيام اضطرابات قد تكون في عام 720 أو 715ق.م في سوريا وفلسطين ساهم فيها معظم سكان الولايات المختلفة بما فيهم سكان غربي الجزيرة العربية نجح سرجون الثاني في القضاء عليها ثم جاء بقوم آخرين وأسكنهم هذه الأقاليم ومن بينهم جماعات من العرب ومن بابل وكوت بالإضافة إلى القبائل التي حددها النص الآشوري "بقبائل كاموري وإيباديري ومرسيما نووجبايا" وغيرها[3].

وقد يكون الهدف من وراء ذلك كسر التحالفات القديمة وذلك بإدخال أجانب في البلاد، لتحطيم الروابط الاجتماعية والسياسية والدينية وأعاد الأشوريون تنظيم مملكة السامرة على أساس أنها إقليم أشوري وعززوا الحامية العسكرية الأشورية بجنود من مستوطنين أتوا بهم من بلاد بعيدة، وظهر جنس جديد هم "السامريون" نسبة إلى السامرة عاصمتهم[4].

ويعتقد أن ذلك ساعد على ظهور نظرة جديدة للأمور بعد العودة من السبي البابلي، هذه النظرة ترى أن إسرائيل الشمالية ليست نقية وأن يهوذا هو الوريث الوحيد لكنعان العبرية، وهذا ما يفسر ذلك النفور الموجود بين اليهود والسامريين، فاليهوديين يعتبرون أنفسهم أرقى من الآخرين[5].

وقد حكم الفرس فيما بعد فلسطين بعد سيطرتهم على الإمبراطورية البابلية ظل العبرانيون على حال من الذل في ظل سيطرة الإمبراطورية الفارسية، واستمر وضعهم كذلك حتى في عهد الإسكندر المقدوني الكبير[6].

---

(1) حلمي محروس إسماعيل: المرجع السابق، ص 179.

(2) G. Maspero : Op.cit, P 422.

(3) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ج2، ص 846.

(4) صابر طعيمة: التاريخ اليهودي، المرجع السابق، ص 291.

(5) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ج2، ص 847.

(6) الإسكندر المقدوني: هو ابن فيليب الثاني المقدوني الذي في عهده فرضت مقدونيا هيمنتها على اليونان ومعظم البلقان، وفي عهد ابنه الإسكندر الذي تلقى تربية خاصة على يد أرسطو، نجح في سنوات قليلة في تكوين إمبراطورية شاسعة أعادت رسم الخارطة السياسية للشرق القديم، استولى على سوريا وفلسطين (333-332ق.م). أنظر: موسوعة القرن، ط1، دار المتوسطية للنشر، تونس، 1427هـ-2006م، ص 421.

فلسطين في عهد الملوك



فيليب حتي: تاريخ سوريا ولبنان، المرجع السابق، ص210.

ثالثا. مملكة إسرائيل الشمالية: يعتبر يربعام بن ناباط القائد المنشق عن سليمان وهو مؤسس هذه المملكة التي تعرف باسم "إسرائيل- إفرايم"[1] كما كانت تسمى أيضا "السامرة" نسبة إلى عاصمتها[2].

(1) عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ص 1957.

(2) مصطفى كمال عبد العظيم، سيد فرج راشد: المرجع السابق، ص 88.

وحسب ما جاء في النصوص التوراتية فقد كانت تقع على بحيرة طبرية، وتضم نهر الأردن والضفة الغربية وأجزاء من الضفة الشرقية والخليل، وخلافا للمملكة الجنوبية فقد كان لها شريط ساحلي، ومساحتها كانت ثلاثة أضعاف مساحة المملكة الجنوبية، وأهم قبائلها قبيلة إفرايم التي حملت اسمها القبائل المتحدة، وقد جاء من هذه القبيلة معظم ملوكها[1].

وقد كانت مكونة من عشر قبائل كانت في أغلبها غير متجانسة، وهذا ما أدى إلى عدم استقرارها حيث كانت تتنازعها الصراعات الداخلية والغزوات الخارجية خاصة من المملكة الجنوبية نظرا لأهميتها السياسية والاقتصادية، وقد حاول يربعام طوال فترة حكمه التي دامت حوالي اثنين وعشرين عاما قضى أغلبها في صراع سياسي وديني مع مملكة الجنوب، حاول خلال ذلك تأكيد استقلال مملكته عن حكم أسرة داود، فاتخذ من شكيم[2] عاصمة له لما تمثله في حياة العبرانيين الروحية. واتخذ كرمز لديانة مملكته عجلين من ذهب فجعل أحدهما في أقصى شمال المملكة في "دان"[3] والثاني في أقصى الجنوب في "بيت إيل"[4].

وقد عمل أقصى ما في وسعه لشد أنظار العبرانيين نحو عاصمته ومراكزها الدينية وتحويل وجهتهم عن أورشليم، كما غير موعد الأعياد حتى يحول حجاج مملكته عن الذهاب إلى أورشليم، كما قام بطرد اللاويين الذين كانوا يشكلون عنصرا هاما في الإدارة والحكم والكهانة أيضا.

وتؤكد النصوص التوراتية أن يربعام هو مؤسس النظام الوثني في مملكة إسرائيل وهو أول من فتح الأبواب على مصراعيها أمام دخول العبادات الوثنية إلى المملكة بل شجع على الفساد والانحراف[5].

وقد توالى على عرش المملكة تسعة عشر ملكا، خلال قرنين من الزمن وهي الفترة التي دامت فيها المملكة[6]، وكان من بين هؤلاء الملوك الملك عمري الذي حكم في الفترة (885-874ق.م)[7]

---

(1) عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ص 1957.

(2) محمود المراغني: المرجع السابق، ص 43.

(3) تقع دان في أقصى شمال فلسطين، ودان هي أحد منابع نهر الأردن. أنظر: سفر الملوك الأول: 4: 25؛ محمود العابدي: المرجع السابق، ص 23.

(4) بيت إيل: هي مدينة تقع إلى الشمال من أورشليم زارها إبراهيم الخليل ويعقوب وجعلها يربعام بن ناباط معبد وهي اليوم تقع على بعد 11 ميل شمالي القدس. أنظر: سفر التكوين: 12: 8؛ وسفر التكوين: 28: 19؛ سفر الملوك الثاني: 23: 15؛ فيليب حتي: تاريخ سوريا، المرجع السابق، ص 213.

(5) محمود المراغني: المرجع السابق، ص 44.

(6) فيليب حتي: 5000 سنة، المرجع السابق، ص 124.

(7) فيليب حتي: تاريخ سوريا، المرجع السابق، ص 14.

وقبل (882-871)[1] الذي يدل اسمه على أنه من أصل عربي أو بالأحرى نبطي، ومن أهم أعماله تأسيسه لمدينة السامرة (نابلس حاليا) وتحصينها ثم نقل نظام الحكم إليها.

وقد بنى في عاصمته الجديدة قصرا هو "بيت العاج" استخدم فيه العاج والذهب، ويعد القصر الملكي في السامرة هو الوحيد الذي تأكد العلماء من وجوده من أيام العهد القديم[2].

وبعده جاء الملك أخاب (871-852ق.م) الذي تزوج من إيزابيل ابنة حليفه ملك صور وصيدا "إشبعل" وسيطرت إيزابيل على زوجها فحاولت فرض عبادة العجل على إسرائيل[3].

ويبدو أن عهد يربعام الثاني حوالي (785-745ق.م) كان أهم ممن سبقوه حيث توسعت الحدود الشمالية للمملكة على حساب الآراميين وأقام السور المزدوج الذي أعاد به تحصين السامرة، غير أن الانحطاط الخلقي في عهده سار في نفس الطريق الذي سار فيه الانحطاط الديني، وساءت أمور المملكة السياسية والاقتصادية في عهد من خلفوه على عرش المملكة، مما كان ينذر بقرب الانهيار والسقوط فلم يكن ذلك كما كانت تصوره التوراة بسبب غضب الرب عليهم لتخليهم عنه وتبنيهم لعبادات أخرى، بل كانت هناك عوامل خارجية كانت الأداة الفعلية لهدم إسرائيل والقضاء عليها[4].

ويعتقد أن هذه تتمثل في تحالف مملكة إسرائيل مع دمشق ضد غريمتها مملكة يهوذا وأشور التي كانت تسعى لتوسيع إمبراطوريتها لتضم كل من سوريا وفلسطين لثروتهما المعدنية والخشبية ولتجارتها الغنية واطول ساحلها على البحر المتوسط وأشور كانت تسعى لأن يكون لها منفذا إليه[5]. وقد حاصر الملك الأشوري "شلمنصر الخامس" مدينة السامرة ثلاثة أعوام أي حوالي 722ق.م، ثم استولى عليها العاهل الأشوري "سرجون الثاني" ونقل أهلها وعرباتها العسكرية، وعين عليها حكاما ثم فرض عليها الجزية والضرائب[6].

ومهما كان من أمر فإن سرجون الثاني يكون قد هجر أكثر عناصر السكان أهمية كالنبلاء والأغنياء إلى "حلج وخابور".

[1] فيليب حتي: 5000 سنة، المرجع السابق، ص 130.

[2] فيليب حتي: تاريخ سوريا، المرجع السابق، ص 209.

[3] سفر الملوك الأول: 16: 31.

[4] عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ص 1954.

[5] جورج كونتنو: المرجع السابق، ص 110.

[6] محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص 847.

ويبدو أن مملكة يهوذا قامت بتنظيم جيشها وإصلاح حصونها وتنظيم شؤونها الداخلية بعد أن أحست بزوال خطر كل من مصر وأشور لكنها لم تنعم بالاستقرار طويلا إذ سرعان ما توالت عليها حملات "سرجون الثاني"[1] وخلفه "سنحريب"[2] وتقلصت مملكة يهوذا في ذلك الوقت.

وفي عام 612ق.م حاولت مصر إعادة إمبراطوريتها في سوريا في عهد ملكها تخاور الذي انتصر عليه فيما بعد "نبوخذ نصر"[3] الملك البابلي الذي غزا أورشليم وأسر ملكها وحمله معه إلى بابل مقيدا بالسلاسل، لكنه توفي في الطريق.

وقد حاول ابنه الثورة على بابل فجاء "نبوخذ نصر" مرة ثانية إلى أورشليم وقام بسبي الملك ونسائه وأعوانه ومعه سبعة آلاف من جنوده وألف من الصناع، فأخذهم معه إلى بابل، وتولى الملك "صدقيا" ولما حاول هو الآخر الاستقلال والتخلص من السيطرة البابلية، أرسل له نبوخذ نصر جيشا أحرق مدينة أورشليم وهدم هيكل سليمان وساق أمامه نحو بابل حوالي خمسين ألفا من العبرانيين.

وبذلك كان سقوط مملكة يهوذا آخر ممالك العبرانيين في أرض كنعان وتحطمت عمع هذا السقوط كل معالم الحضارة العبرانية وذلك بتحطيم مدينة أورشليم عاصمة المملكة وبحرقها وتحطيم الهيكل هيكل سليمان الذي لم تظهر آثاره إلى اليوم.

وخلاصة القول أن مملكة العبرانيين كانت ظرفية وقتية انتهت بانتهاء الظروف المؤقتة التي ساعدت على وجودها، فقد كانت تحمل جذور فناءها منذ ظهورها لأن تأسيسها لم يكن مبنيا على أسس حضارية ثابتة تضمن لها البقاء والاستمرار أو السيطرة والنفوذ مثل باقي الدول النافذة في منطقة الشرق الأدنى القديم.

---

(1) سرجون الثاني: تولى عرش المملكة الأشورية عام 721ق.م بعد وفاة شلمنصر الخامس، استطاع القضاء على الاضطرابات الداخلية وفرض بذلك الاستقرار ثم توجه نحو الخارج للقضاء على أعدائه، فسيطر على كل الجهات وأصبحت كل أقاليم سوريا وفلسطين تابعة له. أنظر: حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص ص 88-89.

(2) سنحريب: هو ابن شرجون الثاني خلف والده على العرش سنة 705ق.م وفي عام 681ق.م قاد جيشا كبيرا باتجاه فلسطين فغزا المدن الساحلية وحاصر أورشليم لكنه اضطر للعودة إلى بلاده بسبب الوباء الذي تفشى في قواته، وكذلك بسبب الاضطرابات التي وقعت في بلاده أيضا. أنظر: أبو المحاسن عصفور: المرجع السابق، ص 381؛ سامي محروس إسماعيل: المرجع السابق، ص 92.

(3) نبوخذ نصر (بختنصر الثاني): يعتبر من أشهر ملوك الدولة الكلدانية، تولى العرش بعد وفاة والده كان يتميز بكفاءاته العسكرية والإدارية وفي عهده توسعت دولته حتى وصلت إلى الخليج العربي وإلى شاطئ البحر المتوسط وقد أرسل جيشا لتأديب مملكة يهوذا واحتل العاصمة أورشليم عام 595ق.م، وبعد أن ثار ضده العبرانيون بعد عشر سنوات أرسل إليهم جيشا دمر عاصمتهم وخربها وفتك بأهلها ودمر هيكل سليمان ونقل الأسرى العبرانيين إلى بابل، وهو الذي أنشأ حدائق بابل المعلقة التي تعد إحدى عجائب الدنيا السبع. أنظر: أبو المحاسن عصفور: المرجع السابق، ص 385؛ حلمي محروس إسماعيل: المرجع السابق، ص 97.

قائمة بملوك كل من المملكتين:[1]

مملكة إسرائيل		مملكة يهوذا	
يربعام الأول	908-922	رحبعام	910-926
ناداب	906-908	إبيام	908-910
بعشا	882-906	أسا	872-908
ايلة	882-883	يهوشافاط	852-872
زمري	882	يهورام	845-852
عمري	871-882	أحزيا	844-845
أحاب	852-871	أثليا	839-845
أحزيا	851-852	يواش	800-839
يهورام	845-851	أمصيا	785-800
جيحو	818-845	عزيا	747-785
يهواحار	802-818	يوثام	743-758
يواش	787-802	أحاز	725-742
يربعام الثاني	747-787	حزقيا	697-725
زكريا	746-747	منسى	642-696
شلوم	746-747	أمون	640-641
منحيم	737-746	يوشيا	609-639
فقحيا	735-736	يهواحاز	609
فقح	733-734	يهوياكيم	597-607
هوشغ	724-733	يهوياكين	597
		صدقيا	587-597

[1] فيليب حتى: 5000 سنة، المرجع السابق، ص 130.

خاتمة

الخاتمة:

بعد هذه الدراسة المفصلة للمملكة العبرانية وأوضاعها العامة السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية ثم الدينية والثقافية نخلص إلى النتائج التالية:

أولا: من خلال تتبعنا لإشكالية التسمية عند العبرانيين وأصلها أدركنا أن هذه التسمية إذا كانت تنسب إلى إبراهيم الخليل الذي لقب بالعابر فلماذا اختص بها واحد من أحفاد إبراهيم وهو يعقوب وذريته وحرم منها باقي أبناؤه وأحفاده؟ فنحن أبناء إسماعيل أولى بالانتساب إليه ونحن الأمة الوحيدة التي تذكره وتصلي عليه كما نصلي على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام في كل تشهد وفي كل صلاة إذن فمن العدل أن تطلق هذه التسمية على كل أبناء وأحفاد إبراهيم عليه السلام دون تمييز بين أحد منهم.

ثانيا: عندما تحدثت التوراة عن أصل العبرانيين الذين ينتسبون إلى أبيهم الأعلى إبراهيم الخليل عليه السلام تذكر أن إبراهيم كان من أور الكادانيين دون ذكر المرحلة ما قبل أور، لكن الشيء المؤكد أن العبرانيين كغيرهم من الأقوام السامية هاجروا من الجزيرة العربية ثم اتجهوا جنوب بلاد الرافدين، ونحن نعلم أن غالبية الهجرات البشرية الكبيرة التي جاءت إلى بلاد الرافدين والشام في الأزمنة القديمة كان مصدرها الجزيرة العربية، ثم هاجر إبراهيم من أور إلى حاران شمال بلاد الرافدين ومنها إلى كنعان ثم بعد القحط الذي أصابها ذهب إلى مصر، وبذلك نستنتج أن مصر كانت محطة هامة في تاريخ العبرانيين منذ عهد إبراهيم عليه السلام، وهذا ما سيبرر تأثيرها الواضح على المملكة بعد تأسيسها.

كما أن مصر ستكون وجهة يعقوب وأبنائه بعدما تبوأ يوسف مكانة هامة في البلاط الملكي ويبقى بنو إسرائيل في مصر إلى أن جاء موسى عليه السلام ليخلصهم من الاضطهاد والعبودية التي عانوا منها في مصر، وتسهب التوراة في المبالغات الأسطورية التي صاحبت خروجهم من مصر بقيادة موسى لكن أهم النقاط التي يجب الوقوف عندها هي عدد الإسرائيليين عند الخروج من مصر، حيث تذكر التوراة أن عدد الرجال المشاة فقط بلغ حوالي ستمائة ألف رجل عدا النساء والأطفال فقد يتجاوز العدد المليون ونصف فرد. ونحن نعلم أن خروجهم كان سرا، فكيف يستطيع هذا العدد الهائل من العبرانيين الخروج دفعة واحدة دون أن ينتبه لهم المصريون، وهذا ما يدفعنا إلى المطالبة بدراسة تحليلية لأهم ما جاء في التوراة ومقارنتها بالنصوص والشواهد المادية للوصول إلى الحقائق العلمية بموضوعية بعيدا عن الذاتية.

ثالثا: أن العبرانيين هم أكثر الشعوب تذللا على ا سبحانه وتعالى وأن موسى عليه السلام عانى الأمرين معهم جراء مطالبهم التي لا تنتهي وتمردهم وعصيانهم، بل أنهم هجروا عبادة التوحيد التي جاء به موسى وعادوا إلى الوثنية حينما قاموا بعبادة عجل صنعوه من الذهب وهذا ما يدل على أنهم لم يستطيعوا التخاص من التأثير الديني العقائدي المصري.

لكن السؤال الذي يتبادر إلى أذهاننا لماذا كانت فترة التيه أربعين سنة وماذا تمثل هذه المدة الزمنية؟ ولماذا كانت في صحراء سيناء، هل بسبب عصيانهم أم بسبب عودتهم إلى الوثنية وتخليهم عن ديانة التوحيد؟ ثم لماذا حددت فترة التيه بأربعين سنة، فهل هذه المدة تمثل الحد الأقصى لوفاة كل من شارك في العصيان والتمرد وفي عبادة العجل؟ أم أنها فترة كافية لنشوء جيل جديد لم يتخلق أخلاق العبرانيين وما فتلوا عليه من جبن وغدر وخداع لم يسلم منه حتى أنبياؤهم.

إن هذه القضايا تتطلب منا البحث والدراسة والتحليل لما جاء في التوراة التي أرخت لهذه الأحداث ومقارنتها مع ما جاء في القرآن الكريم وهو أصدق المصادر لأنه لم يطله التحريف ومقارنة ذلك مع النصوص والشواهد المادية.

رابعا: أن اختيار أرض كنعان لتكون مسرحا لهذه الأحداث يعود إلى عوامل طبيعية كتنوع المناخ واعتداله وملاءمته للنشاط البشري وتنوع السطح والتضاريس مما يساعد على قيام نشاط اقتصادي متنوع، هذا دون أن ننسى الموقع الإستراتيجي الهام الذي تحتله بين دويلات المنطقة مما ساعدها على القيام بدور الوساطة بين الشمال والجنوب وبين الشرق والغرب.

فهذا الموقع هو الذي ساعد على ازدهار التجارة في عهد سليمان زيادة على ما تزخر به من خيرات وثروات طبيعية متنوعة، فكل تلك العوامل مجتمعة جعلتها محط أنظار الطامعين في عصورها التاريخية، غير أن هناك من الباحثين من يشكك في وقوع تلك الأحداث التي جاءت بها التوراة في أرض كنعان أو فلسطين ومنهم الأستاذ كمال الصليبي الذي حاول في كتابه "التوراة جاءت من جزيرة العرب" إثبات أن كل الأحداث والمواقع التي وردت في التوراة لم تجر في أرض كنعان أو فلسطين حاليا بل جرت كلها في جزيرة العرب مستندا إلى وجود مواقع خاصة في غرب جزيرة العرب تحمل نفس الأسماء الواردة في التوراة فيضيف بأن أرض كنعان التوراتية كانت تقع في الجانب البحري من عير والجزء الجنوبي من الحجاز.

فقد حاول الباحث نفي أي صلة للعبرانيين بأرض فلسطين، لكنه بذلك سيمدد دائرة وجودهم إلى شبه جزيرة العرب، غير أني أرى أن تشابه أسماء الأماكن بين أرض كنعان وما هو موجود بجزيرة العرب ما هو إلا دليل على أن سكان فلسطين الكنعانيين الذين أخذت البلاد فيما بعد اسمهم فأصبحت

تعرف بأرض كنعان قد هاجروا من شبه جزيرة العرب فأخذوا أسماء مواقع من موطنهم الأصلي وأطلقوها على مواقع في موطنهم الجديد، وهذا كثيرا ما يحدث حتى في وقتنا المعاصر.

خامسا: أن موسى عليه السلام رغم قيادته لجيش العبرانيين إلا أنه لم يدخل أرض كنعان هو وأخوه هارون، فقد تم ذلك على يد يوشع بن نون، وأن الانتصارات التي تحدثت عنها التوراة امتلأت بالمبالغة والتهويل والمتناقضات. لكن الحقيقة المؤكدة أن تلك الانتصارات لم يحرزها العبرانيون بشجاعتهم وبسالتهم، وإنما كانت معجزات ربانية، حيث كان الرب يحارب عنهم ويقتل أعداءهم ويهزمهم، ثم يأمرهم بدخولها وحرقها وقتل كل من فيها دون تمييز بين نساء أو أطفال أو شيوخ، فأي إله أكثر تعطشا من إله العبرانيين لسفك الدماء والتمثيل والحرق والتنكيل بالأعداء؟

سادسا: لقد ثبت أنه لم يكن للعبرانيين وجود على تلك الأرض - حسبما جاء في التوراة – من الفرات إلى النيل، فأقصى اتساع لهم لم يتجاوز جبل الكرمل وتل القاضي في شمال فلسطين وبئر السبع في صحراء النقب جنوبا، وهذا أقصى اتساع للمملكة العبرانية حتى في عهد داود وسليمان أعظم ملوكهم، وأن مملكتهم لم تكن سوى مملكة صغيرة ظهرت على تخوم مصر وبلاد الرافدين مستغلة انحسار القوتين العظمتين في ذلك الوقت وانشغالها بظروفها الداخلية ألا وهما القوة الأشورية والقوة المصرية.

سابعا: أن مملكة داود وسليمان كانت وقتية آلت إلى الزوال وانتهت بالفوضى السياسية والدمار لأنها تحمل في أعماقها بذور فنائها، فتاريخ العبرانيين لا يمثل إلا فترة قليلة الأهمية إذا ما قورن بتاريخ الإمبراطوريات الكبرى في الشرق الأدنى القديم فلا وجه للمقارنة بينهما، فحتى وهم في أقصى مجدهم لم يستطيعوا فتح بلدان، ولم يقووا على غزو أقاليم جديدة، ولم يستطيعوا حتى تكوين دولة تقف على قدم المساواة مع غيرها من دول المنطقة.

ثامنا: أن العبرانيين خضعوا لأثر من كان بأرض كنعان من الشعوب ولجيرانهم من الأمم الأخرى، سياسيا واقتصاديا ودينيا واجتماعيا وثقافيا، ومع ذلك لم يستطيعوا التخلص من بداوتهم فظلوا كسالى خالين من الفكر والإبداع يعتمدون فقط على المعجزات الربانية التي تحقق رغباتهم على اعتبار أنهم شعب ا   المختار.

تاسعا: لم تكن لهم مساهمة حضارية حتى وهم في ذروة مجدهم لا في ميدان الصناعة ولا العمران والفنون، فحتى الهيكل الذي يعدونه رمز فخرهم لم يكن إلا من تخطيط وتنفيذ وصنع الفينيقيين أنفسهم فقد بني على نمط المعابد الكنعانية نفسها، وعليه فإن تأثرهم في تاريخ الحضارة الإنسانية لا يكاد يذكر لذلك لا يمكن أن يعدوا من الأمم المتمدنة.

إن هذا التأثير قد طال حتى عقيدتهم وديانتهم التوحيدية فعبدوا آلهة الشعوب المجاورة لهم وعادوا إلى الوثنية في الكثير من المرات وأهملوا ميزتهم الوحيدة وهي التوحيد.

عاشرا: أن العبرانيين هم الأمة الوحيدة التي كتبت تاريخها بيدها من خلال كتابهم "التوراة" التي كتبت على يد بعض الكتبة المتأخرين أثناء وجودهم في السبي البابلي حوالي القرن السادس قبل الميلاد، وعند كتابتهم لتاريخهم هذا أغاروا على المأثورات الشعبية للأمم القديمة التي عرفوها من سومريين وبابليين وأشوريين ومصريين وأضافوا إليها من بقايا الفولكلور الذي حفظته ذاكرتهم منذ بداوتهم الأولى، فنسجوا من ذلك كله أسطورة اختلطت فيها شرائع الأنبياء، وحكمة الحكماء بحكايات الأبطال الخرافيين، وترجمات تكاد تكون حرفية لملاحم من أمم أقدم منهم ثم زعموا أن ذلك التاريخ قد أنزل من السماء فهو كتاب مقدس فوق كل جدل أو نقاش، وكل ما تضمنه من وقائع أصبحت يقينا عندهم فهي حقائق تاريخية لا ينبغي الشك فيها.

ولكن إذا أردنا فهم تاريخ العبرانيين علينا دراسة التوراة كما يدرس تاريخ أي شعب، لأن من كتبوا التوراة بشر مثلنا فهم حسب رأيي مؤرخون لا يختلفون عن غيرهم من المؤرخين الذي عاصروهم، إذن فلا مانع من مناقشة التوراة دون تمييز على أنها كتاب مقدس أو كتاب تاريخ لأن التاريخ يشكل أكثر من ثمانين بالمائة من مجموع ما جاء فيها حيث تضمن في المقام الأول أخبار الأمم السابقة والمعاصرة وأساطيره، وقد تمت صياغتها وفق أهداف أصحابها وخططهم.

وبناءا عليه يجب علينا دراسة التوراة دراسة تعتمد منهج الموضوعية سبيلا لها، والبحث عن الحقيقة أيا كانت غايتها لأنه ليس هناك تاريخ لا يحتمل الخطأ، وللوصول إلى ذلك لأم لنا من الاستعانة بهدي القرآن الكريم الذي فصل الحديث عن بني إسرائيل ووضعهم وأحلافهم وموقفهم من الأنبياء، ورغم أن القرآن الكريم لم يعط تفاصيل الأخبار التي وردت فيه عن بني إسرائيل، ولم يحددها في الزمان والمكان، إلا أن ذلك لا ينفي صحة أخباره وصدق ما جاء فيه، وهو أصدق المصادر حيث أنه الوحيد الذي لم يطله التحريف ولا التبديل دون باقي الكتب السماوية الأخرى.

فالقصص القرآني ليس الهدف منه التأريخ لهذا القصص وإنما الهداية والإرشاد وأخذ العبر والاستفادة مما حل بالسابقين وهذا خلاف ما نجده في التوراة أو الإنجيل.

حادي عشر: إن دراسة الأمم لا يتأتى بدراسة واقعها المعاصر فحسب بلا لابد من العودة إلى أعماق تاريخها، لمعرفة المنابع الحقيقية التي أمدتها بتصورها للحياة، ولأنه أصبح من ضروريات النصر أن تعرف الأمة التي تواجهها معرفة حقيقية، والمعرفة الحقيقية للشعوب والأمم لا تكون بمعرفة القوة العسكرية أو الاقتصادية أو الاجتماعية ، فالمعرفة الحقيقية تعتمد على دراسات واسعة يكون الإنسان المحور الرئيسي فيها وذلك بدراسة نوازعه الظاهرة والخفية، وهذا ما نعد أحوج إليه في صراعنا مع الإسرائيليين فلابد لنا من دراسة تحليلية دقيقة بعيدة عن الذاتية لتاريخ الإسرائيليين القديم

حتى تستطيع الوقوف على مكامن الضعف والقوة، والتحقق من صحة الروايات القديمة وهذا بالاعتماد على الوسائل العلمية والتكنولوجية للتحقق من صحة الروايات القديمة وعن طريق البحث عن الشواهد الأثرية والمادية بالمنطقة واستخراج بقايا العصور القديمة التي تمكننا من التوصل إلى معلومات دقيقة عن التاريخ القديم للعبرانيين وعلاقته بأرض كنعان (فلسطين).

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا. الكتب المقدسة:

- القرآن الكريم
- الحديث النبوي الشريف
- العهد القديم (التوراة)
- الإنجيل (منبع الحياة)

ثانيا. المصادر:

- ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي): الكامل في التاريخ، ج1، ط5، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ -1985م، ص 95.
- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج1، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ -1995م.
- ابن العبري (غريغريوس المالطي): تاريخ مختصر الدول، ط2، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1958.
- ابن الكلبي (هشام بن محمد السائب): أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخباره، تح: أحمد زكي: الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1384هـ -1965م.
- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1956.
- ابن سعد: الطبقات الكبرى، تح: عبد القادر عطار، ج1، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 1410هـ -1990م.
- ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل): البداية والنهاية، تح: أحمد بن شعبان أحمد، ج1، ط1، مطابع دار البيان الحديثة، القاهرة، 1422هـ -2003م
- ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل): تفسير القرآن، ج1، ط2، دار الفيحاء دمشق، دار السلام الرياض، 1418هـ -1998م.
- ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل): قصص الأنبياء من القرآن والأثر، تح: صدقي جميل العطار، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2003.

- ابن ماجه (أبو عبد ا محمد بن يزيد القزويني): سنن ابن ماجه، تح: محمد ناصر الدين الألباني، ط3، مكتبة المعارف، الرياض، 1429هـ -2008م.
- ابن منظور: معجم لسان العرب، ج3، طبع المطبعة الأميرية، سنة 1302هـ.
- أبو القاسم بن صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، تح: حياة بوعلوان، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، فبراير 1985.
- الأصفهاني (حمزة بن الحسن): تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ط2، منشورات دار الحياة، بيروت، 1961.
- البغدادي (أبو جعفر محمد بن حبيب): المحبر، تح: أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري، المكتب التجاري للطباعة، بيروت.
- البكري (أبو عبيد عبد ا الأندلسي): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج2، لجنة التأليف للترجمة والنشر، 1366هـ -1947م.
- البكري (فخر الدين الرازي): عصمة الأنبياء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1409هـ -1988م.
- ابن عساكر: تاريخ دمشق الكبير، ج1، ط2، دار المسيري، بيروت، 1399هـ -1979م.
- الجعفري الهاشمي (صالح بن الحسين): تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، تح: محمود عبد الرحمن قدح، ج2، ط1، مكتبة العبيكله، المدينة المنورة، 1419هـ -1999م.
- الحميري (محمد بن عبد المنعم): الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، لبنان، 1980.
- الحميري (نشوان بن سعيد): شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ج1، تح: ياسين بن عبد ا العمري: دار الفكر المعاصر، 1420هـ -1999م.
- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن): الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة صلى ا عليه وسلم، تح: محمد السعيد بن بسيوني زغلول: ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ -1985م.
- الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1425-1426هـ / 2005م.

- ساعد بن أحمد الأندلسي: طبقات الأمم، د.ط، مطبعة السعادة، مصر، د.ت.
- الطبري (أبو جعفر ابن جرير): تاريخ الملوك والأمم، ج1، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
- الطرطوسي المالكي (أبو بكر محمد بن الوليد الفهري): الكتاب المسبوك في نصائح الملوك، ط1، المطبعة الحرية، مصر، 1306هـ.
- عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، دراسة وضبط محمد الإسكندراني، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1425هـ-2005م.
- القزويني (زكريا بن محمد محمود): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان، 1380هـ-1960م.
- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي): صبح الأعشا في صناعة الإنشا، ج4، د.ط، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ت.
- المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسن بن علي): أخبار الزمان، ط1، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، مصر، 1357هـ-1938م.
- المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسن بن علي): مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، 1385هـ-1965م.
- مقبل بن هادي الوادعي: الصحيح المسند من دلائل النبوة، ط1، دار الأرقم للنشر، الكويت، 1405هـ-1985م.
- المقدسي (المطهر بن طاهر): كتاب البدء في التاريخ، ج4، باريس، 1907.
- المقديسي شمس الدين (أبو عبد ا محمد بن أحمد): أسس التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط1، تح: محمد أمين الظناوي دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ-2006م.
- النويري (شهاب الدين أحمد عبد الوهاب): نهاية الأرب في فنون الأدب،ج1، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1347هـ-1929م.
- النيسابوري (مسلم أبو الحسين بن الحجاج القشيري): صحيح مسلم، دار ابن الهيثم، القاهرة، 1422هـ-2001م.
- وهب بن منبهه: كتاب التيجان في ملوك حمير، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد، الهند، 1347هـ.

- ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ت.

ثالثا. المراجع باللغة العربية:

- أبراهام مالمات، جييم تدمور: العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية، تر: رشاد عبد ا الشلي: ط$_1$، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2001.
- أحمد الطاهر بحري: البحوث التاريخية وإشكالية مضمون التوراة، ط$_1$، مطبعة سيبوس، عنابة، 2007.
- أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، ط$_7$، العربي للإعلام والنشر، دمشق، د.ت.
- أحمد عثمان: تاريخ اليهود، ج$_1$، مكتبة الشرق، القاهرة، د.ت.
- الأرقم الزغبي: حقائق عن اليهودية، ط$_1$، الدار المتحدة للطبع والنشر، 1990.
- إسرائيل شاحاك: الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، موسوعة اليهود (وطأة 3000 عام)، تح: إدوارد سعيد ، تر: رضا سلمان، د.ط، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، د.ت.
- أندريه: تاريخ الحضارات العام (الشرق واليونان القديمة)، تر: فريد م.داغر فؤاد، أبو ريحان، مج$_1$، 1964، ص 217.
- إيمانويل غلايكوفسكي: عصور في فوضى من الخروج إلى الملك اخناتون، تر: رفعت السيد، ط$_1$، سينا للنشر، القاهرة، 1995.
- جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج$_1$، ط$_1$، بيروت، 1968.
- جودت السعد: الشخصية اليهودية عبر التاريخ، العربية للدراسات والنشر، 1984.
- جورج كونتنو: المدنيات القديمة في الشرق الأدنى، تر: متري تنماس، المنشورات العربية، فرنسا.
- حسن أحمد محمد خليفة: تاريخ الديانة اليهودية، ط$_1$، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 1999.
- حسن ظاظا: الشخصية الإسرائيلية، ط، دار القلم دمشق، 1420هـ -1999م.
- حلمي محروس إسماعيل: الشرق العربي القديم وحضاراته، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997.

- حمد الطيب النجار: تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، دار الاعتصام، القاهرة، د.ط، د.ت.
- خليل سركيس: تاريخ القدس، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1421هـ-2001م.
- رجا عبد الحميد عرابي: سفر التاريخ اليهودي، ط1، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، 1425هـ-2004م.
- ريتشارد إليوت فريدمان: من كتب التوراة، ترجمة عمرو زكريا، ط1، دار البيان للنشر والتوزيع، 2002م.
- زكي شنوده: اليهود، نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم من واقع نصوص التوراة كتابهم المقدس، ط1، مكتبة النهضة المصرية، 1974.
- سهيل ديب: التوراة بين الوثنية والتوحيد، ط، دار النفائس، بيروت، 1405هـ-1985م.
- سهيل ديب: التوراة تاريخها وغاياتها، ط2، دار النفائس، بيروت، 1397هـ-1977م.
- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت.
- صابر طعيمة: التاريخ اليهودي العام، ج1، ط3، دار الجيل، بيروت، 1419هـ-1999م.
- صابر طعيمة: بنو إسرائيل في ميزان القرآن الكريم، دار الجيل، بيروت، د.ت.
- صفا أبو نادي: الأعياد والمواسم في الديانة اليهودية، د.ط، دار الوفاء، الإسكندرية، 2005.
- صوفي حسن أبو طالب، جمال محمود عبد العزيز: تاريخ النظم القانونية، مركز جامعة القاهرة، 1998، ص 353؛ أحمد عثمان: المرجع السابق.
- طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات، ج2، ط2، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، 1375هـ-1956م.
- الطيب تيزيني: من يهوه إلى ا ، ج3، م1، د.ط، دمشق للطباعة والنشر، د.ت.
- عباس محمد العقاد: العقائد والمذاهب، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978.
- عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو: أصول الصهيونية ومآلها، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1394هـ-1974م.
- عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، دار النهضة العربية، 1966.

- عبد ا التل: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، د.ط، عصر الكتاب، البليدة-الجزائر، د.ت.
- عبد ا تل: جذور البلاء، ج$_1$، ط$_3$، المكتب الإسلامي، بيروت، 1408هـ -1988م.
- عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ط$_3$، د.ت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- عفيف عبد الفتاح طبارة: اليهود في القرآن، ط$_4$، دار العلم للملايين، بيروت، 1974.
- علي سامي النشار، عباس أحمد الشربيني: الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية، ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1972.
- علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د.ت.
- عمار عزون: ورث سليمان داود، ط، شركة زاعياس للطباعة والنشر، الجزائر، 1428هـ -2000م.
- غازي محمد فرج: النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة، ط$_1$، دار النفائس، بيروت، 1419هـ -1990م.
- فؤاد حسنين علي: إسرائيل عبر التاريخ، دار النهضة العربية، مصر، د.ط، د.ت.
- فضل حسن عباس: القصص القرآني، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر.
- فليسيان شالي: موجز تاريخ الأديان، ترجمة حافظ الجملي، ط$_1$، دار طلاس للترجمة والنشر، 1991.
- فيليب حتى: 5000 سنة من تاريخ الشرق الأدنى، المجلد 1، ط$_1$، الدار المتحدة للنشر، بيروت، 1975.
- فيليب حتي: تاريخ سوريا وفلسطين ولبنان،ج$_1$، دار الثقافة بيروت، 1958.
- كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، ط$_3$، 1986.
- كمال الصليبي: حرب داود، ط$_2$، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1991.
- كمال الصليبي: خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، ط$_5$، دار الساقي، بيروت، 2002.
- لطفي عبد الوهاب يحي: العرب في العصور القديمة، د.ط، دار النهضة العربية، 1979.

- محمد أبو المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.
- محمد أحمد المراغني: أشعيا نبي بني إسرائيل وأزمة الكيان الصهيوني القديم، ط1، دار العلوم العربية، بيروت، 1412هـ -1992م.
- محمد الطيب النجار: تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، د.ط، دار الاعتصام، القاهرة، د.ت.
- محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل منذ عهد إبراهيم حتى عصر موسى، ج1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993.
- محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1999.
- محمد خليفة حسن أحمد: تاريخ الديانة اليهودية، ط1، دار قباء للطباعة والنشر، 1998.
- محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، ط، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1990.
- محمد ضياء الرحمن الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، مكتبة الرشد، د.ت.
- محمد عبد ا الشرقاوي: مقارنة الأديان بحوث ودراسات، د.ط، د.ت، دار الجيل، بيروت.
- محمد عزة دروزة: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1389هـ - 1969م.
- محمود العابدي: مخطوطات البحر الميت، منشورات دار الثقافة والفنون، عمان الأردن، 1967.
- محمود علي حماية: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1983.
- مرسيا إلياد: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، تر: عبد الهادي عباس، ج1، دار دمشق للطباعة والنشر، د.ت.
- مصطفى كمال عبد العليم، سيد فرج راشد: اليهود في العالم القديم، ط1.

- مقبل بن هادي الوادعي: الصحيح المسند من دلائل النبوة، ط1، دار الأرقم للنشر، الكويت، 1405هـ-1985م.
- منى إلياس: الأصوليون اليهود بين أساطير التوراة والعلم المعاصر، ط1، 1422هـ-2001م، دار الفكر، دمشق.
- منى إلياس: الأصوليون اليهود بين أساطير التوراة والعلم المعاصر، ط2، دار القلم، دمشق، 1422هـ-2001م.
- موسى معيرش: الديني والسياسي في اليهودية والإسلام بين المقدس والمدنس، مكتبة اقرأ، قسنطينة، 2007.
- نبيل فياض: التلمود البابلي رسالة عبدة الأوثان، ط1، دار الغدير، دمشق، 1991.
- نسيب وهيبة الخازن: من الساميين إلى العرب، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
- نشوان بن سعيد الحميري: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ج1، تح: ياسين بن عبد ا العمري: دار الفكر المعاصر، 1420هـ-1999م.
- نصر شمالي: ملاحظات أساسية حول تاريخ المسألة اليهودية، ط2، مكتبة الخدمات للطباعة، دمشق، 1985.
- ه.ج.ولز: معالم تاريخ الإنسانية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مج2، ط3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1969.
- ول وإيريل ديورانت: قصة الحضارة، تح: محي الدين جابر وزكي محمود، ج، دار الجيل، بيروت، 1971.
- يوسف الدبس: تاريخ الشعوب المشرقية في الدين والسياسة والاجتماع، ج2، ط1، دار نظير عبود، 2000.

ثالثا. الرسائل الجامعية:

- الطاهر ذراع: المجتمع العربي من خلال كتابات أصحاب السير والكتاب القدامى، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة، 2003.
- أحمد إسماعيل علي: تاريخ بلاد الشام (ماجستير في التاريخ)، ط3، جوهرة الشام، 1994.

رابعا. المراجع باللغة الفرنسية:

- Adolphe Lods : Histoire de la littérature hébraïque et juives, Payot, Paris, 1950.
- Adolphe-Lods : Israël des origines au milieu du VIII[e] siècle, édition Albin Michel, Paris, 1944.
- Alfred Bertholet : Histoire de la civilisation d’Israel, traduction française par: Jacques Marty Payer, Paris, 1953.
- Dictionnaire Encyclopédique de Labible Brepols, 1987.
- Die Cknoff, Israël de moise aux accord d'Oslo, éditions du seuil, 1998.
- E. Dhorme : L’évolution religieux d’Israël, tome I, USE, Bruxelles, 1937.
- Eliade Coulaine : Dictionnaire des religions, Plon, Paris, 1990.
- Endré Caquot : Encyclopédie de la pléade : Histoire des Religions, Editions Gallimard, 1970.
- Eugène Cavaignal : Histoire générale de l’antiquité les belles lettre, Paris, vI, 1946, P 129 ; Hugues Vincent : Canaan, Victor le coffre, Paris, 1907.
- Flavius Josèphe : Histoire ancienne des juifs, Editions Lidis, 1982.
- G. Maspero : Histoire ancienne des peuples de l’orient, troisième éditions : Hachette, Paris, 1921.
- Introduction a la Bible : La loi et les livres historique, tome 1, CERF, Paris, 1970.
- J. De Fraine : Nouvel atlas historique et culturel de la bible, éditions Meddens, Paris, 1961.
- Jean Bottero : Israel de moise aux accords d’Oslo, introduction d’Alain Die Ckhoff, Edition du seuil, 1998, P 24.
- Jean Deshayes : Les civilisation de l’orient ancien, Arthand, 1969.
- Josy Eisenberg : Le judaïsme, Jaques Crancheur, Paris, 1989.
- La Bible : L’ancien testament, NRF, 1970, chapitre XIII.
- Mereille Hadas : Moise l’égyptien, La revue l’histoire (l’Egypte Ancienne), Editions du seuil, Octobre 1996.
- Mircea Eliade : Histoire des croyances et des idées religieuses, Payot, Paris, 1987.
- Mireille Hadas- Lebel : Salomon, roi de légende, Edition du seuil, 1998.
- R. Devaux. O. P : Bible et orient, cerf, Paris, 1967.
- Richard Lebeau : Une histoire des hébreux de moise à Jésus, Taillandier, Paris, 1998.
- Simon Doubnov : Précis d’histoire juive, des origines a 1934, traduit par I Pougatz, cerf 1992.

خامسا. الموسوعات ودوائر المعارف:

- أ.ء. الإسفات: الموسوعة العربية العالمية، ج1، ط2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، السعودية، 1419هـ-1999م.
- أسعد البحراني: موسوعة الأديان الميسرة، ط2، دار النفائس، بيروت، 1423هـ-2002م.
- حسن نعمة: موسوعة الأديان السماوية والوضعية، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994.
- حسين علي محمد: قاموس المذاهب والأديان، ط1، دار الجيل، بيروت، 1419هـ-1998م.
- سهيل زكار: المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف، ج1، ط1، دار الكتاب العربي، 1418هـ-1992م.
- عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الخامس، د.ط، د.ت، ص 1809.
- محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين ، ج2، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- مهدي حسين البصري: موسوعة الأديان، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2001.
- موسوعة القرن، ط1، دار المتوسطية للنشر، تونس، 1427هـ-2006م.
- هارفي بورتر: الموسوعة مختصر التاريخ القديم، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1411هـ-1991م.
- وهيب أبو فاضل: موسوعة عالم التاريخ والحضارة، ج1، ط1، نوبلين، 2003.

سادسا: الدوريات:

- أحمد البحيصي: الاستيطان الكنعاني وهجرة اليهود إلى أرض كنعان، مجلة سيرتا، العدد 10، أفريل 1988، جامعة قسنطينة.
- حسن مصطفى الباش: أين التوراة؟ أي كتاب موسى عليه السلام؟، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة 13، العدد 50، جمادى الأولى، 1426هـ- يوليو 2005م، دائرة البحث العلمي والدراسات، دمشق.
- فؤاد حسنين علي: نشيد الأناشيد الذي لسليمان، مجلة كلية الآداب، مج13، ج1، مطبعة جامعة فؤاد الأول، الجيزة، مايو 1951.

- محمد شامة: لا سند تاريخي ديني لادعاءات اليهود في أرض فلسطين، مجلة الرابطة، العدد 443، رمضان 1422هـ - ديسمبر 2001.
- ولوريتس: هل العبرانيين وجود في إبلا، تر: قاسم كوير، مجلة دراسات تاريخية، العددان 27 و28، كانون الأول، جامعة دمشق، 1987.

سابعا. مواقع الأنترنت:

- أسامة محمد أبو ندا: حدود مملكة داود بين روايات العهد القديم والدراسات الحديثة

File://c:\vsers\public\documents\داودعليهالسلام\تاريخاليهود.htm

- خالد السيد: البحث عن مملكة سليمان.

http://www.annaqed.com/ar/centent/show.aspx?aid=15603.

- أسامة محمد أبو نحل: فترة حكم سليمان عليه السلام

File://c:\vsers\public\documents\داودعليهالسلام\تاريخاليهود.htm

- أحمد عثمان: علماء الآثار الإسرائيليون ينكرون مملكة داود وسليمان التوراتية

http://www.aawsat.com/details.asp?section=20&articles=99315&issue=8545.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية:

السورة	الآيـــات	الرقم	الصفحة
البقرة	﴿ من الذين هادوا (أي اليهود) يحرفُونَ الكلم عن مواضعه ويقُولُونَ سمعنا وعصينا﴾	الآية 46	16
البقرة	﴿ يا بنِي إسرائيلَ اذْكُروا نِعمتي التي أنعمت علَيكُم وأني فَضلْتكُم علَى العالَمين ﴾	الآية 47	20
البقرة	﴿وإِذْ نجيناكُم من آلِ فرعونَ يسومونكُم سوءَ العذَابِ يذَبحونَ أَبناءَكُم ويستحيونَ نِساءَكُم وفي ذَلكُم بلاَءٌ من ربكُم عظيم﴾	الآية 49	58
البقرة	﴿وإِذْ نجيناكُم من آلِ فرعونَ يسومونكُم سوءَ العذَابِ يذَبحونَ أَبناءَكُم ويستحيونَ نِساءَكُم وفي ذَلكُم بلاَءٌ من ربكُم عظيم، وإِذْ فَرقْنا بِكُم البحر فَأَنجيناكُم وأَغْرقْنا آلَ فرعونَ وأَنتم تنظُرونَ﴾	الآيتان 49-50	35
البقرة	﴿وإِذْ واعدنا موسى أَربعين لَيلَةً ثُم اتخذْتم العجلَ من بعده وأَنتم ظَالمونَ، ثُم عفَونا عنكُم من بعد ذَلك لَعلكُم تشكُرونَ، وإِذْ آتينا موسى الكتاب والْفُرقَانَ لَعلكُم تهتدونَ﴾	الآيات 51-53	38
البقرة	﴿يا قَومِ إِنكُم ظَلَمتم أَنفُسكُم بِاتخاذكُم العجلَ فَتوبوا إِلَى بارِئكُم ﴾	الآية 54	16
البقرة	﴿وظَلَلْنا علَيكُم الغمام وأَنزلْنا علَيكُم المن والسلْوى كُلُوا من طَيبات ما رزقْناكُم وما ظَلَمونا ولَكن كَانوا أَنفُسهم يظْلمونَ﴾	الآية 57	37
البقرة	﴿وإِذْ قُلْنا ادخلُوا هذه القَريةَ فَكُلُوا منها حيثُ شئْتم رغَداً وادخلُوا الباب سجداً وقُولُوا حطةٌ نغفر لَكُم خطَاياكُم وسنزِيد المحسِنِين، فَبدلَ الذين ظَلَموا قَولاً غَير الذي قيلَ لَهم فَأَنزلْنا علَى الذين ظَلَموا رِجزاً من السماءِ بِما كَانوا يفْسقُونَ﴾	الآيتان 58-59	62
البقرة	﴿إِن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابِئين من آمن بِالله والْيومِ الآخرِ وعملَ صالحاً فَلَهم أَجرهم عند ربهم ولاَ خوف علَيهم ولاَ هم يحزنونَ﴾	الآية 62	21
البقرة	﴿أَفَتطْمعونَ أَن يؤمنوا لَكُم وقَد كَانَ فَرِيق منهم يسمعونَ كَلام الله ثُم يحرفُونه من بعد ما عقَلُوه وهم يعلَمونَ﴾	الآية 75	189-
البقرة	﴿فَويلٌ للذين يكْتبونَ الكتاب بِأَيديهم ثُم يقُولُونَ هذَا من عند الله ليشتروا بِه ثَمنا قَليلاً فَويلٌ لهم مما كَتبت أَيديهم وويلٌ لهم مما يكْسِبونَ﴾	الآية 79	189

البقرة	﴿قُولُوا آمنا بِالله وما أُنزلَ إِلَينا وما أُنزِلَ إِلَى إِبراهيم وإِسماعيلَ وإِسحاق ويعقُوب والأسباط﴾	الآية 136	7
البقرة	﴿يسأَلُونك عنِ الأَهلة قُلْ هي مواقيت للناسِ والْحج ولَيس البِر بِأَن تأْتوا البيوت من ظُهورِها ولَكن البِر منِ اتقَى وأْتوا البيوت من أَبوابِها واتقُوا الله لَعلكُم تفْلحونَ﴾	الآية 189	191
البقرة	﴿أَلَم تر إِلَى الملأِ من بنِي إِسرائيلَ من بعد موسى إِذْ قَالُوا لنبِيٍّ لهم ابعثْ لَنا ملكاً نقَاتلْ في سبِيلِ الله قَالَ هلْ عسيتم إِن كُتب علَيكُم القتالُ أَلا تقَاتلُوا قَالُوا وما لَنا أَلا نقَاتلَ في سبِيلِ الله وقَد أُخرجنا من ديارِنا وأَبنائنا فَلَما كُتب علَيهِم القتالُ تولوا إِلا قَليلاً منهم والله عليم بالظالمين﴾	الآية 246	76
البقرة	﴿وقَالَ لَهم نبِيهم إِن الله قَد بعثَ لَكُم طَالُوت ملكاً قَالُوا أَنى يكُونُ لَه الملْك علَينا ونحن أَحق بِالْملْك منه ولَم يؤت سعةً من المالِ قَالَ إِن الله اصطَفَاه علَيكُم وزاده بسطَةً في العلْمِ والْجِسمِ والله يؤتي ملْكَه من يشاءُ والله واسع عليم﴾	الآية 247	76-77
البقرة	﴿ولَما برزوا لجالُوت وجنوده قَالُوا ربنا أَفْرِغْ علَينا صبراً وثَبت أَقْدامنا وانصرنا علَى القَومِ الكافرِين﴾	الآية 250	85
البقرة	﴿فَهزموهم بِإِذْن الله وقَتلَ داود جالُوت وآتاه الله الملْك والْحكْمةَ وعلمه مما يشاءُ ولَولا دفْع الله الناس بعضهم بِبعضٍ لفَسدت الأَرض ولَكن الله ذُو فَضلٍ علَى العالَمين﴾	الآية 251	84
آل عمران	﴿ كُلُّ الطعامِ كَانَ حلا لبنِي إِسرائيلَ إِلا ما حرم إِسرائيلُ علَى نفْسِه من قَبلِ أَن تنزلَ التوراةُ قُلْ فَأْتوا بِالتوراة فَاتلُوها إِن كُنتم صادقين﴾	الآية 93	17
النساء	﴿من الذين هادوا يحرفُونَ الكلم عن مواضعه ويقُولُونَ سمعنا وعصينا واسمع غَير مسمعٍ وراعنا لَيا بِأَلْسِنتهم وطَعناً في الدينِ ولَو أَنهم قَالُوا سمعنا وأَطَعنا واسمع وانظُرنا لَكَانَ خيراً لهم وأَقْوم ولَكن لعنهم الله بِكُفْرِهم فَلاَ يؤمنونَ إِلا قَليلاً﴾	الآية 46	16-189
النساء	﴿إِنا أَوحينا إِلَيك كَما أَوحينا إِلَى نوحٍ والنبِيين من بعده وأَوحينا إِلَى إِبراهيم وإِسماعيلَ وإِسحاق ويعقُوب والأَسباط وعيسى وأَيوب ويونس وهارونَ وسلَيمانَ وآتينا داوود زبوراً﴾	الآية 163	178
المائدة	﴿فَبِما نقْضهم ميثَاقَهم لَعناهم وجعلْنا قُلُوبهم قَاسيةً يحرفُونَ الكَلم	الآية 13	189

	عن مواضعه ونسوا حظا مما ذُكروا بِه ولاَ تزالُ تطلع علَى خائنة منهم إِلا قَليلاً منهم فَاعف عنهم واصفَح إِن الله يحب المحسِنِين﴾		
المائدة	﴿قَالُوا يا موسى إِنا لَن ندخلَها أَبداً ما داموا فيها فَاذْهب أَنت وربك فَقَاتلا إِنا هاهنا قَاعدونَ﴾	الآية 24	38-75
المائدة	﴿قَالَ رب إِني لاَ أَملك إِلا نفْسِي وأَخي فَافْرق بيننا وبين القَومِ القَاسقين﴾	الآية 25	39
المائدة	﴿قَالَ فَإِنها محرمةٌ علَيهِم أَربعين سنةً يتيهونَ في الأَرضِ فَلاَ تأْس علَى القَومِ القَاسقين﴾	الآية 26	39
الأنعام	﴿ وإِذْ قَالَ إِبراهيم لأَبِيه آزر أَتتخذُ أَصناماً آلهةً ﴾	الآية 74	25
الأنعام	﴿وتلْك حجتنا آتيناها إِبراهيم علَى قَومه نرفَع درجات من نشاءُ إِن ربك حكيم عليم، ووهبنا لَه إِسحاق ويعقُوب كُلا هدينا ونوحاً هدينا من قَبلُ ومن ذُريته داوود وسلَيمانَ وأَيوب ويوسف وموسى وهارونَ وكَذَلك نجزِي المحسِنِين، وزكَرِيا ويحيى وعيسى وإِلْياس كُل من الصالحين، وإِسماعيلَ والْيسع ويونس ولُوطاً وكُلا فَضلْنا علَى العالَمين، ومن آبائهم وذُرياتهم وإِخوانِهم واجتبيناهم وهديناهم إِلَى صراط مستقيمٍ﴾	الآيات 83-87	25
الأنعام	﴿ووهبنا لَه إِسحاق ويعقُوب كُلا هدينا ونوحاً هدينا من قَبلُ ومن ذُريته داوود وسلَيمانَ وأَيوب ويوسف وموسى وهارونَ وكَذَلك نجزِي المحسِنِين﴾	الآية 84	81
الأعراف	﴿ وإِلَى مدين أَخاهم شعيباً قَالَ يا قَومِ اعبدوا الله ما لَكُم من إِلَه غَيره...﴾	الآية 85	74
الأعراف	﴿وجاوزنا بِبنِي إِسرائيلَ البحر فَأَتوا علَى قَومٍ يعكُفُونَ علَى أَصنامٍ لهم قَالُوا يا موسى اجعل لنا إِلَهاً كَما لَهم آلهةٌ قَالَ إِنكُم قَوم تجهلُونَ، إِن هؤلاءِ متبر ما هم فيه وباطلٌ ما كَانوا يعملُونَ﴾	الآيتان 138-139	170
الأعراف	﴿قَالَ يا موسى إِني اصطَفَيتك علَى الناسِ بِرسالاتي وبِكَلامي فَخذْ ما آتيتك وكُن من الشاكرِين﴾	الآية 144	143
يوسف	﴿فَلَما دخلُوا علَى يوسف آوى إِلَيه أَبويه وقَالَ ادخلُوا مصر إِن شاءَ الله آمنِين، ورفَع أَبويه علَى العرشِ وخروا لَه سجداً وقَالَ يا أَبت هذَا تأْوِيلُ رؤياي من قَبلُ قَد جعلَها ربي حقا وقَد أَحسن بِي إِذْ أَخرجنِي من السجنِ وجاءَ بِكُم من البدوِ من بعد أَن نزغَ الشيطَانُ	الآيتان 99-100	33

	بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم ﴾		
الإسراء	﴿وربك أعلم بمن في السموات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً﴾	الآية 55	184
مريم	﴿لما اعتزلهم وما يعبدونَ من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا، ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسانَ صدقٍ عليا﴾	الآيتان 49-50	17
الأنبياء	﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلةً وكلا جعلنا صالحين﴾	الآية 72	17
الأنبياء	﴿وجعلناهم أئمةً يهدونَ بأمرنا وأوحينا إليهم فعلَ الخيرات وإقام الصلاة وإيتاءَ الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾	الآية 73	17
الأنبياء	﴿ففهمناها سليمانَ وكلا آتينا حكماً وعلماً وسخرنا مع داود الجبالَ يسبحن والطير وكنا فاعلين﴾	الآية 79	84-188
الأنبياء	﴿وعلمناه صنعةَ لبوسٍ لكم لتحصنكم من بأسكم فهلْ أنتم شاكرونَ﴾	الآية 80	84
الأنبياء	﴿ولسليمانَ الريح عاصفةً تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيءٍ عالمين﴾	الآية 81	97
الأنبياء	﴿ولسليمانَ الريح عاصفةً تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيءٍ عالمين، ومن الشياطين من يغوصونَ له ويعملونَ عملاً دونَ ذلك وكنا لهم حافظين﴾	الآيتان 81-82	97
الشعراء	﴿فأرسلَ فرعونُ في المدائن حاشرين، إن هؤلاءِ لشرذمةٌ قليلونَ﴾	الآيتان 53 -54	56
النمل	﴿ولقد آتينا داود وسليمانَ علماً وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثيرٍ من عباده المؤمنين﴾	الآية 15	74-196
النمل	﴿وورثَ سليمانُ داود وقالَ يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيءٍ إن هذا لهو الفضلُ المبين﴾	الآية 16	96
النمل	﴿وحشر لسليمانَ جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعونَ﴾	الآية 17	74-97-105
النمل	﴿حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملةٌ يا أيها النملُ ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمانُ وجنوده وهم لا يشعرونَ، فتبسم ضاحكاً من قولها وقالَ رب أوزعني أنْ أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأنْ أعملَ صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في	الآيتان 18-19	105

	عبادك الصالحين﴾		
النمل	﴿وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين، لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين﴾	الآيتان 20-21	118
النمل	﴿فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين﴾	الآية 22	118
النمل	﴿إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم﴾	الآية 23	118
النمل	﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون﴾	الآية 24	118
النمل	﴿قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون﴾	الآية 34	119
النمل	﴿قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾	الآية 44	119
القصص	﴿نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون، إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين، ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾	الآيات 3-5	35
القصص	﴿ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين﴾	الآية 14	36
سبأ	﴿ولقد آتينا داوود منا فضلاً يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد، أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير﴾	الآيتان 10-11	83
سبأ	﴿ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير، يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داوود شكرا وقليل من عبادي الشكور﴾	الآيتان 12-13	98-110
سبأ	﴿فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا	الآية 14	122

	في العذَابِ المهينِ﴾		
الصافات	﴿ولَقَد مننا علَى موسى وهارونَ، ونجيناهما وقَومهما من الكَربِ العظيم، ونصرناهم فَكَانوا هم الغالِبين، وآتيناهما الكتاب المستبِين، وهديناهما الصراطَ المستقيم، وتركْنا علَيهما في الآخرِين، سلام علَى موسى وهارونَ، إِنا كَذَلك نجزِي المحسِنِين، إِنهما من عبادنا المؤمنِين﴾	الآيات 114-122	57
ص	﴿اصبِر علَى ما يقُولُونَ واذْكُر عبدنا داوود ذَا الأَيد إِنه أَواب﴾	الآية 17	74-93-96-143
ص	﴿وشددنا ملْكَه وآتيناه الحكْمةَ وفَصلَ الخطَابِ﴾	الآية 20	91
ص	﴿إِذْ دخلُوا علَى داوود فَفَزِع منهم قَالُوا لَا تخف خصمان بغى بعضنا علَى بعضٍ فَاحكُم بيننا بِالْحق ولَا تشطط واهدنا إِلَى سواءِ الصراط، إِن هذَا أَخي لَه تسع وتسعونَ نعجةً ولي نعجةٌ واحدةٌ فَقَالَ أَكْفلْنِيها وعزنِي في الخطَابِ﴾	الآيتان 22-23	83
ص	﴿يا داوود إِنا جعلْناك خليفَةً في الأَرضِ فَاحكُم بين الناسِ بِالْحق ولَا تتبِعِ الهوى فَيضلك عن سبِيلِ الله إِن الذين يضلونَ عن سبِيلِ الله لَهم عذَاب شديد بِما نسوا يوم الْحسابِ﴾	الآية 26	81-143
ص	﴿إِذْ عرِض علَيه بِالْعشي الصافنات الجِياد﴾	الآية 31	143
ص	﴿فَسخرنا لَه الريح تجرِي بِأَمرِه رخاءً حيثُ أَصاب، والشياطين كُلَّ بناءٍ وغَواصٍ، وآخرِين مقَرنِين في الأَصفَاد، هذَا عطَاؤنا فَامنن أَو أَمسِك بِغيرِ حسابٍ، وإِن لَه عندنا لَزلْفَى وحسن مآبٍ﴾	الآيات 36-40	98
الجاثية	﴿الله الذي سخر لَكُم البحر لتجرِي الفُلْك فيه بِأَمرِه ولتبتغوا من فَضله ولَعلكُم تشكُرونَ﴾	الآية 12	139
الحديد	﴿لَقَد أَرسلْنا رسلَنا بِالْبينات وأَنزلْنا معهم الكتاب والْميزانَ ليقُوم الناس بِالْقسط وأَنزلْنا الحديد فيه بأْس شديد ومنافع للناسِ وليعلَم الله من ينصره ورسلَه بِالْغيبِ إِن الله قَوِي عزِيز﴾	الآية 25	151
الحشر	﴿لَا يقَاتلُونكُم جميعاً إِلا في قُرى محصنة أَو من وراءِ جدرٍ بأْسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقُلُوبهم شتى ذَلك بِأَنهم قَوم لا يعقلُونَ﴾	الآية 14	192

فهرس الأحاديث
النبوية الشريفة

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة:

منه فأكلة الأرضة عصاه، فانكسرت فسقط، فعلموا أنه قد مات، وعلم الناس أن الجن لا يعلمون الغيب ولو علموا الغيب ﴿ما لَبِثُوا في العذَابِ المهين﴾ وممارسة الأعمال الشاقة	
"علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل"	177
"لقد أوتي هذا مزمار من مزامير داود"	188

فهرس أسفار العهد القديم

(التوراة)

فهرس أسفار العهد القديم (التوراة):

سفر العدد	2	33	137
سفر العدد	5	18	162
سفر العدد	10	36-35	173
سفر العدد	11	4	162
سفر العدد	13	18-17	54
سفر العدد	13	28-27	54
سفر العدد	14	32	54
سفر العدد	14	45-32	54
سفر العدد	20	12-1	57
سفر العدد	21	21	143
سفر العدد	21	35-10	55
سفر العدد	26	56-52	63
سفر العدد	26	56	146
سفر العدد	31	8-1	143
سفر العدد	32	12-10	54
سفر العدد	32	16	145
سفر العدد	33	54	146
سفر التثنية	7	3-1	142
سفر التثنية	7	22	66
سفر التثنية	8	8	148
سفر التثنية	8	9	151
سفر التثنية	8	13	144
سفر التثنية	14	9-8	176
سفر التثنية	15	2	155
سفر التثنية	17	6	134
سفر التثنية	17	12-11	176
سفر التثنية	19	5	149
سفر التثنية	20	8-5	137

سفر صموئيل الأول	3	20	92
سفر صموئيل الأول	8	3	128
سفر صموئيل الأول	8	9-7	76
سفر صموئيل الأول	8	18-11	76
سفر صموئيل الأول	8	12	137-79
سفر صموئيل الأول	8	13	150
سفر صموئيل الأول	9	2	78
سفر صموئيل الأول	10	6-5	78
سفر صموئيل الأول	10	11	78
سفر صموئيل الأول	11	11	141
سفر صموئيل الأول	12	3-2	79
سفر صموئيل الأول	12	52-50	132
سفر صموئيل الأول	13	7-6	137
سفر صموئيل الأول	14	13	141
سفر صموئيل الأول	14	22	152
سفر صموئيل الأول	14	33	129
سفر صموئيل الأول	14	40	145
سفر صموئيل الأول	15	11	168
سفر صموئيل الأول	16	6	82
سفر صموئيل الأول	16	8	82
سفر صموئيل الأول	16	23-21	83
سفر صموئيل الأول	17	11	136
سفر صموئيل الأول	17	36-16	144
سفر صموئيل الأول	17	20	141
سفر صموئيل الأول	17	34	145
سفر صموئيل الأول	17	40	145
سفر صموئيل الأول	19	24-11	78
سفر صموئيل الأول	22	7	132

سفر صموئيل الأول	25	23	168
سفر صموئيل الأول	28	24	162
سفر صموئيل الأول	38	7-1	82
سفر صموئيل الثاني	2	4	85
سفر صموئيل الثاني	2	8	86
سفر صموئيل الثاني	3	5-2	92
سفر صموئيل الثاني	4	3-2	132
سفر صموئيل الثاني	4	5	86
سفر صموئيل الثاني	4	6	160
سفر صموئيل الثاني	5	16-3	93
سفر صموئيل الثاني	5	19	90
سفر صموئيل الثاني	5	24-23	90
سفر صموئيل الثاني	6	19-16	174
سفر صموئيل الثاني	6	19	162
سفر صموئيل الثاني	8	3	90
سفر صموئيل الثاني	8	4	138
سفر صموئيل الثاني	8	8	151
سفر صموئيل الثاني	8	18-16	131
سفر صموئيل الثاني	8	20-18	133
سفر صموئيل الثاني	12	31-26	91
سفر صموئيل الثاني	12	31-29	143
سفر صموئيل الثاني	13	22-1	82
سفر صموئيل الثاني	13	29-1	93
سفر صموئيل الثاني	16	23-20	82
سفر صموئيل الثاني	19	43-9	93
سفر صموئيل الثاني	20	1	160
سفر صموئيل الثاني	20	2-1	94
سفر صموئيل الثاني	20	15	141

سفر صموئيل الثاني	20	26-23	133-131
سفر صموئيل الثاني	24	11	178
سفر صموئيل الثاني	24	34-16	112
سفر صموئيل الثاني	24	25-24	68
سفر الملوك الأول	1	9	23
سفر الملوك الأول	1	34	178
سفر الملوك الأول	1	52-42	99
سفر الملوك الأول	2	5	95
سفر الملوك الأول	2	29-3	99
سفر الملوك الأول	2	28	151
سفر الملوك الأول	4	3	132
سفر الملوك الأول	4	8-7	101
سفر الملوك الأول	4	19-7	131
سفر الملوك الأول	5	1	102
سفر الملوك الأول	5	6	149
سفر الملوك الأول	5	16-15	102
سفر الملوك الأول	6	38-1	191
سفر الملوك الأول	6	3-2	114
سفر الملوك الأول	6	7	149
سفر الملوك الأول	6	20	160
سفر الملوك الأول	6	24-20	115
سفر الملوك الأول	7	10-1	116
سفر الملوك الأول	7	20-15	115
سفر الملوك الأول	8	2	115
سفر الملوك الأول	8	14	129
سفر الملوك الأول	8	22	190
سفر الملوك الأول	9	17-15	111
سفر الملوك الأول	9	16	103

سفر إشعيا	3	18	162
سفر إشعيا	6	1	160
سفر إشعيا	5	16	129
سفر إشعيا	9	17	23
سفر إشعيا	22	21	22
سفر إشعيا	28	24	146
سفر إشعيا	44	14-13	149
سفر إشعيا	48	24	146
سفر إشعيا	49	2	140
سفر إرميا	4	18	23
سفر إرميا	18	4-2	150
سفر إرميا	19	5-3	169
سفر إرميا	31	27	144
سفر إرميا	34	9	154 -13
سفر حزقيال	1	26-22	190
سفر حزقيال	5	1	150
سفر حزقيال	44	24-23	176
سفر هوشع	2	4	157
سفر هوشع	12	9-8	156
سفر عاموس	6	4	155
سفر عاموس	7	12	23
سفر ميخا	7	14	145
إنجيل متى	28	29	148

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام:

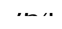
فهرس الأماكن

فهرس الأماكن:

فهرس الخرائط والصور والأشكال

فهرس الخرائط والصور والأشكال:

فهرس الموضوعـات



فهـرس المـوضوعـات: